من بلاغة النظم العربى

دراسة تحليلية لمسائل علم البديع

الجـزء الرابـع

أ.د. عبد العزيز عبد المعطى عرفه

كلية الدراسات الاسلامية والعربية

جامعة الأزهر - فرع البنات بالقاهرة

الطبعة الثانية

١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد..

فيسعدنى أن أقدم ـ لأبناء لغة القرآن الكريم ـ الجزء الرابع من كتاب "من بلاغة النظم العربى" كما سعدت ـ من قبل ـ بتقديم الأجزاء : الأول والثانى والثالث من هذا الكتاب. وقد جاء (الجزء الأول) فى تمهيد، وأربعة فصول من الباب الأول الخاص بعلم المعانى. أما التمهيد فقد تحدث عن تاريخ النظم العربى ومفهومه، وعن مقاييس الفصاحة والبلاغة، وأما الفصول، فقد تحدث الفصل الأول منها عن أحوال الإسناد الخبرى، والثانى عن أحوال المسند إليه، والثالث عن أحوال المسند، والرابع عن أحوال متعلقات الفعل.

واشتمل (الجزء الثانى) على بقية فصول الباب الأول وهى: الفصل الخامس الخاص بأسلوب القصر ،والفصل السادس الذى يتحدث عن أسلوب الإنشاء ، والفصل السابع عن أحوال الفصل والوصل و الفصل الثامن عن ظاهرة الإيجاز والإطناب والمساواة. وتحدث (الجزء الثالث) عن الباب الثانى الخاص بعلم البيان و جاء فى تمهيد وثلاثة فصول : شرح التمهيد : " معنى علم البيان " و الفصل الأول تحدث عن "التشبيه" ، والفصل الثانى :عن"المجاز" والفصل الثالث : عن "الكناية"

و هذا الجزء الرابع الذى بين يديك يتحدث – بمشيئة الله عن الباب الثالث الخاص بعلم البديع.

و يشتمل على تمهيد وثلاثة فصول ، يتحدث التمهيد عن نشأة البديع وأطواره فى الدراسات النقدية والبلاغية و تعريفه وتقسيمه والفصل الأول : يتحدث عن المحسنات المعنوية ، والفصل الثانى عن المحسنات اللفظية والفصل الثالث عن السرقات الشعرية و مواضع التأنق فى الكلام.

(أملنا أن يتكون الذوق الأدبى السليم ، ويعود الطبع اللغوى العربى الأصيل فيتمكن أبناؤنا من الوقوف على أسرار إعجاز القرآن الكريم ، الذى أنزله الله على قلب رسول الله سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ليكون دليل صدق له فيما يبلغ عن ربه.

فإذا كان من أهداف الدراسات البلاغية والنقدية الإيمان بالله ورسوله القائم على المعرفة و الدراسة ونبذ التقليد ، فإن من أهدافها أيضاً تذوق الكلمة الحلوة و العبارة الجميلة والأدب الحى ، وأساليب الدعوة إلى

ا لله التى تهز القلوب ،وتؤثر فى النفوس وتحرك العواطف النبيلة ، وتحفز المرء إلى العمل الصالح ، فترقى الأمة ويسعد المجتمع.

و ا لله جل جلاله – يمنحنا الجزاء الأوفى بحسن نيتنا ، وشرف مقصدنا ، وهو– وحده – الهادى إلى سواء السبيل.

د/ عبد العزيز عبد المعطى عرفة

مدينة نصر فى **٣٠ من شهر شوال سنة ١٤٠٣ هـ**

٩ من شهر أغسطس سنة ١٩٨٣ م

الباب الثالث

علم البديع

و يشتمل على : تمهيد وثلاثة فصول

التمهيد : فى بيان نشأة علم البديع وتاريخه ، وأطواره فى الدراسات البلاغية ، وتعريفه وتقسيمه.

الفصل الأول : فى المحسنات المعنوية

الفصل الثانى : فى المحسنات اللفظية

الفصل الثالث : فى السرقات الشعرية ، ومواضع التأنق فى الكلام.

(نشأة علم البديع وأطواره فى الدراسات البلاغية و النقدية)

اتجهت غاية علماء المسلمين فى القرن الثانى الهجرى إلى جمع اللغة والشعر العربى القديم ، وانصرفت همتهم إلى التقاطه من مواطنه الصحيحة بمراجعة محفوظاتهم منه ، و بالسماع من أفواه الأعراب الذين لم تتأثر ألسنتهم ، ولا ملكاتهم بسبب اختلاط العرب بالعناصر الإسلامية التى تنطق بلغات أخرى.

و قد أفاد العلماء بهذا الشعر ، فالنحويون و اللغويون وضعوا على ضوئه القواعد التى تعصم الذهن و اللسان عن الخطأ ، والمفسرون و المتكلمون استخدموه فى شرح غريب القرآن وبيان معانيه. وقد وضعوا لأنفسهم مبدأً لايحيدون عنه فى عملهم ، وهو استشهادهم بما قال الأقدمون قبل أن تضعف الملكات و تفسد الألسنة.

فالشعر القديم هو فقط موضع ثقتهم فى مثل مهمتهم الشاقة التى قاموا بها.

وبمقتضى هذا المبدأ استشهدوا بأشعار الجاهليين والمخضرمين ، ثم اختلفوا فى الإسلاميين " كجرير والفرزدق " فانحاز بعضهم عن الاحتجاج بشعرهم واعتبروهم مولدين ، وقد كان ذلك مبدأ الخصومة بين العلماء والشعراء.

و لم يكتف العلماء بقصر شاهدهم على أشعار القدماء – وفى هذاتفضيل للشعر القديم من غير شك بل غالوا فى شغفهم به وحبهم له ، وجعلوه الشعر الذى يجب أن يحتذى به ، وأن يتمرس به ، وما بعده من الشعر لا يعتبر شيئاً ، ولذلك أقاموا الموازنة بين الشعراء على فكرة الزمن بدلاً من الشعر ذاته وظهر فى المحيط الأدبى طائفتان : طائفة أنصار القديم والقدماء ، وطائفة أنصار الجديد والمحدثين (١)

وقد وازن ابن سلام الجمحى المتوفى سنة ٢٣٢ هـ بين الشعراء على أساس فكرة الزمن وذلك فى كتابه :" طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين"

وقد حاول ابن قتيبة أن يوفق بين أنصار القدماء وأنصار المحدثين ، فقرر : أن البيان والبلاغة فضل يؤتيه

---

(١) أنظر العمدة فى محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق ص ٩-١٠ تحقيق فضياة الشيخ محمد محيى الدين الطبعة الثانية مطبعة السعادة المكتبة التجارية .

ا الله من يشاء من عباده فى أى عصر سبق الزمان أم تأخر. (١)

ولكن دعوة ابن قتيبة فى التوفيق بين أنصار القديم و أنصار الحديث لم تفلح ، وتمادى اللغويون فى تعصبهم ، وظلوا على موقفهم تجاه شعر المحدثين.

ومن البدهى أن يحدث هذا الموقف رد فعل فى نفوس الشعراء المحدثين فيهاجمون الشعر القديم و بالأخص ديباجته.

يذكر ابن رشيق أن أول من فتح الهجوم على ديباجة القصيدة العربية القديمة هو أبو نواس ، إذ يقول:

لا تبك ليلى ولا تطرب لهند واشرب على الورد من حمراء كالورد

ويروى ابن رشيق أيضاً : أن أبا نواس لما سجنه الخليفة على اشتهاره بالخمر وأخذ عليه ألا يذكرها فى شعره قال:

أعر شعرك الأطلال والمنزل القفرا فقد طالما أزرى بك نعتك الخمر

دعائى إلى نعت الطلول مسلط تطيق ذراعى أن أرد له أمرا

فسمعاً أمير المؤمنين وطاعة وإن كنت قد جشمتنى مركباً وعراً

فجاهر بأنّ وصفه الأطلال والقفر انما هو من خشيةِ الإمام ، وإلا فهو عنده فراغ وجهل. (٢)

فأبو نواس إذ يهاجم ديباجة القصيدة العربية ، ويدعو إلى استبدالها بأخرى انما يريد أن يجدد فى نظام القصيدة العربية ، وأن يلفت نظر العلماء إليه ، ولكن هذه الدعوة لم يكتب لها الذيوع والانتشار ، لأنها لم تزد أن جعلت للقصيدة العربية ديباجتين. كما أن أبا نواس لم يساير مذهبه إلى النهاية ، فكان يعود إلى الديباجة القديمة خشية السلطان ، أو ترضية له ضماناً لنواله كما يؤخذ من حديث ابن رشيق السابق.
لكن أبا نواس وبشار بن برد ومن لف لفهما أصروا على إحداث شيئ فى الشعر العربى ، فاتجهوا مرة أخرى إلى قلب القصيدة العربية ، ودققوا النظر فيها فوجدا أن العبارات الجزلة القوية قد استأثر بها القدماء ، و المعانى فى المديح والهجاء والرثاء قد طرقها الأقدمون منذ ثلاثة قرون أو يزيد فالمجال ضيق عليهم و الأبواب مغلقة فى وجوههم وأينما اتجهوا وجدوا القدماء قد عبَّدوا القول ، وذللوه وأتوا على كل ما فيه ، فاعتقدوا أو اعتقد الكثير منهم أن المعانى قد نضبت ، وأن لاملكية فيها ولا فضل. وفى النهاية عثروا على

---

(١) أنظر الشعر والشعراء لابن قتيبة جـ١ ص ٦٢-٦٣ تحقيق أحمد شاكر - دار المعارف .

(٢) أنظر العمدة لابن رشيق .

تعبيرات وصور ، وردت فى القرآن الكريم ، وجاء بها الجاهليون والإسلاميون عفواً ومن غير قصد ، وأحسوا لها رونقاً وبهاء وأنها تزيد الكلام حسناً وجمالاً ، فأخذوها وأدخلوها فى شعرهم وتفننوا فيها. (١)

وجاء الرواه (٢) ، و سموا هذا النوع " البديع " وكلما تقدم بهم الزمن وجاءت منهم طبقة تفننت فى هذه التعبيرات ، وأضافت هذا التفنن تحت اسم البديع وسموه تجديداً. هذا التجديد أحدث فى الشعر العربى مذهبين : مذهب القدماء أو أصحاب عمود الشعر أو أنصار القديم ، و مذهب المحدثين أو مذهب البديع ويقولون : إن زعيم مذهب البديع هو بشار بن برد (٣) ، ومن رجال هذا المذهب بن هرمة ، والعتابى و النمرى وأبو نواس ، ومسلم بن الوليد وأبو تمام والبحترى وابن المعتز ، ولكنهم يختلفون فى البديع من حيث الإقلال و الإكثار والتسهيل والتوعير.

فبشار بن برد ومن سار على نهجه كابن هرمة والعتابى ومنصور النمرى وأبو نواس يتسمون بالإكثار من ألوان البديع بالنسبة إلى القدماء ، وبالسهولة وسلامة السليقة بالنسبة إلى متكلفى البديع من المحدثين ، وعلى أية حال ، كان بديع هؤلاء وسطاً بين القديم والحديث.

ثم جاء مسلم بن الوليد الذى يعتبر أول من بالغ فى الإكثار من البديع حتى أنكر عليه بعض العلماء هذا الصنيع ، ورموه بالتكلف ، وعدوا إسرافه فى الاحتفال بالبديع إفساداً للشعر لما فيه من التكلف ومخالفة مذاهب العرب. ووصل البديع إلى أبى تمام فتأنق فيه ، وأكثر من الزخرف و التكلف و التنسيق و التعقيد والمزج بألوان الثقافات الواسعة و الخوض فى بحار الفلسفة.

وجاء البحترى وابن المعتز اللذان رجعا بالأسلوب البديعى إلى الطريقة التى سلكها مسلم بن الوليد ، ولكن فى رفق ولين ، وقصد واعتدال ، وعدم الغوص وراء المعانى البعيدة ، والجرى وراء الألفاظ الغريبة(٤)

ولقد كان لوصول مذهب البديع لهذه الحال على يد أبى تمام اثر سيئ فى نفوس اللغويين والنحويين وبعض الأدباء ، إذ اعتبر هذا إفساداً للغة و الشعر ، فقد حكى أن ابن الأعرابى قال : " وقد أنشد شعراً لأبى تمام، إن كان هذا شعراً فما قالته العرب باطل " . (٥)

وسمع أعرابى قصيدة أبى تمام:

---

(١) أنظر تاريخ النقد الأدبى عند العرب من العصر الجاهلى إلى القرن الرابع الهجرى للأستاذ طه أحمد إبراهيم ص ٩٨ دار الحكمة بيروت .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ص٥٥ جـ٤ تحقيق هارون نشر الخانكى .

(٣) البيان جـ١ ص٥٠-٥١ .

(٤) أنظر الصبغ البديعى فى اللغة العربية للدكتور أحمد موسى ص٦٢-١١٦ نشر دار الكاتب العربى سنة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م .

(٥) أخبار أبى تمام للصولى ص ٢٤٤ ، نشر وتحقيق عساكر وآخرين لجنة التأليف والنشر سنة ١٣٦٥ هـ / ١٩٣٧ م .

طلل الجميع فقد عفوت حميداً   وكفى على رزئى بذاك شهيداً

فقال : إن فى هذه القصيدة أشياء أفهمها ، وأشياء لا أفهمها ، فإما أن يكون قائلها أشعر من
جميع الناس ، وإما أن يكون جميع الناس أشعر منه .(١)

و كان من الطبيعى أن يثور اللغويون والنحويون ،فهم حماة اللغة والأوصياء عليهاوألفوا الكتب للمحافظة عليها.

ولكن لم تلق جهود اللغويون والنحويون قبولاً لدى الشعراء وأنصارهم ، واعتبروهم غرباء عن هذا الفن ، فقد روى ابن رشيق وغيره : أن الحسن بن عبد الله أخبره بعض الكتاب عن على بن العباس قال: حضرت مع البحترى مجلس عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وقد سأل البحترى عن أبى نواس ، ومسلم بن الوليد : أيهما أشعر ، فقال عبد الله أن أبا العباس ثعلباً لا يطابقك على قولك ويفضل مسلماً ، فقال البحترى ليس هذا من عمل ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله، إنما يعلم ذلك من وقع فى وسلك الشعر إلى مضايقة ، وانتهى إلى ضروراته ، فقال عبيد الله : وريت بك زنادى يا أبا عبادة ، وقد وافق حكمك حكم أخيك بشار بن برد فى جرير والفرزدق ، أيهما أشعر ؟ فقال جرير أشعرهما ، فقيل له بماذا ؟ فقال : لأن جريراً يشتد إذا شاء، وليس كذلك القرزدق لأنه يشتد أبداً ، قيل له : فإن يونس و أبا عبيدة يفضلان الفرزدق على جرير ، فقال : لي هذا من عمل أولئك القوم ن انما يعرف السعر من اضطر إلى أن يقول مثله. (٢)

وتمادى بعض الشعراء وادعى أن البديع طارئ على اللغة العربية وأنهم المخترعون له ، و هذا الإدعاء له خطره خاصة بعد مقالة الجاحظ:

"والبديع مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، وأربت على كل لسان."(٣)

فكان لا يصلح للرد على شعراء البديع إلا رجل منهم عالم باللغة وآدابها ذلك هو الخليفة العباسى عبد الله بن المعتز بن المتوكل المتوفى سنة ٢٩٦ هـ ، أحد الشعراء العلماء ومن رجال البديع – فألف" كتاب البديع سنة أربع وسبعين و مائتين (٤) ، وغرضه منه تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤٥ .

(٢) أنظر العمدة لابن رشيق ص ١٠٤ جـ٢ وانظر أيضاً إعجاز القرآن للبقلانى ص ١٤٧-١٤٨ تحقيق د/ خفاجى.

(٣) البيان ص ٥٥-٥٦ .

(٤) كتاب البديع لابن المعتز ص ٥٨ نشر كراتشكوفسكى لييننغراد .

شيء من أبواب البديع ، وأن ما أتوا به ، وأكثروا فيه مما يسمى بديعاً موجود فى القرآن الكريم وفى الحديث النبوى ، وشعر الجاهليين والإسلاميين ، يقول " ليعلم أن بشاراً ومسلماً وأبا نواس، ومن تقيلهم "أشبههم" وسلكوا سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ، ولكنه كثر فى أشعارهم فعرف فى زمانهم حتى سمى بهذا الإسم فأعرب عنه ودل عليه، ثم إن حبيب بن أوس الطائى من بعدهم شغف به ، حتى غلب عليه وتفرغ فيه ، وأكثر منه فأحسن فى بعض ذلك وأساء فى بعض ، وتلك عقبى الإفراط وثمرة الإسراف. (١)

ثم يذكر طريقة القدماء فى إيراد المحسنات البديعية ، وهى المثلى فى نظره " وانما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين فى القصيدة وربما قرأت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت للبديع ، وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى نادراً ويزداد خطورة بين الكلام المرسل. (٢)

وقسم بن المعتز كتابه قسمين : القسم الأول خمسة أنواع أطلق عليها اسم البديع وهى : الاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة ، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب الكلامى.

والقسم الثانى من كتابه ويسميه : " محاسن الكلام والشعر " ذكربن المعتز منها ثلاثة عشر لوناً هى: الالتفات ، والاعتراض ، والرجوع ، وحسن الخروج من معنى إلى معنى ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف ، والهزل يراد به الجد ، وحسن التضمين ، والتعريض ، والكناية والإفراط فى الصفة وحسن التشيه ، وإعنات الشاعر نفسه فى القوافى ، وتكلفه من ذلك ما ليس له ، وحسن الابتداء. فابن المعتز لا يرفض البديع ولكنه يريد حسن إيراده فى الكلام والشعر والبديع عنده أصيل فى اللغة العربية ، ويطلق على فنون الكلام والشعر.

ومن قبله الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ كان يطلقه على جميع الألوان البلاغية ، يقول فى قول الأشهب بن رميلة:

إن الألى حانت بفلج (٣) دماؤهم ... هم القوم كل القوم يا أم خالد

هم ساعد الدهر الذى يتقى به ... و ما خير كف لا تنوء بساعد

أسود شرى لاقت أسود خفية ... تساقوا على حرد دماء الأساود(٤)

---

(١) كتاب البديع ص١ .

(٢) كتاب البديع ص١ .

(٣) فلج : عين بين البصرة وضرية ، ومن معانيه : الظفر والفوز والشق نصفين ، أنظر مادة فلج فى القاموس المحيط .

(٤) الشرى : طريق فى سلمى كثير الأسود – والخفية : الركية والغيضة الملتفة .

قوله : " ساعد الدهر " انما هو مثل ، وهذا الذى تسميه الرواة البديع (١). فكلمة البديع عند الجاحظ تعنى : الاستعارة ، والتشبيه وغيرهما من وسائل البلاغة وليست مقصورة على الأنواع التى اصطلح عليها المتأخرون . (وجاء ابن المعتز وألف كتابه " البديع " وذكر سبعة عشر نوعاً من البديع .

وبعد ابن المعتز ، جاء قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧ هـ فألف كتابه "نقد الشعر " وذكر فيه فنون البديع عشرين نوعاً اتفق مع بن المعتز فى سبعة أنواع ، فتكون جملة ما زاده قدامة ثلاثة عشر نوعاً وبذلك أصبحت فنون البديع ثلاثين نوعاً.

وجاء بعدهما أبو هلال العسكرى صاحب " كتاب الصناعتين " المتوفى سنة ٣٩٥ هـ فذكر ستة وثلاثين نوعاً وسماها بالبديع ، ثم قال بعد أن أوردها:

"فهذه أنواع البديع التى ادعى من لا رواية له ولا دراية عنده أن المحدثين ابتكروها ، و أن القدماء لم يعرفوها ، وذلك لما أراد أن يفخم امر المحدثين ، لأن هذا النوع إذا سلم من التكلف وبرئ من العيوب كان فى غاية الحسن ونهاية الجودة." (٢)

وواضح تأثره بابن المعتز فى تأصيل البديع فى اللغة العربية.

وإذا كان ابن المعتز قد أطلق على جميع الألوان التى ذكرها اسم "البديع" ومحاسن الكلام ، وكان منها الاستعارة والكناية والتعريض وحسن التشبيه ، وهذه قد جعلت فيما بعد من مباحث علم البيان ، فإن أبا هلال قد حاول الفصل بين الأنواع التى ذكرها ، ولكنه لم يكن دقيقاً ، فقد فصل التشبيه والإيجاز والإطناب عن فنون البديع وهذا حسن ، ولكنه فصل عنها أيضاً السجع والإزدواج وأبقى فيها الاستعارة ومسائل أخرى جعلت فيما بعد من مباحث " علم المعانى" مثل الالتفات و التذييل والاعتراض ، وأبواباً جعلت من أركان علم" البيان " مثل الكناية والتعريض ، و لم يفصل أبو هلال ، كما لم بفصل أحد ممن سبقوه بين علوم البلاغة الثلاثة على النحو الذك نراه الآن.

وجاء ابن رشيق القيروانى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ صاحب كتاب " العمدة " وقد زاد على ما ذكره العسكرى خمسة وستين باباً من فنون البديع ، ثم صار على نهجه كثير من المؤلفين ، ففرعوا له ألقاباً ، ونوعوا له أنواعاً و لم يعتنوا بغيره من علوم البلاغة.

---

(١) البيان ص٥ جـ٣

(٢) انظر الصناعتين ص٣٧٣ .

وعلى الرغم من ذلك ، فإننا نرى الإمام الشيخ عبد القاهر الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١ هـ او سنة٤٧٤ هـ يذكر أنواعه تحت اسم النظم ويحدد حسن إيراده.

ويأتى الزمخشرى المتوفى سنة ٣٥٨ هـ ويذكر علمى البيان والمعانى فى مقدمة كتاب " الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل " ولكن لم يرد فى تفسيره ما يقطع بفصله بين علوم البلاغة كما فعل المتأخرون ، وكذلك لم يرد فصل بين هذه العلوم عند الإمام الفخر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ولكن ظهرت مبادئ الفصل بين علوم البلاغة عند أبى يعقوب السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦هـ فى كتابه " المفتاح " ، فقد ورد كلاً من المعانى والبيان وفتح لكل منهما فصلاً على حدة ، ثم جمع فنوناً سماها وجوهاً محسنة كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام ، وجعلها تابعة لقصد البلاغة والفصاحة . و لم يطلق عليها اسم البديع ، ولكنه بهذا الصنيع قد فتح الطريق لبدر الدين بن مالك المتوفى سنة ٦٨٦ هـ أن يقسم علوم البلاغة إلى البيان والمعانى والبديع و ذلك فى كتابه " المصباح " وذكر من أنواع البديع خمسين نوعاً ، وقال فى مقدمة كتابه أنه جعل كتابه ثلاثة أقسام ، وذكر أن الثالث :" تعرف منه توابع البلاغة من طرق الفصاحة وهو علم البديع " فجعل هذه المحسنات من توابع البلاغة كما فعل السكاكى ولكنه زاد عليه إطلاقه عليه" علم البديع. "

ثم يأتى بن أبى الأصمع العدوانى المصرى المتوفى سنة ٦٥٤ هـ و يؤلف فى البديع كتابين أحدهما": تحرير التحبير " ، و الآخر " بديع القرآن " وقد تتبع فى الأول فنون البديع عند بن المعتز وقدامة وشرحهما ، وأضاف لها أمثلة أخرى.

ثم ذكر ما زاده هو من استنباطه فبلغ ثلاثين باباً وقد بلغت فنون البديع فى كتابه مائة وعشرين وستة أبواب ، وقد سلم له مما انفرد به عشرون نوعاً والباقى إما مسبوق إليه ، وإما متداخل فى أنواع أخرى ، وذكر أنه رجع إلى أربعين كتاباً لمن سبقه.

أما كتابه الآخر " بديع القرآن " فقد ضمنه ثمانية ومائة نوع من أنواع البديع ، ويكاد يكون الكتابان كتاباً واحداً مع زيادة من التمثيل من الآيات القرآنية فى كتابه الأخير.

ثم تحول التأليف فى البديع بما يعرف " بالبديعيات " : وهى فى جملتها قصائد نظمت فى مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) – غالباً ويتضمن كل بيت من أبياتها نوعاً بديعياً اما بالتمثيل له ، واما بذكر اسمه مع التمثيل له.

ومن ناحية أخرى سار البلاغيون الآخرون على نهج بدر الدين بن مالك حيث جعلوا البديع أحد

علوم البلاغة الثلاثة ، ووضعوا له حده وتقسيماته وتعريف كل نوع من أنواعه.

تعريف علم البديع في اللغة:

جاء فى لسان العرب : بَدَعَ الشئ يَبْدَعُه بَدْعاً ، وابتدعه أنشأه وبدأه ، والبديع والبدع : الشئ الذى يكون أولاً ، وفى التنزيل : ﴿ **قل ما كنت بدعاً من الرسل** ﴾ أى : ما كنت أول من أرسل ، فقد أرسل قبلى رسل كثير.

والبديع : المحدث العجيب والبديع: المبدع ، وأبدعت الشئ اخترعته لا على مثال.

والبديع من أسماء الله تعالى ، لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها ، وهو البديع الأول قبل كل شئ،

ويجوز أن يكون بمعنى مبدع ، أو يكون من بدع الخلق أى بدأه ، والله تعالى كما قال سبحانه : ﴿ **بديع السماوات والأرض** ﴾ أى خالقها ومبدعها ، فهو سبحانه الخالق المخترع لا عن مثال سابق.

و البديع : المبتدع و المبتدع ، وشئ بدع بكسر الباء وسكون الدال : أى مبتدع ، وأبدع الشاعر جاء بالبديع . (١)

تعريف البديع فى اصطلاح البلاغيين:

البديع : علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة وقد علمتم من دراستكم السابقة أن مطابقة الكلام لمقتضى الحال هى لب علم " المعانى " وهى الأساس الذى يجب مراعاته فى علم " البيان " الذى هو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة على المعنى المراد ، وأخيراً تأتى وجوه تحسين الكلام.

فعلى الأديب أن يراعى فى نتاجه الأدبى مطابقة هذا النتاج لمقتضى الحال ثم تعبيره عن المعنى المراد بدقة ، ثم ينظر بعد ذلك إلى تحسين عبارته وعلى هذا الأسلس يكون علم المعانى والبيان مقدمتين لابد منهما لعلم البديع.

فالنتاج الأدبى يجب أن يتطلبه المقام ويستدعيه الحال ، وتأتى به الأحداث ، ولابد أن يكون المعنى المراد به واضحاً ، ثم يراعى الأديب تحسين المعنى وتنظيم إيقاعاته.

---

(١) لسان العرب لابن منظور ص٢٢٨ تحقيق نخبة من العاملين بدار المعارف .

ويضع الشيخ عبد القاهر دستوراً للأدباء ويطلب منهم مراعاته ، يقول : إن الحسن لا يمكن أن يكون للفظ ذاته من غير نظر إلى المعنى حتى ما يتوهم فى بدء الفكرة أن الحسن لا يتعدى فيه اللفظ والجرس كالتجنيس ، لأنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً ، و لم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً ، ولهذا استقبح فى قول أبى تمام:

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت … فيه الظنون أمَذْهب أم مُذْهَب

واستحسن فى قول أبى الفتح البستى:

ناظراه فيما جنت ناظراه … أو دعانى أمت بما أو دعانى

لأن الأول لم يزدك على أن أسمعك حروفاً مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكرة ، وفى الثانية أعاد لك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ، ويوهمك كأنه لم يزدك ، وقد أحسن الزيادة ووفاها.

ويقول : وأصل الحسن فى جميع أنواع البديع : هو أن تكون الألفاظ تابعة للمعانى ، فإن المعانى إذا أرسلت على سجيتها وتركت لما تريد طلبت لأنفسها الألفاظ ، و لم تكتس إلا ما يليق بها ، فإن كان خلاف ذلك كان كما قال أبو الطيب:

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها … وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وقد يقع فى كلام بعض المتأخرين ما حمل صاحبه فرط شغفه بامور ترجع إلى ما له اسم فى البديع ، على أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ، ويقول ليبين ويخيل إليه أنه إذا جمع عدة من أقسام البديع فى بيت ، فلا ضير أن يقع ما عناه فى عمياء وأن يوقع السامع طلبه فى خبط عشواء . (١)

فالشيخ عبد القاهر يؤكد أن المحسنات المعنوية واللفظية من تصرفات النظم وأن وضوح المعنى شرط أساسى فى إيراد هذه المحسنات.

---

(١) أسرار البلاغة ص٦٥٥ .

تقسيم المحسنات البديعية

يقسم البلاغيون المتأخرون المحسنات البديعية إلى قسمين : معنوى ولفظى

١- فالمعنوى : ما يكون التحسين به راجعاً إلى المعنى أصالة ، ويتبعه تحسين اللفظ ولكنه غير مقصود .

٢- واللفظى : ما يكون التحسين به راجعاً إلى اللفظ أصالة ويتبعه كذلك تحسين المعنى ،ولكنه أيضاً غير مقصود.

****

الفصـــل الأول

أولاً : فـــى المحسنـــات المعنويـــة

(١) المطابقـــــة

المطابقة ، وتسمى الطباق أو التضاد.

يقول البلاغيون فى تعريفها المطابقة : هى أن تجمع فى كلام واحد بين معنى ومقابله أو ضده.

والطباق أو التضاد من الأمور الفطرية المذكوره : فى الطباع التى لها علاقة وثيقة ببلاغة الكلام ،إذ الضد أقرب خطوراً بالبال عند ذكر ضده ، وهو ضرورى فى حسن الفائدة إذا كان بين الموضوعات إذ بواسـطته يتمكن الأديب من الإحاطة بسلبيات أو إيجابيات الموضوع الذى يكتب عنـه ، الأمـر الـذى يجعـل الإفـادة شاملة والمعرفة واسعة.

والمشهور من أمثلتها قوله عز وحل : ﴿ **قل اللهم مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شئ قدير** ﴾ (١) ، المطابقة فـى هـذه الآية بين " تؤتى " و " تنزع " ، وبين : " تعز " و " تذل " و الآية نزلت لتصوير قدرة الله فى أوسع معانيها ، وبيان السلطان فى أشمل مظاهره وأكملها.

وإذا كانت البلاغة وظيفتها نقل غرض القائل ، وابرازه فـى صـورة قويـة مؤثـرة فسـنجد الطبـاق أدى دوره فى الآية الكريمة ، إذ جمعت بين الضدين : الايتاء أو ما فى معناه ، والنزع أو ما فى معناه ، وكذلـك الإعزاز ، والإذلال منعاً لتوهم أن الله يقدر على الإيتاء فقـط أو الإعـزاز فحسـب، إذ يقـدر شـخص علـى الايتاء و لكنه قد لا يقدر على الـنزع ، ويسـتطيع إنسـان أن يعـز ، ولكنـه قـد يعجـز عـن الإذلال ، فـدور الطباق فى تصوير الغرض وابرازه واضح ، ومع ذلك يجلب الراحة النفسية للقارئ أو السـامع حـين يقـرأ أو يسمع الضد الذى – خطر بباله فيتأكد المعنى فى ذهنـه بـإيراده بـاللفظ الـدال عليـه أولاً ثـم بضـده ثانيـاً ، فيحمل المعنى عنده ، ويتمكن من نفسه ، هذا والطباق فـى الايـة الكريمـة بـين فعلـين. ومثلـه قولـه تعـالي :﴿ **والله يقبض ويبسط** ﴾ (٢) طابقت الآية بين القبض والبسط ، لتصور قدرة الله فـى أسمـى معانيهـا ، فالله وحده – هو الذى بيده وحده توسيع الرزق ، ومنعه ، والطباق فى الآية الكريمة بين فعلين أيضاً.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٢٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٤٥ .

و من هذا النوع قولنا :" فلان يضر وينفع ، ويعطى ويمنع ويجرح ويواسى " والطباق يؤدى الغرض فى أحسن صورة وبدقة تامة إذ أن القائل غرضه تصوير هذا الرجل بقوة الشخصية فيثبت له مع الإضرار النفع ، ومع العطاء المنع ، ومع الجرح المواساة والمعالجة لأن الغرض وصف الرجل بالكياسة والحكمة فيعطى من يستحق العطاء ويمنع عمن يستحق المنع ويضر العدو وينفع الصديق وهكذا فواضح أن الطباق أدى دوره فى نقل المعنى . والطباق بين فعلين. ومن الحديث الشريف قوله (صلى الله عليه وسلم) للأنصار :" أنكم لتكثرون عند الفزع ، وتقلون عند مطمع" فالطباق بين تكثرون وتقلون.

وتكون المطابقة بين إسمين كقوله تعالى : ﴿ **قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى الظلمات والنور** ﴾ [1] فأنت ترى الآية تعقد موازنة بين هذين الضدين : " الأعمى والبصير " و" الظلمات و النور " ولا مفر من الجمع بينهما فى الآبة ، لعقد الموازنة التى تكشف عن عدم استوائهما ، وتقول الآية الكريمة : ﴿ **و تحسبهم أيقاظاً وهم رقود** ﴾ (٢) فالجمع بين الايقاظ والرقود مطابقة لأن اليقظة ضد الرقود ، وكلاهما من نوع الاسم كما ترى.

ويقول النبى (صلى الله عليه وسلم) : خير المال عين ساهرة لعين نائمة " والمعنى أن : خير المال عين ماء ينام صاحبها ، وهى تظل فائضة تسقى له أرضه ، فطابق بين ساهرة ونائمة – ولكون الغرض من الحديث الإخبار عن خير المال الذى يجلب على صابه الراحة التامة – جاءت المطابقة لتحقيق هذا الغرض .

وقال السموءل بن عاديا:

سلى – إن جهلت – الناس عنا وعنهم فليس سواءً عالم وجهول

طابق بين عالم وجاهل ، فالمطابقة مطلوبة لتحقيق الغرض وهو عقد الموازنة.

واستمع إلى قول الله تعالى : ﴿ **وأنه هو اضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا** ﴾ (٣) نجد أن الآية لكريمة طابق بين فعلين هما : " أضحك وأبكى " ومثلهما " أمات وأحيا " وكلاهما منوع الفعل . والطباق حقق الغرض من الآية ، وهو تصوير قدرة الله جل وعلا – مع ما فى الآية من تناسق لفظى.وتكون المطابقة بين حرفين أيضاً كقوله تعالى :﴿ **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** ﴾ (٤) فجمع

---

(١) سورة الرعد الآية ١٦ .

(٢) سورة الكهف الآية ١٨ .

(٣) سورة النجم الآية ٤٣-٤٤ .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٢٨ .

بين " اللام " و " على " هما حرفان متضادان معنى ، لأن فى " اللام " معنى المنفعة و فى " علـى " معنـى المضرة.

ومن أمثلة المطابقة : قول أبى صخر الهذلى:

أما والذى أبكى وأضحك والذى　　　أمات وأحيا والذى أمره الأمر

فقد طابق بين " أبكى وأضحك " وبين " أمات وأحيا"

وقول بشار بن برد:

إذا أيقظتـك حـروب العـدى　　　فنبـه لهـا عمراً ثـم نَـمْ

فطابق بين " نبه ونم " وبين " أيقظتك ونم. "

وقول مجنون ليلى:

علـى أننى راضٍ بأن أحمل الـهوى　　　وأخـلص منه لا عـلىّ ولا ليــا

فطابق بين " على " الثانية ، وبين اللام فى قوله :" ليـا" لأن "علـى" الأولى بمعنـى "مـع" ، والمعنـى أنـه تحمل فى سبيل الهوى ما يوجب مدحه ولكنه يرضى بأن يخاص منه ، وليس عليه ذم ولا له مدح.

وتقول الآية الكريمة : ﴿ **لها ما كسبت وعليها مااكتسبت** ﴾ (١) فطابقت الآية بين : " اللام ،وعلى" ، لأن اللام للملك المؤذن بالانتفاع ، وعلى للاستعلاء المؤذن بالتحمل والتضرر ، وكلاهما حـرف. ويـأتى الطباق أيضاً بلفظتين من نوعين كقوله تعالى : ﴿ **أومن كان ميتاً فأحييناه** ﴾ (٢) أى ضالاً فهديناه ، فقـد جاء الطباق بين اسم وهو " ميتاً " وبين فعل وهو " أحيينا " جعل الضلال موتاً والهداية حياة.

الطباق الظاهر والخفى

والطباق قد يكون ظاهراً كما مر من الأمثلة ، ومنه قول بن رشيق القيروانى:

وقد أطفئوا شمس النهار وأوقدوا　　　نجـوم العوالـى فى سماء عجـاج

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٢ .

والعوالى :جمع عالية وهى أعلى الرمح ، أو النصف الذى يلى السنان ؛ والعجاج : الغبار ، والشاهد فى قوله :" أطفئوا وأوقدوا"

وقد يكون الطباق خفياً نوع خفاء ، كقوله تعالى :﴿ **مما خطيآتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً** ﴾ (١) طابق بين :" أغرقوا وأدخلوا ناراً " ولا يكون الإغراق إلا فى الماء المشعر بالبرودة إلا بعد تفكير فى الإغراق ، وهذا التفكير شاهد على عبقرية اللغة لأنه يؤدى إلى معان لطيفة.

و يقول أبو تمام:

مهـا الوحــش إلا أن هاتـا أو انـس قنـا الخـط إلا أن تلـك ذوابـــل

المها : واحدة مهاة وهى البقرة الوحشية ، والمعنى : أنهن كبقر الوحش فى سعة العيون ، والقنا: واحدة قناة وهى الرمح ، والخط : بلد تصنع فيها الرماح ، والمعنى : أنهن كقنا الخط فى اعتدال القامة ، والذوابل : الأغصان الجافة ، والمعنى : أن تلك الرماح ذوابل ، أما هن فنواضر ، فقد طابق بين " هاتا وتلك" وكلاهما اسم إشارة ، ولا يفهم الطباق إلا إذا لاحظنا أن هاتا للقريب ، وتلك للبعيد.

ومن هنا جاء الخفاء الذى يدعو إلى التفكير الذى يشهد بعبقرية اللغة وليس يؤدى إلى الغموض الذى تأباه اللغة.

ومن الطباق الخفى نوع خفاء : قوله تعالى : ﴿ **أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ (٢) جمعت الآية بين معنيين : (الشدة والرحمة) وهما غير متقابلين ، ولكن أحدهما ، وهو " الرحمة " مسببة عن اللين القابل للشدة ، ولو عبرت الآية باللين ، لتوهم فى الصحابة الضعف وهو غير مراد ، لأن المراد اللين الذى يؤدى إلى الرحمة ، وليس اللين الذى يؤدى إلى الصعف.

ومثله قوله تعالى:﴿ **ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار، لتسكنوا فيه،ولتبتغوا من فضله** ﴾ (٢) ، فإن ابتغاء الفضل لا يقابل السكون ، ولكنه يستلزم الحركة المضادة للسكون – وانما عدل القرآن عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الرزق ، لأن الحركة ضربان : حركة لمصلحة، وأخرى لمفسدة ، والمراد الأولى.

والبلاغيون يلحقون هذا النوع الخفى بالطباق.

---

(١) سورة نوح الآية ٢٥ .

(٢) سورة الفتح الآية ٢٩ .

(٢) سورة القصص الآية ٧٣ .

ويلحقون بالطباق أيضاً ما يسمى : إيهام التضاد : كما يقول الشاعر:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب في رأسه فبكى

" فضحك وبكى (يوهمان التضاد بحسب الظاهر للمعنى الحقيقى لهما) ولكن المراد من " ضحك المشيب" فى البيت : ظهور الشيب فى رأسه فبكى ، فظهور الشيب لا يقابل البكاء - لكن الشاعر عبر عن ظهور الشيب بلفظ " ضحك " على طريق الاستعارة التبعية ، وذلك ليقابل بين ضحك وبكى فى البيت.

طباق الإيجاب وطباق السلب

(١) طباق الإيجاب

يقسم البلاغيون الطباق قسمين : طباق الإحاب وطباق السلب . وكل الذى مر علينا من الأمثلة ينطبق على ما يعرف بطباق الإيجاب.

ومنه قول الفرزدق يهجو جريراً:

لعن الإله بني كليب إنهم لا يغدرون ولايفون لجار

يستيقظون إلى نهيق حمارهم وتنام أعينهم عن الأوتار

ومعنى : لا يغدرون : لا يخونون عدوهم لعجزهم عنه وهذا ذم لهم ، والأوتار : جمع وتر وهو الثأر ، والمعنى أنهم لا يهمهم أمر أوتارهم ، فيدفعون عنه المكروه ، والشاهد فى قوله " لا يغدرون ولا يفون " و " يستيقظون وتنام أعينهم."

و فى البيت الأول تكميل حسن ، إذ لو اقتصر على قوله :" لا يغدرون " لاحتمل الكلام ضرباً من المدح إذ تجنب الغدر قد يكون عن عفة ، فقال :" لايفون " ليفيد أنه للعجز ، كما أن ترك الوفاء للؤم.

(وحصل مع ذلك إيغال حسن ، لأنه لو اقتصر على قوله " لا يغدرون ولا يفون " تم المعنى الذى أراده ، لكنه لما احتاج إلى القافية أفاد بها معنىً زائداً ، حيث قال :" لجار " ، لأن ترك الوفاء للجار أشد قبحاً من ترك الوفاء لغيره.

(٢) طبــاق الســـلب

أما إذا وقعت المطابقة بين فعلـين مـن مـادة واحـدة ، وكـان أحدهمـا مثبتـاً والآخـر منفيـاً ، فقـد سماه البلاغيون طباق السلب . كمـا فـي قولـه تعـالى : ﴿ **يستخفون مـن النـاس ولا يستخفون من ا لله** ﴾ ، فالفعل كما ترى من مادة واحدة هى الاستخفاء ، ولكـن المعنيـين متنـافيين ، إذ الأولى : إيجـابى ، والثـانى سلبى ، وتحس فى المطابقة قوة التسجيل على هؤلاء الذين انحرفوا عن الحق.

ويقول الشاعر:

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ‏ ‏ ‏ ولا ينـكرون القـول حيـن نقـول

(فالشاعر يطابق بين ننكر ولا ينكرون – ومادة الفعلين واحدة ، وهى " الإنكـار " ، ولكنهمـا متنافيـان فى المعنى ، إذ الأول : إيجابى والثانى : سلبى ، وتحس فى المطابقة الفخر والتحدى.

(ومـن الطبـاق السـلب قولـه تعـالى :﴿ **فـاتقوا ا لله وأطيعـون ، ولا تطيعـوا أمـر المسـرفين** ﴾ [١] ، طابقت الآية بين" أطيعون " وهو أمر وبين " لاتطيعوا " وهو نهى ، فمادة الفعلين – كما ترى – واحـدة ، ولكنهما متنافيان معنىً إذ الأول إيجابى والثانى سلبى [٢] ، وتحس فى المطابقة تحديد المراد تحديداً دقيقاً.

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٥٠-١٥١ .

(٢) النهى فى معنى النفى .

مــــن جمـــــال الطبـــــاق

تأمل جمال الطباق فى الآيات الكريمة فى قوله تعالى : ﴿ **سواء منكم من أسر القول أو جهر به ، ومـن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ، له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر ا لله إن ا لله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد ا لله بقوم سوءً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال** ﴾

والمعنى : أن ا لله سبحانه وتعالى يعلم ما أسره الإنسان كعلمه بما جهر به من خير أو شر ، ومن هـو مستتر فى الظلمة الكائنة فى الليل متوارٍ عن الأعين ومن هو بارزٌ ظاهر، له حفظة مـن الملائكة يتناوبون ، يخلف كل واحد فيها صاحبه و يكـون بـدلاً منـه ، يحفظـون المخلـوق مـن بـأس ا لله إذا أذنـب بالاستمهال لـه و الاستغفار له حتى يتوب وأن ا لله لا يسلب قوماً نعمة أنعم بها عليهم حتى يغيروا ما بأنفسهم مـن الخير و الأعمال الصالحة ، أو يغيروا الفطرة التى فطرهم ا لله عليها . وإذا أراد ا لله بقوم هلاكاً فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال يلى أمرهم ويلتجئون إليه فيدفع عنهم ما ينزل بهم من ا لله سبحانه من العقاب .

(وأسلوب الطباق أدى دوره فى توصيل معانى الآيات وهو بين أسر وجهر ، ومستخف وسارب، ومن بين يديه ومن خلفه.

وقد استغل شاعر النيل حافظ إبراهيم ظاهرة الطباق فى شعره فجاء قوياً ، اسمع إلى قوله يندد بالمستعمرين:

بلونا شـدة منكم ولينـا	**فكـان كلاهمـا ذر الرمـــاد**
وسـالمتم وعاديتم زمانا	**فلـم يغـن المسـالم والمعادى**
فليس وراءكم غيرالتجنى	**وليـس أمامنـاغيــر الجهـاد**

(فالطباق بـين الشـدة و اللـين ، وسـالمتم و عـاديتم ، و المسـالم والمعـادى ، و وراءكـم ، وأمامنـا. وإذا تصفحت ما كتبه الأدباء والشعراء وجدت المبرزين منهم قد بنوا نتاجهم على المقابلات فهى تكسب المعنى وضوحاً وقوة وجزالة ، وتجمع بين أطراف الموضوع سلبياته وإيجابياته.

التدبيج

ومن الطباق نوع يسميه بعض البلاغيين " التدبيج " ، وهو أن يذكر الأديب فى التعبير عن معنى من المعانى – ألواناً متقابلة لقصد الكناية أو التورية فى تلك الألوان أو بعضها . مأخوذ من دبج المطر الأرض إذا زينها بألوان النبات ، فذكر الألوان فى الكلام تشبيه بما يحدث بالمطر من ألوان النبات أو أنه مأخوذ من الدبج وهو النقش ، لأن ذكر الألوان كالنقش على البساط [1] ، و لا شك أن التدبيج داخل فى الطباق لأن الألوان أمور متقابلة ، فهى جزئية من جزئيات الطباق ، وخصت باسم التدبيج لتخيل وجود الألوان فيها كوجود الألوان بالمطر . [2]

فالتدبيج الذى فيه الكناية قول أبى تمام فى مرثية أبى نهشل محمد بن عبد الحميد التى رثاه بها حين استشهد:

تردى ثياب الموت حمراً فما أتى ... لها الليل إلا وهى من سندس خضر

و المعنى جعل ثياب الموت رداءً لنفسه ، والمراد أنه لبسها ، وأراد بثياب الموت الثياب التى كان لابساً لها وقت الحرب ، وقتل وهو لابسٌ لها . ومن المعروف أن الشهيد يكفن فى الملابس التى مات فيها ، وهو كان لابساً لها قبل حصول الدم ، و لم يدخل فى ليلته إلا وقد صارت الثياب من سندس خضر من ثياب الجنة.

فقد جمع بين لونين فقط ، الأول : وهو حمرة الثياب كناية عن القتل لاستلزامه إياه عرفاً مع قرينة السياق ، والثانى وهو خضرة الثياب كنى به عن دخول الجنة لما علم أن أهل الجنة يلبسون الحرير الأخضر ، وصيرورة الثياب من الأحمر إلى الأخضر تدل على انقلاب حال القتلى إلى حال النعمة بالجنة .

وأما التدبيج المشتمل على التورية وهى : أن يكون للفظ معنيان قريب وبعيد ، والمراد البعيد كقول الحريرى : " فمنذ ازْوَرَّ المحبوب الأَصْفَر ، واغبَرَّ العَيْـشُ الأخضر ، اسودَّ يومى الأبيض ، وابيضَّ فَوْدى الأسود ، حتى رثى لى العدو الأزرق ، فياحبذا الموت الأحمر "

ومعنى :" ازور المحبوب الأصفر " أى تباعد وأعرض ومال عنى المحبوب الأصفر ، وفى ذكر هذا اللون وقعت التورية ، لأن المعنى القريب للمحبوب الأصفر هو الإنسان الموصوف بالصفرة المحبوبة وازوراره بعده عن ساحة الاتصال ، والمعنى البعيد الذهب الأصفر لأنه محبوب ، وهو المراد فكان تورية .

---

(1) انظر حاشية الدسوقى جـ٤ ص٢٩١ ضمن شروح التلخيص طبع الحلبى .

(2) مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربى جـ٤ ص٢٩٢ ضمن شروح التلخيص .

ومعنى :" واغبر العيش الأخضر " واخضرار العيش كناية عن طيبه و نعومته وكماله ، لأن اخضرار العود والنبات يدل على طيبه ونعومته ، وكونه على أكمل حال يكنى به عن لازمه فى الجملة الذى هو الطيب والحسن والكمال واغبرار العيش كناية عن ضيقه ونقصانه ،وكونه فى حالة التلف ، لأن اغبرار المكان و النبات يدل على الذبول والتغير والرثاثة فيكنى به عن ضيق العيش ونقصانه. ومعنى :" اسودَّ يومى الأبيض " اسوداد اليوم كناية عن ضيق الحال وكثرة الهموم فيه لأن اسوداد الزمان كالليل يناسبه الهموم ووصفه بالبيض كناية عن سعة الحال و الفرح والسرور لأن بياض النهار يناسب ذلك.

ومعنى :" ابيض فودى الأسود " : والفود شعر جانب الرأس مما يلى الأذن وابيضاض فوده كناية عن ضعف بنيته من كثرة الحزن والهم.

ومعنى :" حتى رثى لى العدو الأزرق " أى رق لى وأشفق على ، والأزرق أى الخالص العداوة الشديدة .قيل إن وصف العدو الشديد العداوة بالزرقة لأنة فى الأصل كان أهل الروم أعداء العرب والزرقة غالبة عليهم ثم وصف كل عدو شديد العداوة بها على طريق الكناية وإن لم يكن أزرق .(١)

ومعنى :" فياحبذا الموت الأحمر " أى أحبب بالموت الأحمر ،ووصف الموت بالحمرة كناية عن شدته ،لأن الحمرة تدل على شدته .

فقد جمع الحويرى ألواناً من الاغبرار والاصفرار والاخضرار والاسوداد ، والابيضاض والزرقة والحمرة وكل تلك الألوان فى كلامه كناية عن الإصفرار فإن فيه التورية ، فقد علم من ذلك أن جمع الألوان لا يجب أن يكون على أنها كلها كنايات أو توريات ، بل يجوز أن تجمع على أن بعضها تورية وبعضها كناية.

(١) المقـــــابلـــــة

ومن محاسن لغة القرآن الكريم أننا نرى المتكلم قد جمع فى كلامه بين أكثر من معنين متقابلين على الترتيب وذلك بأن يذكر معنيين فأكثر اولاً ثم يأتى بما يقابل هذين المعنيين أو الأكثر على الترتيب. تأمل قوله تعالى : ﴿ **فليضحكوا قليلاً ، وليبكوا كثيراً** ﴾ (٢) ، نرى الآية الكريمة أتت " بِالضَّحِك " و" القِلَّةِ " أولاً ثم ذكرت ما يقابلها من " البكاء والكثرة " على الترتيب وهذه مقابلة اثنين باثنين.

ومقابلة ثلاثة بثلاثة : كما فى قول أبى دلامةمن شعراء بنى العباس

---

(١) انظر حاشية الدسوقى جـ٤ ضمن شروح التلخيص .

(٢) سورة التوبة الآية ٨٢ .

مَا أَحْسَنَ الدِّينِ والدُّنيا إِذَا اجْتَمعَا   وأَقْبَحَ الكَفْرُ والإفْلاسُ بالرجلِ

أتى الشاعر بالحسن والدين والمعنى المفهوم من الدنيا وهو الغنى ثم أتى بما يقابلها من القبح والكفر والإفلاس على الترتيب. وقد عيب على الشاعر بأن قافيته مستدعاة لأن الإفلاس ليس خاصاً بالرجل وحده وانما هو مشترك بين الجنسين.

وتقول الآية الكريمة : ﴿ **لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم** ﴾ (١) ، أتت الآية بـ" تأسوا " على ما فاتكم " ثم بما يقابلها وهو :(ولا تفرحوا والباء وآتاكم).

وعلى ذلك الآية الكريمة : ﴿ **ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث** ﴾ (٢) ، فجاءت بـ " ويحل ولهم والطيبات " ثم بما يقابلها وهو " يحرم وعليهم والخبائث " . (مقابلة أربعة بأربعة كما فى قوله تعالى : ﴿ **فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى فسنيسره للعسرى** ﴾ (٣)

أتى أولاً بالإعطاء ، والإتقاء ، والتصديق ، واليسر ، ثم أتى بما يقابلها على الترتيب من البخل ،والاستغناء ، والتكذيب ، والعسر.

ومقابلة خمسة بخمسة كما فى قول أبى الطيب:

أزورهم وسواد الليل يشفع لى   وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

أتى :" بالزيادة ، والسواد ، والليل ، والشفاعة ، وله " ثم أتى بما يقابلها من " الإنثناء ، والبياض ، والصبح ، والإغراء به"

. فانثنى يقابل أزورهم ، وبياض يقابل سواد ، والصبح يقابل الليل ، ويغرى يقابل يشفع ، وبى يقابل لى. وقد رجح النقاد بيت أبى الطيب على بيت أبى دلامة بكثرة المقابلة مع سهولة النظم ، وبأن قافية هذا ممكنة (٤) ، وقافية ذاك مستدعاة ، فإن ما ذكره غير مختص بالرحال ، وبيت أبى دلامة على بيت أبى الطيب بجودة المقابلة فإن ضد الليل المحض هو النهار لا الصبح.

---

(١) سورة الحديد الآية ٢٣ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

(٣) سورة الليل الآية ٥-٦-٧-٨-٩ .

(٤) يريدون بالقافية الممكنة ما كانت متمكنة فى مقامها وبالمستدعاة ما كانت مجلوبة للوزن والقافية لا لمقام يقتضيها ، والمقاف فى بيت أبى دلامة يقتضى لفظاً أعم من الرجل .

ومن المقابلة قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) :" إن الرفق لا يكون في شئ إلا زانه ، ولا ينزع من شئ إلا شانه"

(جمع الحديث بين وجود الرفق والزين ، ونزعه والشين.

ومنها قول الذبياني:

فتى تم فيه ما يسر صديقه　　　　على أن فيه ما يسوء الأعاديا

وتشعر بأن الذبياني وصف هذا الرجل بالفتوة وأتبع هذا الوصف بأنه لين الجانب لأصدقائه ومع ذلك فهو شديد الشكيمة على أعدائه وهذا يليق بالفتوة ويتلاحم معها أشد الالتحام.

وهذه المقابلة التى عرضناها تزيد المعانى فى الفكر وضوحاً ، وفى النفس رسوخاً ، وذلك أن تقابل المعانى يؤكد المعنى خير تأكيد ، ويصوره فى الذهن أتم تصوير وأدقه.

وذلك يأتيك بذكر المعنى مرتين ، مرة بلفظه ومرة بضده.

(٣) مراعاة النظير

ومن المحسنات المعنوية :" مراعاة النظير " ويسمى التناسب والتوفيق والإئتلاف والتلفيق.

ويعرفه البلاغيون بقولهم : أن يجمع المتكلم بين أمرين متناسبين أو أمور متناسبة غير متضادة بل متوافقة .ومعنى هذا أن المتكلم يأتى فى كلامه بأمرين أو أمور من واد واحد لصحبة ذلك فى خياله ، أو لمناسبته فى شكل ، أو لترتب بعض على بعض أو ما أشبه شيئاً من ذلك ، ولهذا يخرج الطباق لأنه جمع بين أمرين متفقين فأكثر بالتضاد.

ومراعاة النظير دعوة للخيال أن يكون منظماً متئداً فلا ينتقل فجأة من منظر إلى منظر ومن واد إلى واد ، فيرهق السامع او القارئ إذ يجدانه قد انتقل مثلاً من وصف السماء إلى الأرض ثم عاد إلى السماء ، ومن وصف النظر والبرودة إلى وصف منظر حفلى أو ما شاكل ذلك ، أو يختم الموضوع بما لا يناسب أوله.

ولذا ترى فحول الأدباء يراعون هذه الظاهرة فتضيف إلى أسلوبهم رونقاً وبهاءً.

تأمل قول شاعر النيل حافظ ابراهيم فى رثاء الشيخ محمد عبده :

بكى الشرق فارتجت له الأرض رجة | وضاقت عيون الكون بالعبرات
ففى الهند محزون وفى الصين جازع | وفى (مصر) باك دائم الحسرات
وفى الشام مفجوع وفى الفرس نادب | وفى تونس ما شئت من زفرات
بكى عالم الإسلام عالم عصره | سراج الدياجى هادم الشبهات(1)

فقد جمع بين الهند والصين ومصر والشام والفرس تونس هى أسماء ثم جمع أيضاً بين البكاء والعبرات والحزن والجزع والحسرات وما شئت من زفرات وكلها صفات تدور حول مراد واحد.

ويقول أمير الشعراء أحمد شوقى مخاطباً أبى الهول:

وآنست موسى وتابوته | ونور العصا والوصايا الغرر
وعيسى يلم رداء الحيا | ومريم تجمع ذيل الخفر(2)

(ففى البيت الأول نجده جمع بين موسى عليه السلام والتابوت والعصا والوصايا وكلها تتصل بسيدنا موسى)

وفى البيت الثانى جمع بين عيسى ومريم عليهما السلام.

واسمع إلى قول بعض الأدباء للوزير المهلبى : أنت ايها الوزير اسماعيلى الوعد شعيبى التوفيق، يوسفى العفو محمدى الخلق.

فجمع بين الانبياء الأربعة المرسلين وبين الوعد والتوفيق والعفو والخلق وهى صفات أخلاقية.

ومن بديع هذا الضرب قول ابن رشيق:

أصح وأقوى ما سمعناه فى الندى | من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويها السيول عن الحيا | عن البحر عن كف الأمير

---

(1) ديوان حافظ إبراهيم جـ2 ص 147 صححه أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبيارى – نشر الهيئة العامة للكتاب 1980 .

(2) الشوقيات المجلد الأول ص141 لأحمد شوقى دار الكتاب العربى بيروت .

فقد ناسب فبه بين الصحة والقوة والسماع والخبر المأثور والاحاديث والرواية وكذا ناسب بين السيل والحيا: أى المطر ، والبحر وكف تميم.

ومع ما فى البيت الثانى من صحة الترتيب فى العنعنة اذ جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع فى سند الأحاديث فإن السيول أصلها المطر ، والمطر أصله البحر ، والبحر أصله كف الممدوح على ما ادعاه الشاعر. (١)

ومنه قول الله تعالى ﴿ **الشمس والقمر بحسبان** ﴾ (٢) أى يجريان فى بروجهما بحسبان معلوم المقدار لا يزيدان عليه ولا ينقصان عنه فالشمس تقطع الفلك فى سنة ، والقمر يقطعه فى شهر ، فهو أسرع منها سيراً ذلك تقدير العزيز العليم.

فقد جمع بين آمرين وهما : الشمس والقمر ولا يخفى تناسبهما من حيث تقاربهما فى الخيال.

وتأمل قول أسيد بن عنقاء الغزارى :

كأن الثريا علقت فى جبينه وفى خده الشعرى وفى وجهه البدر

فقد ناسب بين الثريا والشعرى والبدر لأنها كواكب وبين الجبين والخد لأنهما أعضاء

وقال ابن خفاجة إبراهيم بن أبى الفتح فى وصف فرس أشقر.

من جلنار ناضر خده وأذنه من ورق الآس

والجلنار : زهر الرمان ، والآس : الريحان ، والمراد : تشبيه الخد بالجلنار ، والأذن بالآس ، وفيه تناسب الخد والأذن. ومن دقيق هذا النوع قول البحترى فى صفة الابل المهازيل :

كالقسى المعطفات بل الأسهم مبرية بل الأوتار

القسى : جمع قوس ، والمعطفات : المنحنيات ، بل الأسهم : أى بل هى كالاسهم ، وهذا اضراب عن التشبيه الأول بالقسى ، بل الأوتار : أى بل هى كالأوتار ، فهى هزيلة جداً ، وهذا إضراب عن التشبيه الثانى . والمعنى : أن الإبل المهازيل فى شكلها ورقة أعضائها شابهت تلك الأوقاس بل أرق منها وهى الأسهم ، بل أرق منها وهى الأوتار ، والوتر : هو الخيط الجامع بين طرفى القوس.

---

(١) انظر حاشية الدسوقى جـ٤ ص٣٠٣ ضمن شروح التلخيص .

(٢) سورة الرحمن الآية ٥ .

فقد ناسب بين ثلاثة أمور ، وهى : القوس والسهم والوتر وبينها مناسبة ، وفى انتقاله من هذه الأمور ترى الشاعر ينتقل انتقالاً تنازلياً فالقوس أغلظ من السهم المبرى ، والسهم المذكور أغلظ من الوتر ، والوتر أرقها كلها.

تشابه الأطراف

ومن مراعاة النظير ما يسميه بعض البلاغيين تشابه الأطراف وهو : أن يختم الكلام بما يناسب أوله فى المعنى.

تدبر قوله تعالى : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾ (١) فإن عدم ادراك الأبصار له يناسب قوله : اللطيف ، وكونه مدركا للأبصار يناسبه قوله الخبير ، ومناسبة الخبير لادراكه الأبصار ظاهرة لأن الخبير من له علم بالخفيات ، لأن الدرك للشئ يكون خبيراً عالماً.

ويذكر البلاغيون أن من لطيف الختم بالمناسبة وخفيها قوله تعالى : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم ، فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ (٢) ، فإن المناسبة فى بادى الرأى ، وهو أن يقال : " فإنك أنت العزيز الرحيم " مكان " أنت العزيز الحكيم " ، وعند التفطن والتأمل الصائب يفهم أن المناسبة هو ما ذكر وهو " انك أنت العزيز الحكيم " ، وذلك أن المحدث عنهم عصاة يستحقون العقوبة ، والغفران لمن يستحق العقوبة إنما يكون من العزيزأى القاهر الغالب الذى لا يعترض على أمره ، إذ العزيز مإخوذ من عز إذا غلب ثم لما ذكر أن المغفرة للمذنب ، إنما تكون من العزيز الغالب الذى لا اعتراض على أمره

ناسب زيادة الحكيم دفعاً لما يتوهم من أن العفو عن المستحق للعقوبة خال عن الحكمة ، فذكر الحكيم إشارة إلى أن فعله ذلك لحكمة وسر فكأنه يقال : إن تعفوا لهؤلاء المذنبين فأنت أهل لذلك اذ لا أعتراض عليك لعزتك ، ومع ذلك ففعلك لا يخلوا عن حكمة ، ولو أخفيت عن الخلق . (٣)

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٠٣ .

(٢) سورة المائدة الآية ١١٨ .

(٣) انظر واهب الفتاح جـ٤ ص٣٠٥ ضمن شروح التلخيص .

إيهـــام التناســـــب

ويلحق البلاغيون بمراعاة النظير ما يسمونه " ايهام التناسـب ، وهـو : أن يجمع الادب بـين معنيـين غـير متناسبين فى أنفسهما لعدم وجود شئ من أوجه التناسب مـن تقـارن أو دلالـة أو نحـو ذلـك ، ولكـن عـبر عنهما بلفظين بينهما تناسب بأعتبار أصل استعمالهما فى معنييهما ولو لم يقصد المعنيان المتناسبان فى الحالـة الراهنة وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ **والشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان** ﴾ (١) فقد جمعت الآية الكريمة بين الشمس والقمر والوالقمر والنجـم وقـد علمنـا أن الشـمس والقمـر متناسـبان مـن حيـث تقاربهما فى الخيال لكون كلاً منهما جسما ً نورانياً سماوياً.

أما تناسب الشمس والقمر مع النجم معناه الأصلى لأن النجم أيضاً يقترن مع الشمس والقملا من حيث تقارنه معهما فى الخيال لكونه جسماً نورانياً سماوياً مثلهما.

واما باعتبار المراد منه فى هذا الاستعمال فلا يناسـبهما إذ هـو النبـات الـذى لا سـاق لـه مما ينبـت فـى الأرض ، والمراد بسجودهما انقيادهما لما يراد منهما ولأجل أن معنى هذا القسم فى هذه الحالة لا يناسب ، وإنما يناسب باعتبار أصل المعنى الغير المناسب يسمى ايهام التناسب لتخيـل الوهـم فيـه المناسـبة باعتبـار مايتبادر كما مر فى ايهام التضاد.

التفـــــويـــــــف

التفويف هو أن يؤتى فى الكلام بمعان متلائمة فى جمل مستوية المقادير أو متقاربتهـا كقـول مـن يصـف سحاباً.

تسربل وشياً من خـزوز تطـرزت	**مطارفها طرازاً من الـبرق كالتـبر**
فوشـى بـلا رقـم ونقـش بـلا يـد	**ودمع بلا عـين وضحـك بـلا ثغـر**

تسربل : فاعله ضمير يعود على السحاب ، والوشى : الثياب المنقوش ، والخزوز :جمع خز وهو الحرير ، والمطارف : جمع مطرف ، وهو رداء من حزفيه أعلام ، وطرز : جمع طراز والطراز : ما ينسج مـن الثيـاب

---

(١) سورة الرحمن الآية ٥-٦ .

للسلطان والطراز أيضاً : الجيد من كل شئ .، ورقم الثوب : خططه ، والدمع استعارة للمطر ، والضحك: استعارة للبرق. والشاهد فى البيت الثانى لآنه أربع جمل متساوية المقادير ومعانيها متلائمة.

وكقول عنترة العبسي:

إن يلحقوا أكرر وإن يستلحقوا   أشدد وإن نزلوا بضنك أنـزل

والمعنى أنه يجانب قومه فى الحرب إذا خرجوا إليها يخرج ، وله حملات على العدو شرسة ، وإذا طلب قومه النجدة يكون أسرع الفتيان إلى نجدتهم ، فهو معهم أينما كانوا وكيف كانت حالهم.

والشاهد : اجتماع الجمل الثلاث فى البيت.

ويقول ابن زيدون أبو الوليد أحمد بن عبد الله.

ته أحتمل واحتكم اصبر وعز أهن   ودل أخضع وقل أسمع ومر أطع

ته : بمعنى تكبر ، وعز : بمعنى صر عزيزاً ، ودل أمر من الدلال ودلال المرأة على زوجها تصنع الخلاف وما بها من خلاف.

والشاهد فى اجتماع هذه الجمل الست.

ويقول عبد السلام بن رغبان الحمصى المعروف " بديك الجن"

احل وامرر ، وضر وانفع ، ولن واخـ   شن ورش وابر وانتدب للمعالى

ومعنى راش : أصلح والمراد اعن واغن ، وأبر : أمرمن برى السهم نحتة والمراد أفقر ، وأنتدب: دعاه فأجاب .

والشاهد اجتماع هذه الجمل الخمس ، والخطيب القزوينى يرى أن ما يسميه الناس" التفويف " بعضه يرجع إلى مراعاة النظير كما فى البيت الأول فى وصف السحاب . وبعضه من المطابقة

كما فى قول ديك الجن .(١)

*****

(١) انظر الايضاح مع البغية جـ٤ ص٢٠-٢١ ، طبع المطبعة النموذجية نشر مكتبة آداب القاهرة .

(٤) الارصـاد أو التسهيـم

يقول بن المقفع وهو يوصى الأدباء:

"وليكن فى صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذى إذا سمعت صدره عرفت قافيته " تلك كانت الإشارة الأولى إلى هذا المحسن البديعى المعنوى.

والارصاد يحرك السامع والقارئ ويشوقهما لمتابعة الأديب ومشـاركته وفـى ذلـك مـا يؤكـد المعنـى فـى الذهن ويثبته فى النفس.

ومن هنا نرى الشعراء يفخرون به.

يقول ابن نباتة الخطيب:

خذ إذا أنشدت فى القوم من طرب ... صدورها عرفت فيها قوافيها

وسمى هذا النوع " بالإرصاد " لأن السامع يرصد ذهنه للقافية بما يدل عليها فيما قبلهـا ، وسمـى أيضـاً " بالتسهيم " لأن المتكلم يصوب ما قبل عجز الكلام إلى عجزه ، والتسهيم تصويب السهم إلى الغرض.

ويقولون فى تعريفه : هو أن يؤتى قبل العجز من الفقرة أو البيت بمـا يـدل عليـه إذا عـرف الـروى أو أن يكون ما تقدم من الكلام دليلاً على ما تأخر أو بالعكس (١) [تأمل قول الله عز وجل : ﴿ **وما ظلمهـم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ (٢) ، والارصاد فى لفظ " وما ظلمهم " لأنـه يـدل علـى أن مـادة العجز من مادة الظلم ، إذ لا معنى لقولنا مثلاً : وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم ينفعون أو يمنعون من الهلاك أو نحو ذلك ، ويعين كون المادة من الظلم مختومة بنون بعد واو معرفة الروى الكائن فيمـا قبـل الآيـة وهو قوله تعالى : ﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾

ويقول عمرو بن معد يكرب:

إذا لـم تستطـع شيئـاً فدعـه ... وجاوزه إلـى مـا تستطيـع

(فقوله : إذا لم تستطع " إرصاد " لأنه يدل على أن مادة العجز من مادة الإسـتطاعة المثبتـة إذ لا يصـح أن يقال : إذا لم تستطع سيئاً فدعه وحاوزه إلى مالا تستطيع ، أو حاوزه إلى كل مـا تشـتهى أو نحـو ذلـك

---

(١) انظر عسروس الأفراح جـ٤ ص ٣٠٦-٣٠٧ ضمن شروح التلخيص .

(٢) سورة النحل الآية ٣٣ .

والذوق السليم شاهد صدق على ذلك ومعرفة الروى تدل على أن تلك المادة تختـم بعين قبلهـا يـاء وليـس ذلك إلا لفظ تستطيع وهو ظاهر . (١)

ويقول زهير بن أبى سلمى:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمـانين حـولاً لا أبالك يسأم

و الإرصاد فى قوله " سئمت " لأنه يدل على ان مادة العجز من مادة السآمة.

ويقول البحترى:

احلت دمى من غير جرم وحرمـت بـلا سـبب يـوم اللقـاء كلامـى

فليـس الـذى حللتـه بمحلـل وليـس الـذى حرمتـه بحـرام

فحرمته إرصاد يدل على أن العجز حرام إذا عرف أن الروى الميم ، وأن القافية على وزن فعال كسلام وكلام فمن لم يعرف أن القافية مثل سلام وكلام ربما توهم أن العجز بمحرم.

(٥) المشـاكلـة

قالوا فى تعريفها : هى ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقاً أو تقديراً.

فمثال الأول قول الشاعر أحمد الإنطاكى:

قالوا : اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت : اطبخوا لـى جبة وقميصاً

والمعنى :خيطوا لى جبة وقميصاً ولكنه عبر عنها بقوله :" اطبخوا لى " وذلك لوقوعها فى صحبة قوله :" طبخه " المذكور حقيقة.

فالشاعر أراد من وراء هذه المشاكلة – بطريق لطيف – تحقيق أشياء فى نفسه ، وهى : الإتقان فى الخياطة وحسن اختيار الجبة والقميص ، قياساً على إتقانهم الطبخ ، وحسن اختيـارهم لـما يطبخونـه.

وعليه قوله تعالى : ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها** ﴾ (٢) ، فالجزاء عن السيئة فى الحقيقة ليس سيئة مثلهـا ،

---

(١) انظر شروح التلخيص جـ٤ ص٣٠٨ .

(٢) سورة الشورى الآية ٤٠ .

والأصل : وجزاء سيئة عقوبة مثلها.

ومثله قوله تعالى : ﴿ **ومكروا ومكر ا لله وا لله خير الماكرين** ﴾ (١) ، والأصل أخذ بمكرهـم ، وقولـه تعالى : ﴿ **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** ﴾ (٢) ، والمراد عاقبوه ، فعدل عن ذلك ، لأجل المشكلة اللفظية.

والتعبير بأسـلوب المشـاكلة فـى مثـل هـذه الآيـات فـى قمـة البلاغـة ، إذ أن هـذا الأسـلوب يوحـى إلى القارئ أو السامع بما لا يستطيع أن يدل عليه اللفظ الحقيقى لأن تسمية جـزاء السيئة ، سيئة الغـرض منـه التنبيه على أن العمل فى نفسه سوء ،كما يوحى بأن مقابلة الشر بالشر ، وإن كانت مباحة هى سيئة يجدر بالإنسان الكامل أن يترفع عنها ، وكأنه بذلك يشير ، إلى أن العفو أفضل وأولى من الجزاء أو القصاص .

ومثله تماماً قوله : ﴿ **فمن اعتدى عليكم فـاعتدوا ....** ﴾ وأمـا " مكـر ا لله " فإشـارة إلى أن ا لله يفعل بهم كما يفعل الماكر الماهر ، يمدهم فى طغيانهم يعمهون ثم يأخذهم بذنوبهم.

وقال أبو تمام:

مـن يبلغ أفنـاء يعـرب كلهـا ... أنـى بنيت الجـار قبـل المنزل

يريد : أنه اختار الجار الذى يجاوره قبل أن يبنى المنزل – فالمناسب للجار كلمة " اختار" ولكـن لم يعبر بها ، بل عبر بكلمة بنى لأن الاختيار وقع فى صحبة البناء تحقيقاً.

وبلاغة المشاكلة فى البيت تفيد بأن اختيار الجار الطيب ليـس بـالآمر السـهل ، ولكنـه يحتـاج إلى تريـث وتمهل وجهد مثل ما يحتاج البناء بل أكثر ، فبناء الرجال أصعب وأشد من بناء المصانع والبيوت.

ومثال الثانى : وهو ما يكون مذكورا بلفظ غيره لوقوعه فى صحبه ذلك الغير تقديراً ، وذلك نحو

قوله تعالى ﴿ **قولوا آمنا با لله ومـا أنـزل إلينـا ، ومـا أنـزل إلى إبراهيـم وإسمـاعيل واسـحق ويعقـوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين آحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم فى شـقاق فسيكفيكهم ا لله وهـو السـميع العليم ، صبغة ا لله ومن أحسن من ا لله صبغـة** ﴾ (٣) فالآيـات تشـير إلى أن النصـارى كـانوا يغمسـون

---

(١) سورة آل عمران الآية ٥٤ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٣٦-١٣٧-١٣٨ .

أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ، يقولون : هو تطهير لهم : فأمر الله المسلمين أن يقولوا لهم : قولوا آمنا بالله ، وصبغنا الله بالايمان حقيقة ، و لم نصبغ صبغتكم وقدجئ بلفظ " الصبغة " للمشاكلة و لم يتقدم لفظها فى كلام الله ولا كلام النصارى ، ولكن القرينة من غمسهم أولادهم فى الماء الأصفر تفيد أن يكون الغمس صبغاً ، وان لم يتمكنوا به فالآية : " صبغة الله " جات فى صحبة ذلك السياق ، فكأن لفظ الصبغ مذكور لأن غمس النصارى أولادهم فى ماء أصفر يستحق أن يقال له صبغة لأن الماء الأصفر شأنه أن يغير لون ما أدخل فيه إلا أنه لم يذكر ذلك اللفظ دالا على ذلك المعنى فى الآية إلا أننا نفرض أنه وجد ذلك اللفظ دالا على ذلك المعنى.

(٦) الاستطــــــراد

إن ترابط الأسلوب هو غاية البلاغة العربية ، لذلك كان حسن الانتقال من معنى إلى معنى ميداناً خصباً يتبارى فيه الأدباء ومن هنا نوّه البلاغيون به وأطلقوا على هذه الظاهرة اسم " الاستطراد."

(وقال فى تعريفه : هو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل لذكر الثانى كما فى قول الحماسى السموءل بن عادياء:

وإنا لقوم لا نرى القتلى سبة ... إذا ما رأته عامر وسلول

أراد الشاعر مدح نفسه فاستطرد لذم قبيلتين.

وعليه قوله تعالى : ﴿ **يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوئاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون** ﴾ (١) ، قال الزمخشرى : وأورده على سبيل الاستطراد عقيب ذكر خصف الأوراق وما معه إظهاراً للمنة فيما خلق الله من اللباس.

وقد يكون الثانى هو المقصود فيذكر الأول قبله ليتوصل به إليه كقول أبى إسحاق الصابى :

إن كنت خنتك فى المودة ساعة ... فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت أن له شريكاً فى العلى ... وجحدته فى فضله التوحيدا
قسماً لو أنى حالف بغموسها ... لغريم دين ما أراد مزيدا

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٦ .

وجحدته فى فضله التوحيدا : يعنى توحيد الناس إياه فى الفضل والغموس اليمين الكاذبـة التـى يتعمدهـا صاحبها ، يعنى أنه أقسم له على عدم خيانته بيمين لو حلف بها لصاحب دين على براءة ذمته لاكتفى بهـا لأن عظم شأنها وإثمها يقوم عنده مقام دينه ، والشاهد ذكره حديث خيانتـه ليتوصـل بـه إلى مـدح سيف الدولة ، والبلاغيون يسمون الحالة الأخيرة باسم " إيهـام الإستطراد " وهـو حسـن التخلـص عنـد الشـعراء حينما ينتقلون من غرض إلى غرض أو من معنى إلى معنى.

****

يقول الشيخ عبد القاهر مشيراً إلى جمال المزاوجة : " واعلم أن مما هو أصل فى أن يدق النظر ويغمض المسلك فى توخى المعانى التى عرفت أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها فى بعض ويشتد ارتباط ثان منها بأول وأن يحتاج فى الجملة إلى أن تضعها فى النفس وضعاً واحداً ، وأن يكون حالك فيها حال البانى يضع بيمينه ههنا فى حال ما يضع بيساره هناك . نعم وفى حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين ، وليس لما شأنه أن يجئ على هذا الوصف حد يحصره وقانون يحيط به فإنه يجئ على وجوه شتى وأنحاء مختلفة.

فمن ذلك أن تزاوج بين معنيين فى الشرط والجزاء معاً كقول البحترى:

إذا ما نهى الناهى فلج بى الهوى　　　أصاخت إلى الواشى فلج بها الهجر

[فهذا نوع] [1]

ومعنى ازدواج المعنيين الواقع أحدهما شرط ، والآخر جزاء أن يجمع بينهما فى بناء معنى من المعانى على كل منهما ، فإذا بنى معنى على كل منهما فقد ازدوجا أى اجتمع ذلك الشرط وذلك الجزاء فى ذلك المعنى الذى بنى عليهما.

ومعنى المزاوجة فى البيت الأول : إذا ما نهى الناهى : إى إذا نهانى الناهى عن حبها وزجرنى الزاجر عن التوغل فى ودها ، صار الهوى لا زمالى ومن صفاتى ، وأصل اللجاج كثرة اللجاج والخصومة .

(وعطف الشاعر الفعل " فلج " على الفعل " نهى" وجوب الشرط " أصاخت " ومعنى أصاخت: واستمعت إلى الواشى وهو النمام الذى يشى حديثه ويزينه ويأتى به على وجه يقبل حين ينقله على وجه الإفساد بين الناس وبين الإحباء خصوصاً ومعنى استماعها لحديث الواشى قبولها له " فلج بى الهجر " أى استمعت فترتب على استماعها وقبولها لحديث الواشى لجاج الهجر بها والتباعد عن الوصال.

فنهى الناهى شرط ترتب عليه لزوم الهوى ، وإصاخة الواشى جوابه رتب عليه لزوم الهجر بها ، فقد صدق أن هذا الشرط الذى هو :" نهى الناهى " وجوابه الذى هو إصاختها للواشى معنيان : وقع أحدهما فى مكان الشرط أى بعد أداة الشرط فصار شرطاً ، ووقع أحدهما فى مكان الجواب بربطه بالشرط فصار

[1] دلائل الإعجاز للشيخ عبد القادر الجرجانى ص ٧٥ طبع صبيح سنة ١٩٦٠م الطبعة السادسة ـ نشر وتصحيح السيد محمد رشيد رضا .

جواباً ، وقد جاوز بالجمع بينهما فى معنى مرتب عليهما معاً ، وهو لزوم شئ لهما معاً لأنهما اشتركا فى هذا المعنى وهو كاف فى الاجتماع والإزدواج وإن كان اللازم للشرط هو الهوى واللازم للجواب هو الهجر.

فواضح أن معنى المزاوجة بين المعنيين فى الشرط والجزاء : أن يجمع بين الشرط والجزاء فى ترتب لازم من اللوازم عليهما معاً.

ولا يخفى أن جمال المزاوجة كامن فى ترابط الأسلوب وكأن البيت كلمة واحدة ولذلك جعله الشيخ عبد القاهر من النظم الذى يدق فيه الصنع.

ومعنى البيت الثانى : إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها..........

(احتربت بمعنى تحاربت ، والمعنى : إذا تحاربت هذه الفرسان وتقاتلوا فاضت دماؤها التى سكبوها فى القتال ، ثم إذا تذكرت ما بينهم من القرابة الجامعة لهم فاضت دموعها على من قتل إشفاقاً على قطيعة الرحم ، فزاوج بين الاحتراب وتذكر القربى الواقعين فى الشرط والجزاء فى ترتب فيضان شئ عليها ، فالمترتب على الشرط فيضان الدماء ، والمترتب على الجزاء فيضان الدموع.

(٨)العكـــس والتبديـــل

العكس والتبديل هو أن تقدم فى الكلام جزءاً ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت.

ويقع هذا العكس على وجوه:

الوجه الأول : أن يقع بين أحد طرفى جملة وما أضيف إليه ذلك الطرف ، مثل : " عادات السادات سادات العادات " ومعناها : أن العادة الصادرة من أفعال من هو سيد من الناس ، هى العادة الحسنى التى تستحق أن تكون سيدة العوائد ، و" عادات السادات " عادات مبتدأ مضاف والسادات مضاف إليه ، هذا أحد طرفى الجملة ، وقد وقع العكس بينهما فقدم لفظ " السادات " على " العادات " أى قدم ما كان مؤخراً منهما وأخر ما كان مقدماً ، فقدم العادات على السادات أولاً ثم قدم لفظ السادات على العادات ثانياً فصار الطرف الأول الذى هو المبتدأ مضافاً إليه فى الخبر ، وصار المضاف إليه أولاً هو المضاف الذى هو الخبر، فصارت الجملة كاملة :" عادات السادات سادات العادات"

ومثله قولهم :" كلام الإمام إمام الكلام. "

الوجه الثاني : أن يقع بين متعلقى فعلين أو ما فى معناهما فى جملتين نحو قولـه تعـالى : ﴿ **ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى** ﴾ (1) ، فأنت ترى أن الآية الكريمة قدمت الحى على الميت أولاً ثم قدمت الميت على الحى ثانياً.

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ **يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى** ﴾ (2) ، ومخرج فى معنى" الفعل" كما هو واضح.

وقوله تعالى : ﴿ **تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل ، وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى** ﴾ (3) .

والمعنى :" تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل " أى تدخل ما نقص فى أحدهما من الآخر ، وقيل المعنى : تعاقب بينهما ، يكون زوال أحدهما ولو جاء فى الآخر.

وقوله :" وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى " ، قيل المراد إخراج النخلة من النواة ، والنواة من النخلة ، والحبو من السنبلة و السنبلة من الحبة ، وقيل المراد : إخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن (4).

ويقول الحماسى وهو عبد الله بن الزبير الأسدى:

فود شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سوداً

فترى الشاعر قدم " السود " على " البيض " أولاً ثم قدم البيض على السود ثانياً.

والضمير فى شعورهن – لنسوة آل حرب فى قوله قبله:

رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سموداً

(وحرب جد معاوية بن أبى سفيان . والحدثان : الدهر ، والمقدار : القدر ، وسمدن : ذهلن.

---

(1) سورة يونس الآية ٣١ .

(2) سورة الأنعام الآية ٩٥ .

(3) سورة آل عمران الآية ٢٧ .

(4) فتح القدير للشوكانى ص ٣٣٠ المجلد الأول نشر دار التعارف - بيروت .

الوجه الثالث : أن يقع العكس بين لفظين موجودين فى طرفى جملتين ، (تأمل قوله تعالى:

﴿ **لاهن حل لهم ، ولا هم يحلون لهن** ﴾ [1] .

فهاتان جملتان فى كل منهما لفظان هما الضميران ، أحدهما ضمير جمع الذكور وهو " هم" والآخر ضمير الإناث وهو" هن " وقد وجد ما للإناث منهما فى الطرف الأول الذى هو المسند إليه من الجملة الأولى ، ووجد ما للذكور فى الطرف الثانى الذى هو المسند من تلك الجملة.

وعكس ذلك فى الجملة الثانية فوجد ما للذكور فى الطرف الأول منهما وما للإناث فى الطرف الثانى منهما.

وقوله تعالى : ﴿ **ما عليك من حسابهم من شئ ، وما من حسابك عليهم من شئ** ﴾ [2] .

ففى القول الكريم جملتان : فى الجملة الأولى قدم " ما عليك " على "من حسابهم من شئ " وفى الجملة الثانية قدم " من حسابهم " على " عليهم من شئ. "

(ومنه قول الحسن البصرى :" إن من خوفك حتى تلقى الأمن خير ممن آمنك حتى تلقى الخوف"

فواضح أنه قدم الخوف على الأمن فى الحملة الأولى وفى الجملة الثانية قدم " الأمن " على " الخوف. "

وقول أبى الطيب:

فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله ... ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

فواضح أن الشاعر قدم " المجد " على " المال " فى الشطر الأول وفى الشطر الثانى قدم " المال " على " المجد. "

وقول الشاعر:

إن الليالى للأنام مناهل ... تطوى وتنشر دونها الأعمار

فقصارهن عن الهموم طويلة ... وطوالهن مع السرور قصار

---

[1] سورة الممتحنة الآية ١٠ .

[2] سورة الأنعام الآية ٥٢ .

فواضح أن العكس فى البيت الثانى فقد قدم " فقصارهن على طويلة " فى الشطر الأول وفى الشطر الثانى قدم " طواهن على قصار."

(٩) الرجــــوع

ومن المحسنات المعنوية " الرجوع " ويعرفه البلاغيون بقولهم : هو أن يرجع الاديب إلي نقض

الكلام السابق وإبطاله لنكته بلاغية كإظهار التحسر والتحزن ، فإذا كان الشاعر متولها بحب شيء تراه كالمغلوب علي عقله فربما ظن ان الشئ واقع وليس بواقع فإذا أخبر بشئ واقع لكونه مرغوباً لـه ، ثـم يعود لإبطاله بلاخبار بالحقيقة يظهر من ذلك أنـه عـاد للصـدق كرهـاً ، وفي ضمـن ذلـك التأسـف علـي فـوات مارغب فيه.

وابطال الكلام السابق تارة يكون بلفظ "بلي"وتارة يكون بلفظ "لا" وتارة يكون بلفظ "استغفر الله"

تأمل قول زهير بن أبى سلمى:

قف بالديار التي لم يعفها القدم ... بلـى وغيرها الأرواح والديـم

يريد الشاعر : أن ديار محبوبته لم يستوى آثارها قدم عهد أصحابهـا لقـرب زمـان انتقـالهم عنهـا ، هـذه أمنيته ، لأن قرب الأثر مما تستنشق منه رائحة المحبوب ، ويقرب به وقت اللقاء ، ولكـن الشـاعر رجـع عـن هذا مظهراً أنه توله فى الحب حتى أخبر بغير الواقع للرغبة فيه ، وفـى ضمـن ذلـك التحسـر والتحـزن علـى فواته ، وأنه ما عاد إلا كارهاً بدليل أن الصورة التى فى ذهنه ونطق بهـا أولاً وهـى المرغـوب فيهـا ولذلـك نراه أبطلها متأسفاً على عدم قرب لقاء أحبته.

والارواح:جمع ريح،والديم:جمع ديمة وهى السحابة ذات المطر الكثير سميت بذلك لدوامهاغالباً

ومثله : فإن لهذا الدهر لا بل لأهله

ومثال الرجوع لنقض الكلام السابق قوله:

تـنزه طرفـى فـى تعابـيرك الغـر ... وجـال بهـا فكـرى مـن السـطر

فاخلتهــا إلا حدائــق بهجــة ... للسطر مكللة الأرجـاء بـالزهر لـلزهر

ولكنهــا اســتغفر الله نســخة ... مزينــة الأرقــام بــالدر والتــبر

طربـت بهـا لمـا فهمـت نقوشـها ... كما يطرب النشـوان مـن لـذة الخمـر

(١٠) التـــوريـــة

قالوا : إن التورية ، وتسمى الإيهام أيضاً هى : أن يطلق لفظ له معنيان : قريب وبعيد ، ويراد البعيد منهما اعتماداً على قرينة خفية كما فى قول الشاعر:

جودوا لنسجــع بالمديــح علــى علاكــم سرمــدا

فالطــير أحســن ما تغـردعندمــا يقـــع النــــدى

فلفظ " الندى" فيه تورية ، لأن له معنيين ، معنى قريب وهو البلل الـذى يتسـاقط آخـر الليـل ، والمعنـى البعيد وهو : الكرم ، وهو المراد والقرينة قوله :" جودوا " قبله.

ويقسمونها قسمين : مجردة ومرشحة.

ويقولون : إن المجردة هى التى لم تقترن بشئ يلائم المعنى القريب كما فى قوله تعالى:

﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ [1] ، فلفظ استوى له معنيان : قريب وهو : الإستقرار فـى المكـان وبعيد وهو الاستيلاء على الشئ بالقهر والغلبة والمراد فـى الآيـة المعنـى البعيـد - والقرينـة علـى أنهـا توريـة استحالة المعنى القريب على ا لله تعالى : وواضح أن التورية فى هذه الآية لم تقترن بشئ يلائم المعنى القريـب

وقال الشاعر:

قـد استـوى بشر علـى العـراق　　　مـــن غيــر سيف ودم مهــراق

فهو يريد أن بشراً استولى على العراق واحتله دون قتال أو مقاومة والتورية فى لفظ " استوى"

والمعنى القريب له الاستقرار فى مكان و لم يذكر ما يلائمه فهى تورية مجردة والمعنى البعيد هـو : اسـتولى على العراق واحتله ، وهو المراد.

وسميت "مجردة" لأنها جردت عما يرشح خفاءها - وهو ذكر ما يلائم المعنى القريب.

والمرشحة : هى التى ذكر فيها شئ يلائم المعنى القريب المورى بـه عـن المعنـى البعيـد المـراد سـواء ذكـر الملائم قبلها أو بعدها.

---

[1] سورة طه الآية ٥ .

كقول الشاعر:

أقول وقد شنوا إلى الحرب غارة ... دعونى فإنى أكل العيش بالجبن

فالبيت وردت فيه كلمة الجبن ولها معنيان : قريب وهو الطعام المصنوع من اللبن وهو غير مراد ، وقد رشح بكلمة " آكل " و بعيد وهو : الجبن الذى يقابل الشجاعة وهو المراد والقرينة هى " وقد شنوا إلى الحرب غارة " والتورية ومرشحة لأنه قد ذكر معها ما يلائم المعنى القريب كما ترى.

ومثله قول القاضى عياض يصف ربيعاً وقعت فيه برودة:

كأن كانون أهدى من ملابسه ... لشهر تموز أنواعاً من الحلل

أو الغزالة من طول المدى خرفت ... فما تفرق بين الجدى والحمل

*كانون من أشهر السنة الشمسية يقع فى البرد –وكانون الأول : ديسمبر وكانون الثانى يناير.

وتموز يقع فى زمن الدفء وهو : يوليو . والحلل جمع حلة وهو كل ثوب جديد . الغزالة الشمس والمراد : قل عقلها . الجدى : برج البرد ، والحمل برج الدفء.

والتورية المرشحة فى " الغزالة " فإن معناها القريب : الظبية والمعنى البعيد هو: الشمس ، وهو المراد. وقد قرنت التورية بما يلائم القريب وهو قوله " خرفت " وكذلك ذكر الجدى والحمل . وفى كل من الحمل والجدى تورية مجردة أيضاً ، وقيل أنها ورشحة بالتورية السابقة.

واستمع إلى قول صلاح الصفدى:

لما زها زهر الربيع بروضه ... وغدا له فضل ينير لديه

قام الحمام خطيباً له بالهنا ... وجرى الغدير فخر بين يديه

ففى البيت الأخير لفظ " خر " له معنيان : الأول صوت الماء وهذا هو المعنى القريب غير المراد مع وجود ما يرشحه من ذكر كلمة جرى التى تناسب الخرير ، والمراد المعنى الثانى البعيد المستور وهو " خر " بمعنى خضع " والتورية مرشحة اذكر ما يلائم المعنى القريب.

هذا وبلاغة التورية تأتى من جهة أنها تحوج إلى إعمال الفكر ولطف فى الفهم ، والشئ إذا نيل بعد إعمال فكر كان آكد فى الذهن وأثبت فى النفس.

(١١) الاستخــــــدام

قالوا فى تعريفه : أن يكون فى التركيب لفظ له معنيان فيراد باللفظ معنى وبضميره المعنى الآخر.

أو يكون للفظ ضميران فيراد بأحدهما معنى وبالآخر المعنى الآخر وعلى هذا يتناول الكلام ما كان فيه المعنيان المرادادن أن معا باعتبار اللفظين حقيقيين ، وما كانا فيه معاً مجازين ، وما كـان فـى أحدهمـا حقيقة والآخر مجازاً.

وكذا إذا كان له معان متعددة يجوز أن يطلق على أحدهما حقيقة أو مجازاً ، ويكون إعادة الضمير كلها استخدام و على ذلك يكون له وجهان:-

الوجه الأول: -

وهو أن يراد باللفظ أحد المعنيين ، ويراد بالضمير معناه الآخر ويقول معاوية بن مالك يصف رياستهم وتصرفهم فى بلاد الناس كيف شاءوا:-

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وان كانوا غضابــــاً

والمعنى أنهم يتصرفون فى بلاد الناس ما شاءوا من الرعى ، ولا يعترض عليهم أحد ، ولا يستطيع منعهم بل يرعون الكلأ بأرضهم ، وإن غضبوا فقد وصف الشاعر رياستهم بالسيطرة والغلبة ، حتى أنهم يرعون كلأ الناس من غير رضاهم.

وأراد الشاعر بالسماء المطر وهذا هو معنى اللفظ الأول مجازاً مرسلاً كمـا علمنـا وأراد بالضمـير فـى" رعيناه " الذى يعود على السماء - النبات ، والنبات أ حد معنيى السماء لأنـه مجـاز مرسـل عنـه باعتبـار أن المطر سببه ، وسوغ عود الضمير على النبات وإن لم يتقدم له ذكر - فقد ذكر سببه وهو " السماء " التـى اريد بها المطر.

الوجه الثانى: -

وهو أن يراد بأحد ضميرى الفظ معنى وبضميره الثانى معنى آخر.

وذلك مثل قول البحتري:-

فسقى الغضا والساكنة وإن هم   شبوه بين جوانح وضلوع [1]

والمعنى يدعوا الشاعر أن يسقى الله الشجر المسمى بالغضا بحيث ينزل الغيث فى خلاله.

ويسقى الله الساكنين فى الغضا والمراد به المكان النابت فيه.

ثم بين أنه يطلب الغيث للساكنيين فيه ، وإن عابوه ، فقال : " وإن هم شبوه بين جوانح وضلوع"

أى فطلب لهم الغيث قضاء لحق الصحبه ، وإن شبوه أى أوقدواه ، والضمير للغضا بنعنى النار التى تتوقد فيه ، إذ يقال له غضا أيضاً لتعلقها به.

والحاصل أنه ذكر الغضا أولا بمعنى الشجرة ، وأعاد عليه الضمير أولا بمعنى المكان التابت فيه ،

وأعاد عليه الضمير ثانياً بمعنى النار الموقدة فيه وإطلاق الغضا على كل من المكان النابت فيه ، والنار الموقدة فيه مجازاً.

والجوانح : الأضلاع التى تحت الترائب وهى مما يلى الصدر . والضلوع : مما يلى الظهر ومفرده جانحة.

ثم إن شب نار الغضا فى قلبه معناه : تعذيبه بالحب وإذابته به فكأن أحشاءه تحترق من شدته كما تحرق بنار الغضا [2].

وبلاغة الاستخدام تأتى من ناحية عمل الفكر فى الأسلوب ، وهذا يشهد بعبقرية اللغة.

وقيل الإستخدام أن تقع الكلمة المحتملة لمعنيين متوسطة بين لفظين : أحدهما لمعناها الآخر كقوله تعالى : **﴿ لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت ﴾** فإن كتاب يحتمل الأمد المحتوم ، ويحتمل المكتوب – ولفظ " أجل " إستخدام للمعنى الأول ، ولفظ" يمحو " استخدام للثانى [3] . لأن كلا منهما عين المعنى المقصود.

---

[1] فى الديوان : وقلوب بدل وضلوع . جـ١ ص ٢٤٦ تحقيق حسن كامل الصيرفى فى دار المعارف .

[2] حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٤ ص ٣٢٨

[3] انظر عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص جـ٤ ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ وانظر أيضاً تحرير التحبير لابن أبى الأصبع ص ٢٧٦ تحقيق د . شرف طبع المجلس الأعلى .

(١٢) اللـــف والنشـــر

اللف والنشر وهو ذكر متعدد سواء كان اثنين أو أكثر إما مفصلاً وإما مجملاً ثم يذكر ما لكل

واحد من ذلك المتعدد من غيرتعيين واحد منها للآخر ثقة بأن السامع يرده إليه بقرينة لفظية كأن يقال: رأيت الشخصين ضاحكاً وعابسة فتأنيث "عابسة" يدل على أن الشخص العابس هو المرأة ، والضاحك هو الرجل ، أو بقرينة معنوية ، كأن يقال " لقيت الصاحب والعدو فأكرمت وأهنت " فمعلوم أن القرينة هنا معنوية ، وهى أن المستحق للإكرام هو الصديق وللإهانة العدو.

وهو على أقسام:-

١- اللف متعدد على جهة التفصيل : والنشر على ترتيبه بأن يجعل الأول للأول ، والثانى للثانى على هذا الترتيب.

تأمل قول الشاعر:

وكم من قارئ منها وقارى ... أضر بالجفون وبالجفان

فاللف : قارئ وقارى - والنشر : " بالجفون لأنه راجع إلى القارئ ، لما يحصل من الخشوع ولين القلب بقراءته ، وأيضاً قوله " وبالجفان " ، لأنه راجع إلى القارى من القرى ، فلفهما أولاً ، ثم نشرهما بعد ذلك والجفان : القدور.

وقول الآخر:

ألست أنت الذى من ورد نعمته ... وورد حشمته أجنى وأغترف

فاللف قوله : " من ورد نعمته وورد حشمته " والنشر قوله : أجنى وأغترف ، فأجنى بيان للورد الذى استعاره للنعمة و"أغترف" بيان للورد الذى استعاره للحشمة [1].

---

[1] انظر كتاب الرازى المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز لابن حمزة العلوى جـ٢ ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ مطبعة المقتطف القاهرة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م .

ومنه قول الرومي:

آراؤكـم ووجوهكـم وسـيوفكم	**فـي الحادثـات إذا دجـون نجـوم**
فيهـا معـالم للهـدى ومصـابح	**تجلـو الدجـى والأخريـاترجوم**

دجون بمعنى : أظلمن ، وضمير "دجون" للحادثات . والمعالم جمع معلم وهو ما يستدل به على الطريق ، والدجى : جمع دجية وهى الظلمة ، وهذا يرجع إلى الوجوه ، والرجوم الشهب ، وهـذا يرجع إلى السيوف.

ومنه قوله تعالى:

﴿**ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيـه ولتبتغـوا مـن فضلـه**﴾ [1] ، فجمـع بـين الليـل والنهار بواو العطف ، ثم بعد ذلك أضاف لكل واحد منهما ما يليق به ، فأضاف السكون إلى الليـل ، لأن حركات الخلق تسكن ليلاً لأجل النوم ثم قال بعد ذلك ﴿ **ولتبتغوا من فضله** ﴾ أضـاف إلى النهـار ، لأن ابتغاء الأرزاق إنما يكون نهاراً بالتصرق والاضطراب، واكتفى فى الإضافة بما يعلم فى ظـاهر الحـال ، وهـو أن السكون مضاف إلى الليل ، لما فيه من الإستراحة بترك التصرفـات ، وأن الابتغـاء مضـاف إلى النهـار لمـا يظهر فيه من الحركة ، ولم يقل جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ، والنهار لتبتغوا من فضله ، إيثاراً لما يظهر فـى اللف بعد النشر من البلاغة وحسن التأليف [2].

قال أبو الفتيان محمد بن سلطان المعروف بابن حيوس:

فعـل المـدام ولونهـا ومذاقهـا	**فـى مقلتيـه ووجنتيـه وريقـه**

والمدام : الخمر ، وفعلها : سلب العقل ، ولونها : الحمرة المشربة بسواد ، وإلى الأول يرجع قوله: "فى مقلتيه "، وإلى الثانى قوله :"ووجنتيه " ، وإلى الثالث قوله :" وريقه. "

٢ـ اللف متعدد على جهة التفصيل ، والنشر على غير ترتيبه بأن يكون الأول من النشر للآخر من اللف، الثانى من النشر للذى يليه الآخر من اللف ، والثالث للـذى يليـه مـا قبـل الآخـر مـن اللـف وهكـذا. يقـول للشاعر:-

---

[1] سورة القصص الآية ٧٣ .

[2] الطراز جـ٢ ص ٤٠٤ - ٤٠٥ .

كيف أسلو وأنت حقف وغصن وغزال لحظاً وقــدا ردفـــا

كيف أسلو : كيف أصبر عنك وأتخلص من حبك والاستفهام للانكار والنفى أى لا أسلو عنك ،

وأنت حقف : الخطاب لامراته . والحقف : الرمل المجتمع المستدير ، يشبه به ردف المحبوب أى عجيزته فى النظم والأستدارة . " وغصن وغزال " أى وأنتِ مثل الغصن ومثل الغزال.

ولما كان هنا تقدير مضاف إذ الأصل كيف أسلو وردفك مثل الحقف ، وقدك مثل الغصن ولحظك مثل الغزال ، أى مثل لحظ الغزال ، ووقع الإبهام بحذف ذلك المضاف إحتيج إلى تمييز ، فأتى بالتميزات على حسب هذه التقادير فقيل : لحظا وقدا وردفا أى من جهة اللحظ ، ومن جهة القد ، ومن جهة الردف.

- والمعنى : كيف اترك حبك و داعي الهوى من حسن العينين واعتدال القامة وعظم الردف موجود فيك.

و اللف هو : حقف و غصن وغزال ، والنشر هو : " لحظاً " و هو راجع الى الغزال " و قداً " ويعود إلى غصن ، " وردفاً " يعود " الى حقف.

و قد يكون الشطر مختلط كقول القائل : " هو شمس و اسد و بحر جوداً وبهاء وشجاعة ،لا يخفى اختلاط ذذلك النشر ، لأن الجود و هو الأول عائد إلى البحر وهو الأخر من اللف ، والبهاء وهو الثاني من النشر عائد للأول من اللف وهو" الشمس " والشجاعة وهو الآخر من النشر عائد للوسط من اللف وهو الأسد.

٣ - اللف بذكر متعدد على جهة الإجمال كقوله تعالى : ﴿ **وقالوا لن يدخل الجنةَ إلا من كان هوداً أو نصارى** ﴾ [1] .

فالضمير فى قالوا لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وهو اللف ذكر على جهة الإجمال من حيث التعبير عنهما بالضمير وهو الواو فى" قالوا " . والنشر قوله :" إلا من كان هوداً أو نصارى " ، والمعنى : وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ، فلف بين القولين ثقة بأن السامع لا يرد إلى كل فريق قوله ، وأمنا من الإلباس لما علم من التعادى بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه.

---

[1] سورة البقرة الآية ١١١ .

(١٣) الجمـــــــع

الجمع هو أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أشياء فى حكم واحد.

تدبر قوله تعالى : ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا** ﴾[١] ، فقد جمعت الآية المال والبنون فى حكم وهو زينة الدنيا.

وقوله تعالى :﴿ **إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها** ﴾[٢] .
فقد جمعت الآية بين الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى حكم واحد وهو خلودهم فى نار جهنم.
وقول أبى العتاهية " أبو اسحق إسماعيل بن القاسم ابن سويد:

إن الشباب و الفراغ والجدة   مفسـد للمـرء أى مفسـدة

الشباب : حداثة السن ، الفراغ : الخلو من الشواغل المانعة من اتباع الهوى ، الجدة : الاستغناء والمفسدة : الأمر الذى يدعو صاحبه للفساد عبر عنه بالمفسدة مبالغة ، والشاهد أنه قد جمع بين الشباب والفراغ فى حكم واحد ، وهو كونها مفسدة للأرض.

وقول الشاعر:

وأحوالى وصدغك والليالى   ظلام فى ظلام فى ظلام

والصدغ ما بين الأذن والعين ، ويطلق على الشعر المتدلى من الرأس فى هذا الموضع ، وهو المراد هنا. فقد جمع الشاعر بين أحواله وصدغ حبيبته والليالى فى حكم واحد وهو السواد المفهوم من الظلام.

(١٤) التفريـــــق

ومن المحسنات المعنوية التفريق : وهو إيقاع تباين بين أمرين من نوع واحد إما فى المدح أو الغزل أو الرثاء أو الهجاء.

فمثال وقوع التباين فى الغزل قول الشاعر:

حسبت جماله بدراً منيـراً   وابن البدر من ذاك الجمال

---

[١] سورة الكهف الآية ٤٦ .

[٢] سورة البينة الآية ٦ .

فقد أوقع الشاعر التباين بين جمال ذلك المحبوب وجمال البدر مع أنها من نع واحد وهو مطلق الجمال .

ومثال إيقاع التباين فى المدح بين الأمرين المشتركين فى نوع كقول الوطواط : وهو محمد بن محمد بن عبد الجليل المعروف برشيد الدين الوطواط:

مــا نــوال الغمــام وقــت الربيــع　　　كنــوال الأمــير يــوم ســخاء

فنــوال الأمــير بــدرة عــين　　　ونــوال الغمــام قطــرة مــاء

فقد اوقع التباين بين النوالين مع أنهما من نوع واحد ، والنوال : العطاء وبدرة عـين : كيـس بـه عشـرة آلاف درهم أو ألف دينار.

وقال محمد بن أحمد المعروف بالوأواء الدمشقى:-

مـن قـاس جـدواك بالغمـام فمـا　　　أنصـف فـى الحكـم بـين شـكلين

أنـت إذا جـدت ضـاحك أبـداً　　　وهـو إذا جـاد دامـع العينـين

والجدوى : العطية ، والمشكلات : تثنية شكل بمعنى مثل ، وقوله" جدت " بمعنى : أعطيت فقد أوقع التباين بين الجدوين.

******

(١٥) التقسيم

التقسيم عند أهل البلاغة له أنواع

(أ) حسن التقسيم

وهو : استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذى هو آخذ فيه بالذكر . بحيث لا يغادر منه شيئاً ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **هو الذى يريكم البرق خوفاً وطمعاً** ﴾ [١] ، ففى الآية الكريمة حسن تقسيم ، لأن رؤية البرق ليس فيها إلا الخوف من الصواعق والطمع فى الأمطار ولا ثالث لهذين القسمين.

ومثله قوله تعالى : ﴿ **الذين يذكرون ا لله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم** ﴾ [٢] .فلم يترك سبحانه قسماً من أقسام الهيئات حتى أتى به.

وتقول الآية الكريمة : ﴿ **يهب لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ، ويجعل من يشاء عقيماً** ﴾ [٣] ، ففى الآية حسن تقسيم لأن ا لله سبحانه إما أن يفرد العبد : بهبة الإناث أو بهبة الذكور أو يجمعهما له أو لا يهبه شيئاً ، ووقع التقسيم فى الآية على ترتيب البلاغة وهو الإنتقال من الأدنى إلى الأعلى فقدم هبة الإناث لينتقل منها إلى أعلى منها ، وهى هبة الذكور ، ثم انتقل إلى أعلى منها وهى هبة الذكور والإناث ، ونلاحظ فى الآية الكريمة أن أقسام النعمة جاء بلفظ الهبة وذكرت فى أول الآية ، وأما الحرمان من النسل ﴿ **ويجعل من يشاء عقيماً** ﴾ جاء فى آخر الآية ، لأن أفضال ا لله على عباده أهم من حرمانه إياهم وتقديم الأهم أولى.

وقال فى معنى الحرمان : ويجعل ، ولم يقل " يهب " لتأتى الألفاظ ملائمة للمعانى ، فالنعمة يلائمها الهبة . والحرمان يلائمه الجعل.

ويقول نصيب:

فقال فريق القوم لا ، وفريقهم ... نعم وفريق ليمن ا لله لا ندرى

فقى البيت حسن تقسيم لأن أقسام الإجابة ليس فيها غير ، لا،ونعم ، وما ندرى.

وقال بشار بن برد:

---

[١] سورة الرعد الآية ١٢ .

[٢] سورة آل عمران الآية ١٩١ .

[٣] سورة الشورى الآية ٤٩ - ٥٠ .

فراح فريق فى الإسار ومثله	**قتيل ، ومثل لاذ بالبحر هارب**

فالمنهزمون لا يتعدون تلك الأقسام إمـا مـأثور أو قتيـل أو هـارب وسر بلاغـة حسن التقسيم الراحـة النفسية التى يجدها القارئ والمستمع حينما يجد الأديب قد أحاط بجميع أقسام الشئ التى تخطر على البال.

وهنا يحدث السرور والاعجاب والتأثير وهذا غاية الفن القولى الجميل . وقول عمر بن أبى ربيعة:-

تهيـم إلى نعـم فـلا الشـمل جـامع	**ولا الحبل موصول ولا أنت تقصـر**
ولاقـرب نعـم أن دنـت لـك نـافع	**ولا نأيهـا يسـلى ولاأنـت تصـبر**

فقد استوفى جميع متعلقات " نهيم."

(ب) التقسيـم باعتبـار آخـر

ويعرفه البلاغيون بقولهم : هو ذكر أحوال الشئ مضافاً إلى كل حال ما يليق بها ، أى ذكر كل واحد ومعه ما يناسبه.

كقول أبى الطيب:

سـأطلب حقـى بالقنـا ومشـايخ	**كـأنهم مـن طـول مـا التـأموا مـرد**
ثقـال إذا لاقـوا خفـاف إذا دعـوا	**كثـير إذا شـدوا قليـل إذا عـدوا**

الثقال : الذين تشتد وطأتهم على الأعداء فى الحرب ، شدوا : حملوا على عدوهم.

وترى الشاعر : قد ذكر أحوال المشايخ : " ثقال خفاف ، كثير قليل " وفى كل حالة ذكر ما يناسبها ، فهم ثقال وقت لقائهم للعدو ، وهم خفاف إذا دعاهم ، وكثيراً إذا حملوا على عدوهم وهم قليل إذا عدوا.

وقول أبى الطيب أيضاً:

بدت قمراً ومالت خـوط بان	**وفاحت عنبراً ورنت غزالاً**

الخوط : الغصن ناعم ، والبان : شجر معتدل القوام لين ، ورقة كورق الصفصاف . رنت : بمعنى

نظرت – والمراد : أنها بدت بوجه كقمر ، ومالت بقوام كخوط بان ، وفاحت برائحة كالعنبر ، ونظرت بعين كعين غزال.

فتراه قد ذكر لكل حالة ما يناسبها.

ومثله قول الآخر:

سفرن بدوراً وانتقين أهلة وَمِسْن غصوناً والتفتن جآذرا

سفرن : كشفن وجوههن انتقبن : لبسن النقاب ، وإنما أشبهن الأهلة عند لبسه لأن حواجبهن مقوسات- مسن : تبخترن ، والجآزر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية أى كعيون جآذر.

فالشاعر ذكر لكل حالة ما يناسبها كمانرى.

(جـ) التقسيم بإعتبار ثالث

قالوا : إنه ذكر متعدد ، ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين ، و يحترز بقوله " على التعيين من اللف و النشر، فقد علمنا أنه من غير تعيين. "

يقول ابو تمام : ـ

وعادات نصر لم تزل تستعبدها عصابة حق في عصابة باطل

فما هو إلا الوحي أوحد مرهف تميل ظباه أخدعى كل مائل

فهذا دواء الداء من كل عالم وهذا دواء الداء من كل جاهل

ضمير "هو" فى البيت الثانى يعود على "حق" فى البيت الأول ، والمرهف السيف المرقق الحد.

والظبى : جمع ظبة وهىحد السيف ،والأخدعان عرقان فى صفحتي العنق.

وقد ذكر الشاعر : الوحي ، والسيف ، وأضاف إلى كل منهما مايناسبه . "فهذا دواء الداء من كل عالم يرجع إلى الحق ، وهذا دواء الداء من كل جاهل يرجع إلى السيف

وقال جرير عبد المسيح الضبعى المعروف بالمتلمس:

ولا يقيم على ضيم يراد به — الأذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته — وذا يشج فلا يرثى له أحد

عير الحى : العير هو الحمار الوحشى والأهلى ، والمراد هنا الحمار الأهلى لأنه يربط ويحمل الذل ، ويعين ذلك إضافته للحى ـ مربوط برمته الرمة قطعة حبل باليه ، والمعنى : هذا على الذل مربوط بقطعة حبل بالية يسهل الخلاص معها عن لربط.

فالشاعر ذكر العير والوتد ، وأضاف إلى كل ما يناسبه ـ فهذا على الخسف مربوط برمته يعود على العير ، وذا يشج فلا يرثى له أحد يعود إلى الوتد.

(١٦) الجمع مع التفريق

ومن المحسنات المعنوية الجمع مع التفريق ، وهو أن يدخل شيئان فى معنى واحد ويفرق بين جهتى الإدخال . قال الشاعر:

أسود كالمسك صُدْغاً — قد طاب كالمسك خلقاً

فقد جمع بين الصدغ والخلق فى التشبيه بالمسك ، ثم إنه فرق بينهما فالصدغ يشبه المسك فى سواده ، والخلق يشبه المسك فى طيبه.

وقال رشيد الدين الوطواط:

فوجهك كالنار فى ضوئها — وقلبى كالنار فى حرها

فواضح أن الشاعر جمع بين وجه المعشوق وقلبه ، ثم إنه بعد ذلك فرق بينهما بالنار فى الحسن والإنارة والضوء ، وشبه القلب بها فى الحرارة والاحتراق.

(١٧) الجمع مع التقسيم

قالوا : إن الجمع مع التقسيم هو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه أو تقسيمه ثم جمعه.

فالأول وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه قول أبى الطيب المتنبى:

الدهـر معتـذر والسـيف منتظـر	**وأرضهـم لـك مصطـاف ومرتبـع**
للسبى مانكحوا للقتـل مـا ولـدوا	**للنهب ما جمعـوا والنـار مـا زرعـوا**

فقد جمع أرض العدو وما فيها ، وجعلها خالصة له على جهة الإجمال ، من غير إشارة إلى تفصيل حالها ، ثم تراه قد قسم حالها فى البيت الثانى فمنها ما يكون للسبى ومنها ما يكون للقتـل ، ومثالـه مـا قال حسان:

قـوم إذا حـاربوا ضـروا عدوهـم	**أو حاولوا النفع فى أشيائهم نفعـوا**
سـجية منهـم تلـك غـير محدثـة	**إن الخلائـق فـاعلم شـرها البـدع**

فنراه فى البيت الأول قسم صفة الممدوحين إلى ضر الأعداء ، ونفع الأولياء ثم جمعها فى البيت الثانى حيث قال :" سجية تلك "

والمراد بالقوم ، قوم الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، والأشياع : الأتباع والأنصار ، وسـجية : طبيعـة ، والخلائق جمع خليقة وهى الخلق ،والبدع جمع بدعة وهى الأمر المستحدث ، يعنـى أن الخلائـق شـرها مـا كان مستحدثاً ، فى الأبناء و لم يكن موروثاً عن الآباء.

(١٨) الجمع مع التفريق التقسيم

ومن المحسنات المعنوية الجمع مع التفريق والتقسيم وهو أن يجمع أولاً ثم يفـرق ثانيـاً يقسـم وذلـك فـى قوله تعالى :﴿ **يوم يأتى لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقى وسعيد ، فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها مادامت السماوات والأرض إلا ما شـاء ربـك ، إن ربك فعـال لمـا يريـد ، وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مـا دامـي السـماوات والأرض إلا مـا شـاء ربـك عطـاء غـير مجذوذ** ﴾ [١] ، أما الجمع ففى قوله : ﴿ يوم يأتى لا تكلم نفس إلا بإذنه ﴾ فإن قوله" نفـس "متعـدد معنـى لأن النكرة فى سياق النفى تعم .

وأما التفريق ففى قوله :﴿ فمنهم شقى وسعيد ﴾

[١] سورة هود الآية ١٠٥-١٠٦-١٠٧-١٠٨ .

وأما التقسيم ففى قوله :﴿ فأما الذين شقوا ﴾ إلى آخر الآية الثانية ....

وقول ابن شرف القيروانى :

لمختلف الحاجات جمع بابه ... فهذا له فن وهذا له فن

فللخامل العليا وللمعدم الغنى ... وللمذنب العتبى وللخائف الأمن

والفن : النوع والحال ، والمعدم : الفقير ، والعتبى : الإرضاء .

والشاهد فى أنه جمع بقوله : (لمختلفى الحاجات) ثم فرق بقوله (فهذا له فن وهذا له فن) ، ثم قسم فى البيت الثانى .

(١٧) التجريد

ومن المحسنات المعنوية : التجريد . وهو أن ينتزع المتكلم من أمر ذى صفة أمراً آخر مثله فى هذه الصفة مبالغة فى كمالها فيه .

وهو أقسام :

١- كل ما تكون -من- فيه أداة التجريد وتفيد فيه معنى الإبتداء ، ولا يقصد منه تشبيه وذلك مثل قولهم ": لى من فلان صديق حميم " ، أى بلغ من الصداقة مبلغاً صح معه أن يستخلص منه صديق آخر .

٢- كل ما تكون فيه "باء" التجريد فيه داخله على المنتزع منه ، وتفيد فيه معنى المصاحبة ، وهذا القسم يدل على التشبيه كقولهم " لئن سألت فلانا لتألن به البحر " .

٣- كل ماتكون فيه "باء" التجريد فيه داخله على المنتزع، وتفيد معنى المصاحبة وهذا القسم لا يدل على التشبيه .

وذلك مثل قول الشاعر :

وشوهاء تعدو بى إلى صارخ الوغى ... بمستلئم مثل الفنيق المرحل

والشوهاء : الفرس القبيح المنظر لسعة أشداقها ، أو للتغيرها بالحرب ، وصارخ الوغى : المستغيث فى الحرب والمستلأم لابس اللأمة وهى الدرع ، والفنيق : الفحل المكرم من الإبل يترك ركوبه ، والمرحل : المرسل غير المربوط .

والمراد : تشبيه الفرس به في القوة والعلو وعـدم القـدرة علـى مصادفتهـا فقـد ظهرأنـه انـتزع مـن نفسـه مستلئماً آخر : أي مستعداً للحرب مبالغة في استعداده للحرب ، ولزومه لبس اللأمة له حتـى صـار بحيـث يخرج منه مستعد آخر يصاحبه ، وقد أدخل الباء على المنتزع دون المنتزع منه .

٤- كل ما يكون التجريد فيه بدخول -في- على المنتزع منه ، وهذا القسم لا يقصد فيه تشبيه .

وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ **لهم فيها دار الخلد** ﴾ [1] ، تهول الآية الكريمة بأمر جهنم ، وتصفهـا بكونهـا محلاً للخلود وكونها لا يعتريها ضعف ولا اضمحلال ولاانفكاك أهلها عن عذابها .

فجهنم نفسها دار الخلد ولكن بولغ في اتصافها بكونها داراً ذات عذاب مخلد حتى صارت بحيث تفيض وتصدر عنها داراً أخرى ، هي مثلها في الاتصاف بكونها داراً ذات عذاب مخلد ، وكل ذلك للمبالغـة فـي اتصافها بالشدة وللتهويل بأمرها في العذاب ، وعدم انقطاعه بطول المدة .

٥- كل ما يكون التجريد فيه بالقرينة لا بحرف من حروف التجريد ، وهذا القسم لا يدل على التشبيه.

وذلك مثل قول الحماسي "قتادة بن مسلمة الحنفي ":

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة ... تحوي الغنائم أو يموت كريم

فالشاعر بهذا قصد المبالغة في وصف نفسه بالكرم حتـى انـتزع مـن نفسـه كريمـاً ، فيقـول :" أو يمـوت كريم " فقد انتزع من نفسه رجلاً كريماً كما نرى وكذلك قوله تعالى :﴿ **فـإذا انشـقت السـماء فكـانت وردة كالدهان** ﴾ [2] ، على قراءة الرفع أي فحصلت وردة .

٦- كل ما يكون التجريد فيه بطريقة الكناية :

وذلك مثل قول أعشى قيس :

يـا خيـر مـن يركـب المطـي ولا ... يشـرب كأسـاً بيد من بخلا

والمطي جمع مطيو وهي المركوب من الإبل والشاهد في قوله :" لا يشرب كأساً مـن يـد مـن بخـلا " ، فإنه كناية عن شربه بكف كريم والعـادة أن الشـخص يشـرب بكـف نفسـه ، ولكنـه انـتزع مـن الممـدوح شخصاً كريماً يشرب الممدوح من كفه مبالغة في كرمه فواضح أنه جرد من كفه كف غير بخيل .

---

[1] سورة فصلت الآية ٢٨ .

[2] سورة الرحمن الآية ٣٧ .

٢- ويطلق التجريد أيضاً على مخاطبة الإنسان نفسه ، وذلك أن المخاطب يكون أمام الإنسان ، والإنسان لا يخاطب نفسه، حتى يجعل نفسه أمامه ليخاطبها ، ولكن الشاعر جرد من نفسه نفساً أخرى أو شخصاً آخر مثله فى الصفة التى سبق الكلام لبيلنها وبيان ما يلائمها وجعلو أمامه ليتمكن له خطابه ، فمخاطبة الإنسان نفسه تستلزم التجريد وعلى ذلك يقول أعشى قيس :

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

فجرد من نفسه شخصاً آخر مثله فى الصفة وخاطبه .

وقول المتنبى :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

المرا بالنطق قول الشعر فى مدح فاتك حين أهداه ألف دينار وهو بمصر ، والمراد بالحال : حاله من فقد الخيل والمال ، والتجريد فى مخاطبة الشاعر نفسه فى قول :" عندك " .

(١٨) المبالغـــة المقبولـــة

لعلماء البلاغة فى المبالغة مطلقاً آراء . [١]

١- فمنهم من لا يرى لها فصلاً مطلقاً ، ويحتجون بأنها لا تكون إلا من ضعيف عجز عن الاختراع والتوكيد يعمد إليها لسد خلله وخير الكلام ما خرج مخرج الحق وكان على نهج الصدق ولا خير فى كلام أوهم كذباً أو حققه كما يشهد له قوله حسان رضى الله عنه :

وانما الشعر لب المرء يعرضه على المجالس إن كيساً وإن حمقاً
فإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقاً

ويرون أن الكلام الذى فيه مبالغة لا صدق فيه .

٢- ومنهم من يقصر الفضل عليها ، وينسب المحاسن كلها إليها وينسب أن حاصلها أن يثبت فى الشئ من القوة أو الضعف ما ليس فيه ، وخير الكلام ما بولغ فيه ، وأعذب الحديث أكذبه مع إيهام الصحة ،

[١] انظر شروح التلخيص جـ٤ ص ٣٧٥-٣٨٥ .

وظهور المراد لأن الكذب المحض الـذى هـو قصـد ترويـج ظـاهرة مـع فسـاد لم يقـل أحـد مـن العقـلاء أنـه مستحسن .

٣- ومنهم من يتوسط ، وهذا رأى علماء البلاغة المتأخرين ، فهم يقبلون أنواعاً ويرفضون نوعاً وسيأتى تفصيل ذلك .

تعريف المبالغة مطلقاً :

أن يثبت البليغ لوصف -علـى سـبيل الادعـاء -أنـه بلـغ مـن مراتـب الشـدة أو الضعـف حـداً أو مكانـاً مستحيلاً أو مستبعداً .

وأنما يدعى البليغ ذلك للوصل بالوصف إلى تلك المنزلة ، لئلا يظن أن هذا الوصف غير متناه بل متوسـط أو هو دون المتوسط فى أحد المذكورين ، وهما الشدة والضعف .

أقسام البلاغة : -

وتنحصر فى التبليغ والإغراق والغلو .

١- التبليغ : أن يكون المدعى للوصف من الشدة أو الضعـف ممكنـاً عقـلاً وعـادة كقـول أمـرئ القيـس يصف فرسا له بأنه لا يعرق وإن أكثر العَدْو :

فعاد عداء بين ثور ونعجـة　　　　دراكا فلم ينضح بماء فيغسل

" فعاد عداء " : أى والى ولاء ، ويقال : والى بين الصيدين إذا ألقى الصيد أو غيره على وجه الأرض فى سباق واحد لم يتخلله وقفة إراحة . والثور هو الذكر من بقر الوحشى ، والنعجة : الأنثى منـه ، ودراكـاً : لحاق الفرس الصيد واتباع بعضه بعضاً فى القتل . والنضح : لم يرشح بخروج ماء أى لم يعرق .

يصف الشاعر فرسه بأنه أدرك ثوراً وبقرة وحشيين فى سباق واحد و لم يعرق ودعوى بلوغ الفـرس فـى القوة والسبق إلىهذه الحالة ممكنة عادة وعملاً ، وإن كان وجودها فى الفرس فـى غايـة النـدور ، ومـن ثـم كانت مبالغة .

ويقول أبى الطيب المتنبى :

وأصـرع أى الوحـش قفيتـه بـه　　　　وأنـزل عنـه مثلـه حـين أركـب

" أصرع " : أطرح على الأرض. " قفيته " أتبعته والضمير للوحش ." به " : الضمير للفرس .

والشاهد فى البيت :" أنزل عنه مثله حين أركب " والمعنى : أن الفرس بعد هذا السبق يكون فى نشاطه حين ركبه وادعاء وصف الفرس بهذا النشاط فى هذه الحال ممكن عقلاً وعادة ومن ثم كانت المبالغة .

٢- الإغراق : أن يكون المدعى للوصف من الشدةأو الضعف ممكناً عقلاً لا عادة وذلك مثل قول الشاعر عمر بن الأبهم التغلبى :

ونكرم جارنا ما دام فينا   ونتبعه الكرامة حيث مالا

فقد ادعى الشاعر أنهم بكرمون الجار فى حالة كونه مقيماً عنده ، وفى حالة كونه مع غيرهم وارتحاله عنهم ، فالوصف المبالغ فيه" كرمهم " ، ولا شك أن إكرام الجار فى حالة كونه مع الغير ، وارتحاله عنهم محال عادةً على أن هذا البيت إنما يصلح مثالاً للإغراق إذا حمل قوله :" ونتبعه ونتبعه الكرامة حيث مال على أن المراد إرسال الإحسان إليه الدائع لحاجته وحاجة عياله بعد ارتحاله عنهم وكونه مع الغير ، وأما إن حمل على أن المراد إعطاء الجار الزاد عند ارتحاله وسفره إلى أى جهة فلا يصلح مثالاً ، لأن هذا لا يستحيل عادةً فهذا شائع عند الأسخياء وأصحاب المروّات . [1]

والتبليغ والإغراق مقبولان .

٣- الغلو : وهو أن يكون القدر المدعى من شدة الوصف أو ضعفه ليس ممكناً عقلاً وعادةً ، وهو نوعان : مردود ومقبول .

النوع الأول المردود : مثل قول أبى نواس وهو الحسن بن هانئ لقب بأبى نواس لأن كان له غدبتان تنوسان أى تتحركان على عاتقيه وهذا البيت من قصيدة له فى مدح هارون الرشيد بأنه أخاف الكفار جميعاً من وجد منهم ومن لم يوجد والبيت هو :

وأخفت أهل الشرك حتى أنه   لتخافك النطف التى لم تخلق

وأخفت أهل الشرك : أىأدخلت فى قلوبهم الخوف والرعب ببطشك وهيبتك ، والنطف : جمع نطفة وهى الماء الذى يتخلق منه الإنسان .

فقد بالغ فى إخافته أهل الشرك حيث صيره تخافه النطف التى لم توجد ومعلوم أن خوف النطف محال ، لأن شرط الخوف عقلاً الحياة ، فيستحيل الخوف من الموجود الموصوف بعدم الحياة فضلاً عن خوف المعدوم ، فهذه المبالغة مردودة حيث لم يدخل عليها ما يقربها إلى الصحة ، و لم تتضمن تخييلاً حسناً .

---

[1] انظر حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص جـ٤ ص ٣٦١ .

وكذلك قول ابن هانئ الأندلسي في المدح :

ما شئت لا ما شائت الأقدار فاحكم فإنك أنت الواحد القهار

فقد أدعى الشاعر أن إرادة الممدوح فوق إرادة الأقدار ، وهذا ممتنع عقلاً وعادة ، فهذه المبالغة مردودة.

النوع الثاني وهو المقبول ويتنوع إلى ثلاثة أنواع : -

١- منها ما أدخل عليها لفظ يقرب الأمر الذى وقع فيه " الغلو " إلى إمكان وقوعه كالفظ " يكاد " و " لو " و " لولا " و " حرف التشبيه " .

وذلك كقوله تعالى : ﴿ **الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقة ولا غربية يكاد زيتها يضئ و لولم تمسسه نار** ﴾ [1] .

المبالغ فيه إضائة الزيت كاضائة المصباح من غير نار ، ولا شك أن إضاءة الزيت كاضاءة المصباح بلا نار محال عقلاً وعادة ، فلو قيل فى غير القرآن هذا الزيت يضئ كاضائة المصباح بلا نار لرد ، وحيث قيل : " يكاد يضئ " أفاد أن المحال لم يقع ولكن قرب من الوقوع مبالغة ، لأن المعنى : يقرب زيتها من الإضاءة والحال أنه لم تمسه نار ، ومعنى قرب المحال من الوقوع توهم وجود أسباب الوقوع ، وقرب المحال من الوقوع قريب من الصحة ، إذ قد تكثر أسباب الوهم المتخيل بها وقوعه ، ولو كان لا يقع [2] ، ومن ثم جاءت المبالغة مقبولة .

ويقول بن حمد يس الثقلى يصف فرساً :

ويكاد يخرج سرعة من ظله لو كان يرغب فى فراق رفيق

فقد ادعى الشاعر أن سرعة الفرس بلغت من الشدة مبلغاً يكاد الفرس أن يسبق ظله ، ويبتعد عنه ، وهذا غير ممكن لا عقلاً ولا عادة ، لأن ظل الشئ مقترن به دائماً لا ينفك عنه ، ولكن الذى قرب هذا المعنى وجمله كلمة " يكاد " التى تفيد أن هذا لم يقع ولكن يكاد أن يقع مبالغة فى السرعة ومن ثم جاءت المبالغة مقبولة .

٢- ومن أنواع الغلو المقبولة ما تضمن نوع حسن من تخيل الصحة

---

[1] سورة النور الآية ٣٥

[2] شروح التلخيص جـ ٤ ص ٣٢٦ .

كقول أبى الطيب :

عقدة سنابكها عليها عثيرا لــو تبتغى عنقاً عليه لأمكنا

والسنابك : جمع سنبك وهو طرف مقدم الحافر ، والعسير : الغبار ، والعنق : السير .

وقد أدعى الشاعر أن الغبار المرتفع من سنابك الخيل قد اجتمع فـوق رؤوسـها متراكمـة متكاثفـا بحيث صار أرضاً يمكن أن تسير عليها الجياد ، وهذا ممتنع عقلاً وعادة ولكن الذى قربه من الصحة التخيل الحسـن من إدعائه كثرته وكونه كالأرض التى فى الهواء فصار مقبولاً .

وقد اجتمع النوعان : ما يقرب إلى الصحة والتخيل الحسن كقول القاضى الأرجانى يصف طول الليل :

يخيل لى أن سمر الشهب فى الدجى وشــدة بأهدابى اليهــن أجفانــى

يخيل لى : يوقع فى خبالى ووهمى ، " أن سمر الشهب " : أحكمت الشهب وهى النجوم بالمسامير، فـى الدجى : فى ظلمة الليل ، شدة بأهدابى : ربطت أجفانى بإهدابى إلى تلك الشهب.

إدعى الشاعر أن طول الليل وصل لحالة هى أن الشهب أحكمت بالمسامير فى دياجيـه وأن كـثرة سـهره فيه وصلت لحالة هى أن أجفانه مشدودة بأهدابه فى الشهب ، ومن المعلوم أن إحكام الشهب بالمسامير فـى الجى وشد أجفانه بأهداب عينه محال ، لكن قد تضمن ذلك الغلو تخيلاً حسناً ، إذ يسبق إلى الوهـم صحتـه من جهة أن المحسوس تقع المغالطة فيه ، وذلك أن النجوم لمـا بـدت مـن جـانب الظلمـة ، و لم يظهـر غيرهـا صارت النجوم كالدر المرصع به بسـاط أسـود ، فيسـبق إلى الوهـم مـن تخيـل المشـابهة صحـة شـد النجـوم بالسامع .

ولما أدعى أنه ملازم للسهر ، وأنه لا يفتر عن رؤية النجوم فى الظلمة فصارت عينـه كأنهـا لا تطـرف ، نزلت أهدابه مع الأجفان بمنزلة حبل مع شئ شد بجامع التعلق وعدم التزلزل ، فيسق إلى الوهـم مـن تخييـل المشابهة بما ذكر صحة ذلك أيضاً .

ولما تضمن الغلو الموجود فى البيت هذا التخييل الذى قرب المحال من الصحة كان ذلـك الغلو مقبـولاً ، وزاد ذلك قبولاً تصريحه بأن ذلك على وجه التخييل لا على سبيل الحقيقة ، وتخيل المحال واقاعاً بمنزلـة قربـه من الصحة لكون ذلك فى الغالب ناشئاً عن تخييل الأسباب . فالتخيل موجود فى نفسه ، ولفظ " يخيـل لى " يقرّب من الصحة فقد اجتمع فى الغلو فى هذا البيت السببان الوجبان لقبوله .[1]

[1] أنظر شروح التلخيص جـ ٤ ص ٣٦٥ .

ومن أنواع الغلو المقبـول : مـا أخـرج مخـرج الهـزل والخلاعـة وهـو الكـلام الـذى لا يرادبـه إلا المطايبـة والضحك وليس فيه غرض صحيح ، وأما الخلاعة فهى عدم المبالاه بما يقول القائل لعـدم المـانع الـذى يمنعـه من غير الصدق،وذلك كقوله:اسكر بالأمس إن عزمت على الشر ... غدا أن ذامن العجب.

ومعنى " أسكر بالأمس إن عزمت على الشرب " هذا مبالغة فـى شـغفه بالشـرب وصـل لحالـة هـى أنـه يسكر بالأمس عند عزمه على الشرب غداً ولا شك أن سكره بالأمس عند عزمه على الشرب غـداً محـال . إن أريد بالسكر ما يترتب على الشرب وهو المقصود هنا . ولكن لما أتـى بـالكلام علـى سـبيل الهـزل كـان ذلك الغلو مقبولاً .

****

(١٩) المذهب الكلامى

ومن المحسنات المعنوية : المذهب الكلامى ، ذكر ابن المعتز أن الجاحظ أول من ذكره وأنكر وجوده فى القرآن الكريم. ويعرفه البلاغيون بقولهم : أن يُورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل الكلام ، ليُقوى بهال دعواه ، ويُبطل بها دعوى الخصم .

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **لو كان فيهما آلهٌ إلا ا لله لفسدتا** ﴾ [1] ووجه الفساد أن كون مع ا الله إلهاً آخر يستلزم أن يكون كل واحد منهما قادراً على الإستبداد بالتصرف ، فيقع عند ذلك التنازع والإختلاف ويحدث بسببه الفساد وفساد السماوات والأرض خروجهما عن النظام ، وهذا النظام محقق مشاهد فيكون مجرد الفساد باطل بالشاهدة فيبطل تعدد الآلهة ، وهو المطلوب .

وقوله تعالى : ﴿ **وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ [2] . أى والإعادة أهون عليه من البدء ، والأهون من البدء أدخل فى الإمكان من البدء فالإعادة أدخل فى الإمكان من البدء ، وهو المطلوب ، وقوله تعالى : ﴿ **فلما أفل قال لا أحب الآفلين** ﴾[3] أى القمر آفل وربى ليس بآفل ، فالقمر ليس بربى.

وقوله تعالى : ﴿ **فلمَ يعذبكم بذنوبكم** ﴾ [4] ، اى أنتم تعذبون ، والبنون لا يعذبون فلستم ببنين له .
ومنه قول النابغة الذبيانى من قصيدة يعتذر فيها إلى النعمان بن المنذر ملك العرب بسبب تغيظ النعمان عليه بمدحه آل جفنة ، وهو قوم أصلهم من اليمن فارتحلوا منها ، ونزلوا بالشام ، وكان بينهم وبين النعمان عداوة :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة	**وليس وراء ا الله للمرء مطلب**
لأن كنت فد بلغت عنى خيانة	**لمبلغك الواشى أغش وأكذب**
ولكننى كنت امرأً لى جانب	**من الأرض فيه مستراد ومذهب**
ملوك وإخوان إذا ما مدحتهم	**احكم فى أموالهم وأقرب**
كفعلك فى قوم أراك اصطنعتهم	**فلم تر هم فى مدحهم لك أذنب**

---

[1] سورة الأنبياء الآية ٢٢ .
[2] سوره الروم الآية ٢٧ .
[3] سورة الأنعام الآية ٧٦ .
[4] سورة المائدة الآية ١٨ .

يقول النابغة حلفت لك با لله ما أبغضتك ولا احتقرتك ، ولا عرضت عند مدح آل جفنة بذنبك ،و لم يبق عندك بسبب ذلك اليمين شكاً فى أنى لست لك بمبغض ولا عدو.

ولا ينبغي للمحلوف له با لله العظيم أن يطلب ما يتحقق به الصدق سوى اليمين با لله إذ ليس وراء ا لله أعظم منه يطلب الصدق بالحلف به ، لأنه أعظم من كل شئ فلا يكون الحالف به كاذباً ، فاليمين به كاف عن كل يمين .

وا لله لمبلغك تلك الخيانة أغش من كل غاش ، وأكذب من كل كاذب ، وما كنت امرأ قصدت بمدحى آل جفنة التعريض بنقصك ، ولكنى كنت امرأ لى جهة مخصوصة من الأرض لا يشاركنى فيها غيرى من الشعراء أطلب منها الرزق وموضع ذهاب لقضاء الحاجات والأرزاق لكون ذلك الجانب فطنة الغنى (ملوك وإخوان) ، ملوك لاتصافهم بالرفعة ، وإخوان بالتواضع فهم مع اتصافهم برفعة الملك يجعلون الناس إخواناً لهم ، ويعاملونهم معامله الإخوان بسبب تواضعهم .

يقول النابغة : أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك ، وأنا أحسن إلىّ قوم فمدحتهم فكما أن مدح اولئك لك لايعد ذنباً ، فكذلك مدحى لمن أحسن إلى لا يعد ذنباً .

****

(٢٠) حسن التعليل

ومن المحسنات المعنوية : حسن التعليل : وهو أن يُدَّعَى لوصف - على جهة التظرف - علة مناسبة ، ليست له فى الواقع .

وهذا الوصف الذى ادَّعاه الأديب ليحسن به كلامه ويشوق به السامعين ، ويسير خيالهم هذا الوصف إما أن يكون ثابتاً ، والأديب يريد بيان علته ، وأما أن يكون الوصف غير ثابت ، والأديب يحاول اثباته بعلةٍ مُدَّعاة .

وحسن التعليل أربعة أقسام : -

الأول :

حسن التعليل فى الوصف الثابت الذى لا تضهر له فى العادة علة وأن كان فى الواقع لا يخلو من علة ، فيذكر له الأديب علة من عند نفسه تظرفاً ، تأمل قول أبى الطيب المتنبى يمدح هارون بن عبد العزيز :

لم تحك نائلك السحاب وإنما حمت به فصبيبها الرخصاء

لم تحك : لم تشابه ، والنائل : العطاء ، و السحاب : فاعل يحكى ، وحمت به : أصابتها الحمى بسبب تفوق عطاء الممدوح على عطائها ، والصبيب : الماء المصبوب من السحاب ، والرخصاء : عرق الحمى .

والمعنى : أن هذا المطر الغزير النازل من السماء لم تقصد به السحاب أن تحاكيك فى عطائك أيها الممدوح ، إذ هو أمر ميئوس منه لبلوغ عطائك درجة يقف دونها كل عطاء ، وإنما هو عرق الحمى التى أصيبت بها السحاب من جراء الغيرة الشديدة ، بسبب تخافها عجزاً عن مباراتك فى عطائك . فواضح : أن نزول المطر من السحاب صفة ثابتة ، فالشاعر تصرف وعلل نزول المطر من السحاب بما ليس له علة فى الواقع ، وهو أنه عرق الحمى التى أصيبت بها السحاب لشدة غيرتها ، وتغيظها بسبب عجزها عن اللحاق بالممدوح فى كرمه وعطائه .

ففى هذا البيت الوصف ثابت وهو نزول المطر من السحاب - وعلة نزول المطر لا تظهر فى العادة ، ولكن الشاعر علله بما ذكر .

ويقول أبو تمام :

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالى

العطل : مصدر عطل الرجل من المال ونحوه : حلا منه .

نرى أبا تمام يخاطب نفسه قائلاً : ليس بدعاً أن يخلو الكريم من مظاهر الغنى ، فهذا حـال ذوى الأقـدار الكريمة ، ألا ترين السيل لا يمكث فى الأماكن المرتفعة ولا يستقر بها ، بل سرعان مـا ينحـدر إلى الأمـاكن المنخفضة ، فخلو الكريم من الغنى وصف ثابت لا تظهر له فى العادة علة ، لكنك تجـد الشـاعر عللـه بعلـو قدر الممدوح ، ورفعة شأنه قياساً له بالأماكن الآتيـة ، فهـى ليسـت مـأوى للسـيل ، ولا مسـتقراً لـه ، ولا نصيب لها فى شئ منه .

ومن لطيف هذا النوع قول أبى العباس الضبى :-

لا تركنـــــى إلى الفـــــرا ق فإنـــه مـــر المـــذاق

فالشـــمس عنـــد غروبهـــا تصفـــر مـــن فـــرق الفـــراق

" ادعى لتعظيم الفراق أن ما يرى من الصفرة فى الشمس حين يرق نورها بدنوهـا مـن الأرض انمـا هـو لأنها تفارق الأفق الذى كانت فيه أو الناس الذين طلعت عليهم ، وأنسـت بهـم ، وأنسـوا بهـا ، وسـرتهم رؤيتها . " [1]

ويقول بن زيدون فى ولادة بنت المستكفى :

أنـى ذكرتـك بـالزهراء مشـتاقاً والأفق طلق ومرأى الأرض قد راقا

وللنسـيم اعتـلال فـى أصائلـه كأنـه رق لى فـاعتل إشـفاقاً

فعلة رقة النسيم ليست علة ظاهرة - وربما عرفها علماء الأرصاد - والشاعر ادعى أن النسيم رق لحالته فاعتل إشفاقاً عليه .

ومن لطيف هذا الضرب قول أبى هلال العسكرى :

زعـم البنفسـج أنـه كـعذراء حسنـاً فسـلو مـن قفـاه لسـانه

والبنفسج نبات بستانى ورقه دون السبرحل طيب الرائحة ، وله هنة تحت ورقه جعله الشاعر كلسان له سل من قفاه ، والعذار : أول ما يبدو على الخد من الشعر والشاهد فـى أن خـروج هنـة ورق البنفسـج إلى الخلف مما لا تظهر علته ، لكنه جعلها افترائه على محبوبه أنه كعذراء .

---

[1] أسرار البلاغة للشيخ عبد القادر الجرجانى ص ٢٢٦ وقف على طبعه وتصحيحه وعلق حواشيه محمد رشيد رضا مطبعة الترقى القاهرة سنة ١٣١٩ هـ

وقول بن بناتة فى صفة الفرس :

وأدهـــم يســـتمد الليـــل منـــه ... وتطلـــع بـــين عينيـــه الثريـــا
سـرى خلـف الصبـاح يطـير مشـياً ... ويطـوى خلفـه الأفـلاك طيـاً
فلمـا خـاف وشـك الفـوت منـه ... تشـــبث بـــالقوائم والمحيـــا

الأدهم : الفرس الأسود ، يستمد الليل منه : أى يستعير منه ظلمته على طريق التشبيه المقلوب مبالغة ، ثم شبه غرة الفرس بمجموعة الكواكب المسماه بالثريا فى التألق والإشراق ، ثم استعير لها لفظ الثريا ، "سرى" سار ليلاً ، " ويطوى " من طوى الطريق قطعه ومضى فيه ، و " الأفلاك جمع فلك ، وهو مدار النجوم ، ووشك الفوت : سرعته ، و " التشبث " التعلق ، والقوائم : أرجل الفرس .

يقول : أن الفرس لشدة سواده جعل أصلاً ، يستعير الليل سواده منه ، ثم يقول : أنه عدا خلف الصباح مزهواً بسرعته ، يريد أن يدرك الغاية قبل الصبح ، ولما خاف الصباح أن يسبقه الفرس تعلق بقوائمه ووجهه ليمنعه من سبقه . والشاهد : أن الشاعر أراد أن يأتى بعلة لوصف فرسه ببياض القوائم والوجه ، فذكر أن الصبح حينما خشى أن يسبقه الفرس تشبث بقوائمه ووجهه ليمنعه من السبق ، فانصبغت هذه الأطراف بلونه .

وأحسن من هذا وأحكم صنعه قوله وفى قطعة أخرى :

فكأنما لطم الصباح جبينه ... فاقتص منه وخاض فى أحشائه

يقول الشاعر : أن الصبح اعتدى على فرسه ، ولطمه فى جبينه فابيضت جبهته ، فأراد الفرس أن يقتص ، ويثأر لنفسه ، فهاجم الصبح، وخاض بقوائمه فى أحشائه فابيضت كذلك ، وهو تعليل غاية فى الإبداع – فبياض وجه الفرس ، وقوائمه وصف لا علة له فى واقع الأمر ، وقد علله الشاعر فى الموضعين بما نرى .

الثانى :

حسن التعليل فى الوصف الثابت الذى تظهر له فى اعادة عله ولكن الأديب يتركها ويأتى بعله من عنده تظرفاً .

تأمل قول أبى الطيب :

مـا بـه قتـل أعـاديـه ولكـن	**يتقى أخلاف ما ترجو الذئاب**

من المعلوم أن قتل الأعداء إنما يكون فى العادة لا راد هلاكهم ودفع مضرتهم .

ولكننا نرى الشاعر يمدح صاحبه بأنه ليس هناك ما يحمله على قتل أعاديه والفتك بهم لتمكنه منهم بقوة سلطانه ، ولكن الذى يدعوه إلى ذلك : أنه يريد أن يحقق ما ترجوه جماعة الذئاب من إطعامـه إيـاهم لحـوم الأعداء ، وأنه لا يريد أن يخيب رجائها فيه ، فطبيعة الكرم متمكنه منه حتى مع الحيوان الأعجم وشـجاعته ظهرت للعجماوات .

والشاهد فى البيت : أن قتل الأعداء وصف ثابت ، وعلته عادة دفع مضرتهم ، فترك الشاعر هـذه العلـه الحقيقية وأتى بعلة أخرى على سبيل التظرف ليست هى للوصف فـى الواقـع . وهـى أن الممـدوح يريـد أن يحقق ما ترجوه الذئاب على يديه من اتساع الرزق بلحوم من يفتك بهم من الأعداء..

ومن لطيف هذا الضرب قول بن المعتز :

قـالوا اشـتكت عينــه فقلـت لهـم	**مـن كـثرة القتـل نالهـا الوصـب**
حمرتهـا مـن دمـاء مـن قتلـت	**والـدم فـى النصـل شـاهد عجـب**

فحمرة العين وصف ثابت علته الظاهرة ما يقع فى العين من قذى أو ما يصيبها من رمد .

ولكن الشاعر ذكر لها علة أخرى طريفة وهى أنها تقتل المعجبين بها العشاق لها ، فهذه الحمرة هى دماء قتلاها ، والدليل على ذلك واضح ، فإن الدم فى النصل شاهد صدق على أن ذلك من أثـر مـا أصابتـه مـن الجراح .

وقول ابن ثوابه " أحمد بن محمد " - وهو معنى ظريف لطيف :

أتتنـــى تؤنبنـــى بالبكـــاء	**فـــأهلاً بهـــا وبتأنيبهـــا**
تقـول - وفـى قولهـا حشـمة	**أتبكـى بعـين تراني بهـا**
فقلـت إذا استحسـنت غـيركم	**أمـوت الدمـوع بتأديبهـا**

فعلة البكاء عادة هى الألم أو الحزن لضياع شئ محبوب أو لوقوع شئ مكروه ، ولكن الشاعر هنا جعل عله بكائه تأديب عينه ، لأنها نظرت فاستحسنت غير صاحبته ، ولفظة التأديب هنا أضفت على المعنى رونقاً وبهاء .

الثالث :

حسن التعليل فى الوصف غير الثابت الذى أريد إثباته وهو ممكن وذلك مثل قول مسلم بن الوليد :

يا واشياً حسنت فينا إساءته　　　نجى حذارك إنسانى من الفرق

يقول : إن محبوبه قد هجره ، و لم يستطع البكاء عليه خوفاً من الواشى ومن شماتته ،والشاهد :

أن استحسان إساءة الواشى وصف غير ثابت عادة ، إذ لا يستحسن الناس إساءة الواشى ، ولكن حصوله ممكن ، وقد أراد الشاعر إثباته فعلله بعلة تقتضى وقوعه فى زعمه ، وهى حذاره من أن يفطن الواشى ويشعر بما عنده ، فيشمت به ، ولأجل ذلك امتنع من البكاء ، فسلم إنسان عينه من الغرق فى الدموع .

الرابع :

حسن التعليل للوصف غير الثابت وأريد إثباته وهو غير ممكن ومثال ذلك قول الشاعر :

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته　　　لما رأيت عليها عقد منتطق

الجوزاء : برج فلكى حوله نجوم تسمى نطاق الجوزاء ، ومعنى البيت : أن الجوزاء على ارتفاعها لها عزم ونية لخدمة الممدوح ، ومن أجل ذلك انتطقت أى شدة النطاق تهيئاً لخدمته فرؤية النطاق دليلاً على النية ، فلو لم تنو خدمته ما رأيت عليها نطاقاً شدت به وسطها والنطاق والمنطقة ما يشد به الوسط ، وقد يكون مرصعاً بالجواهر حتى يكون كعقد خالص من الدر .

فتصميم الجوزاء وعقد نيتها على خدمة الممدوح صفة غير وثابتة وغير ممكنة أيضاً ، لأن النية تكون إنما ممن له وعى وإدراك ، والشاعر قد ادعى ثبوتها بالعلة المذكورة ، وهى : كونها منتطقة أى شادة النطاق فى وسطها كما يفعله الخدم عادة .

ما يلحق بحسن التعليل

ويلحق البلاغيون بحسن التعليل ما يبنى على الشك ، وذلك أن يأتى الأديب فى المكان بعلة ترتيب الإتيان بها على الشك ، فيذكر فى كلامه بما يدل على الشك وإنما لم يجعل ما بنى على الشك من حسن التعليل حقيقة ، لأن العلة المدعاة لما فيها من المناسبة المستعذبة لم يناسب فيها إلا الإصرار على ادعاء التحقيق والشك ينافى ذلك وذلك كقول أبى تمام :

ربا شفعت ريح الصبا لرياضها — إلى المزن حتى جادها وهو هامع

كأن السحاب الغر غيبن تحتها — حبيباً فما ترقى لهن مدامع

" الربا " : جمع ربوة ، وهو التل المرتفع من الأرض ، " شفعت " : من الشفاعة أى تشفعت ، " المزن " : جمع مزنة وهى السحاب الأبيض ، وضمير " جادها للربا أى جاد للمزن على تلك

الربا ، الهامع من المزن السائل بكثرة ، و " الغر " : جمع أغر وهو فى فى الأصل الأبيض الجبهة ، والمراد به هنا مطلق الأبيض ، لأن السحاب المطر الأبيض أكثر هموماً من الأسود ، " وترقاً " مهموز خفف للضرورة ، يقال : " لا يرقى لفلان دمع " إذا كان لا ينقطع .

ومعنى البيتين أن ريح الصبا شفعت للرياض إلى المزن فجادت به بشفاعتها إلى رياض تلك الربا والحال أنه كثير الهموع ، فصارت السحاب البيض لكثرة أمطارها ، كأنها غيبت خلف الربا حبيباً فجعلت تبكى عليه فلا ينقطع لها دمع " وكأن " فى نحو هذا الكلام يؤتى بها كثيراً عند قصد عدم التحقق من الخبر .

والشاهد ، أن السحاب البيض يظن أنها غيبت حبيباً خلف الربا فهى تبكى من أجله ، فقد علل على سبيل الشك المفاد من " كأن " - نزول المطر من السحاب بهذه العلة .

****

(٢١) التفريـــع

ومن المحسنات المعنوية التفريغ : وهو أن يثبت حكم من الأحكام لشئ بينه وبين أمر تعلق ونسبة تصحح الإضافة أو ما يشبهها – بعد أن ثبت ذلك الحكم لمتعلق آخر .

وذلك كقول الكمبت من قصيدة يمدح بها آل البيت :

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفى من الكلب

الكلب : داء يشبه الجنون ينشا عادة من عضة الكلب .

فالممدوحون وهو أهل البيت أمر واحد وله متعلقان وهو الأحلام أى العقول المنسوبة لهم ، والدماء المنسوبة لهم – أثبتت لأحد متعلقه وهو الدماء الشفاء من الكلب بعد إثبات ذلك الحكم وهو الشفاء فى الجملة لمتعلق آخر هو العقول .

فواضح أن الكميت فرغ من وصفهم بشفاء أحلوهم لسقام الجهل ، وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب .

****

(٢٢) تأكيد المدح بما يشبه الذم

قال البلاغيون أن تأكيد المدح بما يشبه الذم ضربان : الأول – هو أفضلهما أن يستثنى من صفة ذو منفية صفة مدح ، بتقدير دخول صفة المدح المستثناة فى صفة الذم المنفية ، والمشهور فى ذلك قول النابغة الذبيانى :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

الفلول : جمع فل وهى الثلمة فى حد السيف . والقراع : المضاربة ، والكتائب جمع كتبة وهى القطعة من الجيش .

فنحن نرى أن النابغة – ابتدأ كلامه بنفي العيب عامة عن الذين يمدحهم بقوله :" ولا عيب فيهم " ثم أتى بعد ذلك بأداة استثناء وهى " غير " فسبق إلى وهم السامع أو القارئ أنه يوجد عيب فى الممدوحين يريد النابغة أن يصرح به ، لكن السامع أو القارئ لم يلبث أن وجد بعد أداة الاستثناء على غير ما كان يتوقع – صفة مدح فراعه هذا الأسلوب ، فوجد أن النابغة قد خدعه فمل يذكر عيباً بل أكد المدح الأول فى صورة توهم الذم .

أما الثانى :

فأن يثبت شئ صفة مدح ، ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له .

ومثال ذلك قول المصطفى (ص) : " **أنا أفصح العرب ، بيد أنى من قريش** " فالنبي عليه السلام وصف نفسه بصفة ممدوحه وهى : أنه أفصح العرب ، لكنه أتى بعدها بأداة استثناء جذبت انتباه السامع ، وخيل إليه أن النبى (ص) سيذكر بعدها صفة غير محبوبة كما هى الشائع المتداول ، ولكن سرعان ما هدأت نفسه حين وجد صفة ممدوحه بعد أداة الاستثناء " بيد " وهى أنه من قريش ، وقريش أفصح العرب ، فكان ذلك توكيداً للمدح الأول فى أسلوب جميل خلاب .

ومنه قول النابغة الجعدى :

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقى من المال باقياً

فالنابغة الجعدي وصف ممدوحه بصفة مدح وهى : أنه قد كملت أخلاقه ولكنه أتى بعدها بأداة استثناء وهى" غير " أثارت انتباه السامع وظن أن النابغة الجعدى سيذكر بعدها صفة ذم كما هو معروف فى الأسلوب العادى ولكن سرعان ما هدأت نفسه حينما وجد أن صفة محبوبه بعد أداة الاستثناء "غير" وهى :

انه جواد ولا يبقى من المال شيئاً ، فراعه هذا الأسلوب ووجد أن الشاعر قد خدعه فلم يذكر عيباً بل أكد الممدوح الأول فى صورة توهم الذم .

وبلاغة هذا الأسلوب ترجع إلى الإشارة والمشاركة وجذب انتباه السامع أو القارئ وهذا من شأنه يؤكد المعنى فى النفس ويقويه فى الذهن .

****

(٤٣) تأكيد الذم بما يشبه المدح

وهو ضربان أيضاً : الأول :

أن يستثنى من صفة مدح منفية صفة ذم مثال ذلك قولهم :" فلان لا خير فيه إلا أنه يسئ إلى من أحسن إليه " .

فأنت ترى أنهم قد أثبتوا "لفلان" هذا صفة مدح منفية وهى" لا خير فيه " ثم أتول بأداة الاستثناء " إلا " فظن السامع أنهم سيذكرون بعده صفة محبوبة كما هو المألوف فى الأسلوب العادى ، ولكنهم ذكروا صفة ذم أخرى فأكدوا له الذم في أسلوب ألف الناس سماعه فى المدح .

والثانى :

أن تثبت لشئ صفة ذم ثم تأتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى .

وذلك مثل قولهم : "القوم جبناء إلا أنهم بخلاء " فهم قد وصفوا هؤلاء القوم بصفة مذمومة وهى :" جبناء " ولكنهم أتوا بعدها بأداة الاستثناء " إلا " فدهش السامع وظن أنهم سيذكرون بعدها صفة محببة ، ولكن سرعان ما هدأت نفسه حين وجد صفة غير محبوبة بعد أداة الاستثناء وهى :" إلا أنهم بخلاء " فكان ذلك توكيداً للذم الأول فى أسلوب ألف الناس سماعه فى المدح .

****

(٢٤) الاستتبـــــاع

ومن المحسنات البديعية الاستتباع ، وهو المدح بشئ على وجه يستتبع المدح بشئ آخر .

وذلك كقول أبى الطيب :

نهبت من الأعمار مـا لـو حويتـه   لهنئـت الدنيـا بأنـك خالـد

والمعنى : أخذت على وجه القهر والاختطاف من الأعمار لو ضممتها إلى عمرك لكنت خـالداً إلى آخر الدنيا ، فواضح أن الشاعر مدح صاحبه ببلوغ النهاية فى الشجاعة إذ كثر قتلاه بحيث لـو ورث أعمـارهم الخلد فى الدنيا على وجه استتبع مدحه بكونه سبباً لصلاح الدنيا ونظامها حيث جعل الدنيا مهنـأة بخلـوده ، وفيه وجهان آخران : أحدهما : أنه نهب الأعمار دون الأموال ، وهذا ينبئ بعلـو الهمـة ، والثـانى : أنـه لم يكن ظالماً فى قتلهم ، إذ لو كان كذلك لما كان لأهل الدنيا سرور بخلوده .

(٢٥) الإدمـــــاج

ومن المحسنات المعنوية " الإدماج " وهو أن يضمن كلام سبق لمعنى آخر ألا يكـون مصرحاً بـه وألا يكون فى الكلام ما يشعر أنه مسوق لأجله .

ومثال ذلك قول المتنبى :

أقلـب فيـه أجفانى كأنى   أعد بها على الدهر الذنوبا

فقوله :" أقلب فيه أجفانى " كناية عن طول الليل ، وقوله :" كأنى أعد بها على الدهر الذنوبا " كنايه عن الشكاية منه ، فقد ضمن وصف الليل بالطول من الشكاية من الدهر .

ومنه قول أبى نباته :

ولابد لى من جهله فى وصاله   فمن لى بخل أودع الحلم عنده

يريد أن وصالـه لا يتيسـر إلي بـترك الوقـار ، ومـداراة رقبائـه وملازمـة عتبتـه والرضـا والطرد والشـتم وغيرهما من أفعال الجهلاء ، والخِل بالكسر الخليل .

فقد أدمج الشاعر الهجر فى التغزل حيث قال " من جهله فى وصاله " وفى هذا دلالة على كونه هـاجراً لمحبوبه ، وأدمج شكوى الزمان بأحسن عبارة حيث استفهم عن كونه لا يجد أحداً يودع عنده حلمـه ، ثـم

كنى عن نفسه بكثرة التزامه للحلم حيث كان لا يفارقه فى حال ، فكل هذه المعانى مدمجة فى ظاهر ما يبدو من الغزل فى البيت .

(٢٦) التـــــوجيه

ومن المحسنات المعنوية التوجيه وهو الإتيان بالكلام محتملاً لوجهين مختلفين على حد سواء والمراد بالاختلاف التضاد والتنافر كالمدح والذم والسب والدعاء كقول من قال لا عور يسمى عمراً : -

خـــاط لى عمـــرو قبـــاء	**ليـــت عينـــه ســـواء**
فأســال النـــاس دمعـــاً	**أمديـــح أم هجـــاء**

فقوله : " ليت عينه سواء " فأنه محتمل على السواء لمعنيين متضادين أحدهما أن يكون دعاء عليه ، والآخر أن يكون دعاء له لأنه يحتمل أن يراد طلب تصحيح العين العوراء فيكون دعاء له ، أو تعوير الصحيحة فيكون دعاء عليه .

روى أن رجلاً أعطى لخياط أسمه عمرو ثوباً ليخيطه له ، فقال له الخياط لأخيطنه بحيث لا تعلم أقباء هو أم غيره ، فقال له الشاعر : لئن فعلت ذلك لأقولن فيه شعراً لا يدرى أهجاء أم غيره ، فلما خاط له القباء ، قال الشاعر ما ذكر فى البيتين : -

وعليه قوله تعالى ﴿ **وأسمع غير مسمع وراعنا** ﴾ [1] قال الزمخشرى : " غير مسمع " حال من المخاطب لأى اسمع وأنت غير مسمع ، وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه و لم يسمع فكان أصم غير مسمع ، قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم " لا سمعت " دعوة مستجابة " أو اسمع غير مجاب ما تدعو إليه " ، ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك ، فكانما لم تسمع شيئاً أو اسمع غير مسمع ما ترضاه فسمعك عنه ناب ، ويجوز على هذا أن يكون غير مسمع مفعول اسمع ، أى اسمع كلاماً غير مسمعع إياك ، لأن أذنك لا تعيه نبوا عنه .

ويحتمل المدح اى اسمع مكروها من قولك : "أسمع فلان فلانا إذا سبه " وكذلك قوله : " راعنا " يحتمل راعنا نكلمك أى ارقبنا و انتظرنا ، ويحتمل شبه كلمه عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهى : " راعنا " فكانوا سخرية بالدين وهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم يكامونه بكلام محتمل ينون به الشتيمة والإهانة ويظهرون التوقير والاحترام ، ثم قال : فإن قلت كيف جاءوا بالقول المحتما ذى الوجهين بعدما

---

[1] سورة النساء الآية ٤٦ .

صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا ؟ قلت : جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز أن يقولوه فيما بينهم ، ويجوز ألا ينطقوا بذلك ، ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا به [1]

(٢٧) الهزل يراد به الجد

ومن المحسنات المعنوية : الهزل يراد بـه الجد . ويذكر الخطيب القزويني أن تسميته تُغنى عن تعريفه ولذلك لم يُعَرفه ، واكتفى فيه بالمثال : فذكر قول أبى نواس يهجو قبيلتى تميم وأسد ويفتخر بقحطان :

إذَا مـا تَميمـيٌّ أتـاك مُفـاخِراً ... فَقُلْ عَدَّ عَنْ ذا كيف أَكْلُكَ لِلضَّـبِ

والضب حيوان صغير ذَنَبه كثير العقد ، "عد" أمر من عداه جعله يتعدى الشىء ، أى اترك هذا الأمر .

فهذا كلام هزل فى أصله ، لأنه لوأتاك إنسان مفاخراً وخاطبته غير مفاخر فى مجلس ممن تريد المطايبة معهم و المضاحكة ، قلت : إذا أتاك فلان مفاخراً فقل له أترك عنك هذا كيف أكلك للضب كان هزلاً ، وهو ذمٌّ للتميمى بأكل الضب وأنه لا مفاخرة له مع كونه يرتكب اكل الضب الذى يعافه أشراف الناس [2].

فقوله : " كيف أكلك للضب ؟ " هزل ، لأن ظاهره السؤال عن أكل الضب ، وهو سؤال لا معنى لإرادة معناه عند طلب المفاخرة إلا الهزل ، لكن المراد به الجد وهو الإشارة إلى أن التميمى حقير عن أن يُفاخر ، وإنما شأنه الإشتغال بأكل الضب ونحوه من الهمم النازلة .

ويقول أبو العتاهية :ـ

أرقيك أرقيك باسم الله أرقيكا ... مِنْ بُخْلِ نَفْسِكَ عَلَّ الله يشفيكا
ما سِلْم كفكَ إلا مَنْ يناولها ... ولا عدوك إلا مَن يُرَجِّيكا

فالشاعر يرقى هذا الرجل لعل الله يشفيه من بخل نفسه ، فظاهر الكلام الهزل ولكن المراد به الجد لأن هذا الرجل حقير حقير فه ويحمل بين حنبيه نفساً بخيلة ، وأول من فتح هذا الباب امرؤ القيس بقوله :

---

[1] شروح التلخيص جـ ٤ ص ٤٠١ .

[2] المرجع السابق جـ ٤ ص ٤٠٣ .

أيقتلنــي والمشـــرفى مضـــاجعى	**ومســـنونة زرق كأنيـاب أغـــوال**
وقـد علمـت سـلمى وإن كـان بعلهـا	**بـأن الفتـى يهـذى وليـــس بفعـــال**

قوله :" وإن كان بعلها " جملة معترضة بين " علمت " ومفعولها والبعـل : الـزوج ، وقولـه :" يهـذى " معناه يقول كلاماً غير معقول ، وهو زعمه أن زوجها يقتله .

والشاهد : فى قوله : "أن الفتى يهذى ، وليس بفعال " ظاهره الهزل ، ولكنه يريد بـه الجـد وهـو هجـو بعلها .

(٢٨) تجاهــل العــارف

التَجَاهُل مصدر من تَجَاهَل : ومعناه : أرى من نفسه الجهل وليس به [١] ، ويعرفه البلاغيـون بقولهـم : هو أن تسأل عن شئ تعلمه موهماً أنك لا تعرفه لغرض بلاغي ويسميه السـكاكى " سـوق المعلـوم مسـاق غيره " وذلك بأن يعبر فى المعلوم بما يدل فى الأصل على أنه غير معلوم ، وقال لا أحب تسـميته بالتجـاهل لوروده فى كلام الله كما فى قوله تعـالى : ﴿ **ومـا تلـك بيمينـك يـا موسـى** ﴾ [٢] ، وذلـك لأن تسـمية الكلام المنسوب لله بتجاهل العارف فيه إساءة أدب بخلاف تسميته بسوق معلوم مساق غيره ، فإنـه أقـرب إلى الأدب من الأولى ، وإن كانت كلمة " الغير " فى تسمية عبارة عن المجهول لكنها أستر لعمومها .

ومن الأغراض البلاغية التى يجئ لها تجاهل العارف :

١ – المبالغة فى المدح كقول البحترى :

ألمع ضوء سرى أم ضوء مصباح	**أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى**

أراد بالزنظر الوجه ، والضاحى هو الظاهر حساً ومعنى .

فالشاعر يعلم يقيناً أنه ليس هناك إلا ابتسامتها . فلما تجاهل وأظهر أنه التبس عليه الأمر فلم يـدرى هـل ذلك اللمعان المشاهد من أسنانها عند الابتسام لمع ضوء سرى أم هو ضوء مصبـاح أم هـو ضـوء ابتسـامتها الحاصلـة مـن منظرهـا الضـاحى فأفـاد التجـاهل المـنزل منزلـة الجهـل المبالغـة فـى المـدح

---

[١] لسان العرب لابن منظور ص ٧١٣ طبع دار المعارف .

[٢] سورة طه الآية ١٧ .

، وأنها بلغت إلى حيث يتخير فى الحاصل منها ويلتبس المشاهد منها ، فلم يفرق بينه وبين لمع البرق وضـوء المصباح .

٢- التوبيخ فى قول الخارجية وهى ليلى بنت طريف ترثى أخاها الوليد حين قتله اليزيد بن مزيد الشيبانى :

أيا شجرا لخابور مالك مورقاً ... كأنك لم تجزع على بن طريف

والخابور : نهر فى ديا بكر ينبت على حافتيه أشجار ، وشجر الخابور نوع من ذلك الشجر النابت على حافتى ذلك النهر ، والمراد ببكر الذى أضيفت له تلك الديار رجل كان من عظماء الجاهلية .

فالاستفها فى قولها : " مالك " للتوبيخ ، وهو تجاهل مع معرفتها أن الشجر لا يتأثر بموت من مات. وللقائل أن يقول : ليس تالنكتة هنا إرادة توبيخ الشجر بل النكتة إرادة إيهام أن الحزن على أخيها من الأمور العامة لا يختص بها إنسان عن شجر ، فهو تجاهل ، فأتى فى ظاهر اللفظ بالتوبيخ لنكتة المبالغة فى المدح على جهة الغلو بالوجه المستحيل كقوله :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه ... لتخافك النطف التى لم تخلق

وإنما أفردت ضمير الشجر رعاية للفظه لا لمعناه ، وإلا لأنثت . [1]

٣- المبالغة فى الذم كقول زهير :

وما أدرى وسوف إدخال أدرى ... أقوم آل حصن أم نساء

(قوم : المراد به الرجال فى مثل هذا الموقع .) فالشاعر يعلم يقيناً أن آل حصن رجال ، ولكنه تجاهل وأظهر أنه التبس عليه أمرهم فى الحال ، وإن كان سيعلمه فى المستقبل فلم يدر أهم رجال أم نساء ، وهذا التجاهل المنزل منزلة الجهل مفيد للمبالغة فى ذمهم من حيث أنهم يلتبسون بالنساء فى قلة نفعهم وضعف قائدتهم .

٤- التدله [2] فى الحب كقول الشاعر : [3]

با لله يا ظبيات القاع قلن لنا ... ليلاى منكن أم ليلى من البشر

---

[1] أنظر شروح التلخيص جـ٤ ص ٤٠٥ .

[2] التدله : التحير والدهش .

[3] اختلف فى نسبة هذا لبيت ، فنسب للمجنون ، ولذى الرمة ، وللعرجى ، وللحسين بن عبد الله الغزى - انظر معاهد التنصيص جـ٣ ص ١٦٧ ونسبة الباخرزى فى دمية القصر ، لبدوى اسمه : كامل الثقفى ، والأكثرون على أنه للعرجى .

(القاع : المستوى من الأرض – والقسم با لله : استعطاف للظبيات المناديات ليستمعن .

• فالشاعر يعلم أن ليلى من البشر فتجاهل ، وأظهر أنه أدهشه الحب حتى لا يدرى فى مدح ليلى : أهم من الظبيات الوحسية أم هم من البشر ، فلذلك سأل الظبيات عن حالها ، ويجوز أن يكون للمبالغة .

ومثله قول ذى الرمة :

أبا ظبية الوعاء بين جلاجل ... وبين النقا أأنت أم أم سالم

وما ألطف قول المتنبى :

أتراهـــا لكثـــرة العشـــاق ... تحسـب الدمـع خلقـة فـى المآقـى

وقول العميد بن سهل محمد بن الحسن :

يا دهرنا أينا أشجى ببينهم ... أأنت أم أنا أم ريا أم الدار

وقول بن نباتة السعدى :

فوا لله مـــا أدرى أكانـــت مدامـــة ... من الكرم تجنى أم من الشمس تعصر

٥– التقير وذلك فى قوله تعالى فى حق النبى (ص) حكاية عن الكفار :

﴿ هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفى خلق جديد ﴾ [1] . والمعنى : " يقول الكفار بضهم لبعض : هل نرشدكم إلى رجل – يعنون محمداً صلى ا لله عليه وسلم – يخبركم بأمر عجيب ونبأ غريب وهو أنه أنكا إذا فرقتم كل تفريق وقطعتم كل تقطيع وصرتم بعد موتكم رفاتاً وتراباً تخلقون خلقاً جديداً وتبعثون من قبوركم أحياء ، وتعودون إلى الصور التى كنتم عليها ، قال هذا القول بعضهم إلى بعض استهزاءً بما وعدهم ا لله على لسان رسوله من البعث وأخرجوا الكلام مخرج التلهى به والتضاحك مما يقوله من ذلك " [2]

(فالكفار يعلمون أن الرسول صلى ا لله عليه وسلم – على الحق وأنه صادق فيما يبلغ عن ربه ولكنهم تجاهلوا هذا العلم ، وقالوا هل ندلكم على رجل يقصدون محمداً صلى ا لله عليه وسلم ، كأنهم لم يعرفوا عنه شيئاً إلا أنه رجل ما .

– قبحهم ا لله – .

---

[1] سورة سبأ الآية ٧ .

[2] فتح القدير للشوكانى جـ٤ ص ٣١٣ نشر دار المعرفة بيروت .

٦- التعريض كقوله تعالى : ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدىً أو فى ضلال مبين ﴾ [(١)] . والمعنى : أن أحد الفريقين من الذين يوحدون الله الخالق الرازق ويخصونه بالعبادة ، والذين يعبدون الجمادات التى لا تقدر على خلق ولارزق ولا نفع ولا ضر لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلالة ومعلوم لكا علقل أن من عبد الله الذى يخلق ويرزق ، وينفع ويضر هو الذى على الهدى ، ومن عبد الذى لا يقدر على خلق ولا رزق ولا نفع ولا ضر ، هو الذى على الضلالة ، فقد تضمن هذا الكلام بيان فريق الهدى وهو المسلمون وفريق الضلالة وهم المشركون على وجه أبلغ من التصريح ، قال المبرد : معنى هذا الكلام معنى قول المتبصر فى الحجة لصاحبه : أحدنا كاذب ، وقد عرف أنه الصادق المصيب ، وصاحبه الكاذب المخطئ [(٢)] .

وبلاغة هذه الطريقة : أنها تحث المشركين على النظر والفكر فى حال أنفسهم ، وحال النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وإذا فكروا فيما هم عليه من إغارات بعضهم على بعض ، وسبى ذراريهم واستباحة أموالهم وقطع الأرحام وإتيان الفروج الحرام ، وقتل النفوي التى حرم الله قتلها وشرب الخمر التى تذهب العقول وتحسن ارتكاب الفواحش وفكروا فيما النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين عليه من صلة الأرحام وإجتناب الآثام والمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإطعام المساكين وبر الوالدين والمواظبة على عبادة الله تعالى ، علموا أن النبى عليه السلام والمؤمنين على هدى ، وأنهم على الضلالة بعثهم ذلك على الإسلام ، وهذه فائدة عطيمة . [(٣)]

٧- الإيناس : كقوله تعالى : ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ﴾ [(٤)] فموسى عليه السلام يقف بين يدى ربه فى موقف رهيب مهيب ، فأراد الله – سبحانه وتعالى – أن يسأله عما فى يده ليؤنسه ويزيل رهبته وخوفه ويملأ قلبه طمأنينه ، وهو يعلم ما فى يده ، بل ما تكنه نفس موسى .

إلى غير ذلك من النكات البلاغية التى يدركها صاحب الذوق الأدبى اللماح بمساعدة القرائن ودلالة الأحوال .

****

(١) سورة سبأ الآية ٢٤ .

(٢) فتح القدير للشوكانى جـ٤ ص ٣٢٥ .

(٣) شروح التلخيص جـ٤ ص ٤٠٥-٤٠٦ .

(٤) سورة طـه الآية ١٧ .

(٢٩) القــــول بالموجــــب

القول بالموجب : بكسر الجيم اسم فاعل لأن المراد به الصفة الموجبة للحكم ، وبفتح الجيم اسـم مفعـول إن أريد به القول بالحكم الذى أوجبته الصفة ، والمراد بالقول إعتراف المتكلـم بالصفـة الموجبـة للحكـم فـى كلام المخاطب مع كونه نافياً لمقصوده من إثباته لغير مـن أثبتهـا لـه المخـاطب أو مـع حمـل كلامـه خـلاف مقصوده .[١]

وهو ضربان : أحدهما : أن تقع صفة فى كلام الغير كناية عن شئ أثبت لـه فتثبـت تلـك الصفـة لغـير ذلك الشئ من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه كقولـه تعـالى : ﴿ **يقولـون لئـن رجعنـا إلى المدينة لنخرجن الأعز منها الأذل و لله العـزة ولرسـوله وللمؤمنـين** ﴾ [٢] يحكـى القـرآن الكريـم مقالـه شنعاء قالها المنافقون والقائل لهذه المقولة هو عبد الله بن أبئ رأس المنـافقون وعنـى بـالاعز نفسـه ومـن معـه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ثم رد الله سـبحانه علـى قـائل تلـك المقالـة فقـال "و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين " أى القوة والغلبة لله وحده ولمن أفاضها عليه من رسله وصالح عباده لا غيرهم . اللهم كما جعلت العزة للمؤمنين على المنافقين فأجعل العزة للعادلين من عبادك وأنـزل الذلـة علـى الجـائرين الظالمين .

فقد حكت الآية الكريمة على المنافقين كلاماً وقعت صفة من لفظ الأعز كناية عن فريـق المنـافقين كنايـة عن فريق المنافقين ، كما أن لفظ " الأذل " فى زعمهم كناية عن فريق المئمنين ، وأثبت فيه لفريـق المنـافقين الذى هو المكنى عنه حكم الإخراج من المدينة لعزته فى زعمهم ، فأثبت الله تعالى فى الرد عليهم العزة التى هى مضمون تلك الصفة لغير فريقهم بقوله : " و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين " ، فقد ردت الآية عليه بـأن العزة تتناسب الإخراج كما قلتم لكن ليست لكم بل العزة لله ولرسوله ثـم للمؤمنـين لا لفريقكـم ، ويـلزم منه إثبات الذلة للمنافقين ، ولزوم ثبوت العزة كون صاحبها هو المخرج بفتحها ، و لم تتعرض الآية لإثبـات الحكم ولا لنفيه ، ولكن فهم بالالتزام ، فكان الكلام من القول بالموجب .

والثانى : حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراد ، مما يحتمله بذكر متعلقه .

شرح التعريف : هو أن الأديب يأتى فيه كلامه بلفظ قد أطلقه غير المتكلم على معنى ، فيحملـه المتكلـم على معنى آخر لم يرده المتكلم الأول بشرط أن يكون المعنى الآخر مما يحتمله ذلك اللفظ احتمالاً حقيقيـاً أو

---

[١] حاشية الدسوقى ضون شروح التلخيص جـ٤ ص٤٠٦ .

[٢] سورة المنافقون الآية ٨ .

مجازيا بأن يكون اللفظ صالحا لذلك المعنى الذى حمل عليه ، ولو لم يرد ، فلو كان اللفظ غير صالح له كان الحمل عليه عبثاً لا بديعياً .

ومثاله قول ابن حجاج أو محمد بن ابراهيم الأسدى : -

قلت ثقلت إذ أتيت مرارا	**قال ثقلت كاهلى بالأيادى**
قلت طولت قال لا بل تطول	**ت وأبرمت قال حبل ودادى**

والشاهد فى البيت الول فقوله : " ثقلت " وقع فى كلام الغير ، وهو : بمعنى حملت المؤنة والمشقة باتيانى مرارا عديدة ، فحمله المخاطب فيما حكى عنه المتكلم على التثقيل على كاهله بالأيادى والمنن " والكاهل " : ما بين الكتفين والأيادى : النعم .

ومن القول بالموجب قول الشاعر :

لقد بهتوا لما رأونى شاحباً	**فقالوا به غين فقلت وعارض**

أرادوا بالعين إصابة العائن ، وحمله على إصابة عين المعشوق بذكر الملائمو هو العارض من الأسنان التى هةى كالبرد ، فكأنه فال صدقتم فى عينها لا عين العائن ، ومنه قول الآخر :

جاء أهلى لما رأونى عليلاً	**بحكيم لشرح دائى يسعف**
قال هذا به إصابة عين	**قلت عين الحبيب إن كنت تعرف**

ويرى بن السبكى أن النوع الثانى من أسلوب الحكيم المذكور فى علم المعانى [1]، [2].

(٢٩) الاطراد

الاطراء : وهو أن تأتى بأسماء المذكور وآبائه ممدوحاً كان أو غيره على ترتيب الولادة : الابن ثم الأب ثم الابن من غير تكلف فى السبك حتى تكون الأسماء فى تحدرها كالماء فى اطراده وسهولة انسحابه كقول الشاعر [3] :

---

[1]، [2] شروح التلخيص جـ٤ ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

[3] قيل هو ربيعة بن بنى نصر بن قعين يرثى ذؤاباً ابنه ويقال : قائله داود بن ربيعة الأسدى (انظر معاهد التنصيص جـ٣ ص٢٠١ طبع السعادة تحقيق محى الدين .

إن يقتلـوك فقـد ثللـت عروشـــهم	**بعتيبـة بـن الحـارث بـن شـهاب**
بـــأحبهم فقـــدا إلى أعدائـــه	**وأشدهم فقداً على الأصحـاب**

والثل : الهدم ، يقال : ثل الله عروشهم ، أى هدم ماكهم ، ويقـال للقـوم إذا ذهـب عزهـم وتضعضـع حالهم : قد ثُل عرشهم ، والمعنى : أن تبجحوا بقتلك وصاروا يفخرمن به فقد أقرت فى عزهـم ، وهدمـت أساس مجدهم بقتلك رئيسهم عتيبة بن الحارث .

ومنه قول دريد بن الصمة :

قتلنـا بعبـد الله خـير لداتـه	**ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب**

وفى الحديث الشريف قول النبى صلى الله عليه وسـلم :" الركيـم بـن الكريـم بـن الكريـم يوسـف بـن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم " فإنه فى غاية الحسن والسلاسة .

****

الفصل الثانى

المحسنات اللفظية

(١) الجناس

من المحسنات اللفظية " الجناس " بكسر الجيم ، لأنهفى الأصلل مصدر جناس جناسا ، كقاتل قتالاً .

وظاهرة الجناس إذا كانت لتحقيق المعنى وتأكيده كانت من ألطف مجارى الكلام ، ومن محاسن مداخله ، وكانت من الكلام كالغرة فى وجه الفرس [(١)] .

وفائدته : الميل إلى الإصغاء إليه ، فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلا واصغاء إليها ، ولأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ، ثم جاء والمراد به معنى آخر كان للنفس تشوف إليه ، وكفى التجنيس فخراً قوله صلى الله عليه وسلم " غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله، وعصية عصت الله " [(٢)] .

والجناس يأتى فى مكانه من الكلام ليقوم بنفيه من أداء المعنى أولا أما ما فيه من جمال لفظى فقد جاء من أن تلك الكلمة بالذات يتطلبها المعنى ، ويقتضى المجئ بها .

خذ ما ورد فى القرآن الكريم من الجناس التام ، كقوله تعالى : ﴿ **يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ، يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار** ﴾ [(٣)] تجد كلمة الأبصار الأولى مستقرة فى مكانها فهى جمع بصر ، ويراد به نور العين الذى تميز بين الأشياء ، وكلمة الأبصار الثانية جمع بصر بمعنى العين ، ولكن كلمة ألبصار هنا أدل على المعنى من كلمة العيون ، لما أنها تدل على ما منحته العين من وظيفة الإبصار ، وهى التى بها العظة والاعتبار ، فأنت ذا ترى أن أداء المعنى كاملا، وتطلب إيراد هذه الكلمة ، حتى إذا وردت رأينا هذا التناسق اللفظى [(٤)] .

ومن ثم وجدنا الشيخ عبد القاهر الجرجانى يؤكد هذا المعنى فيثبت أن الحسن والقبح فى الجناس لا يرجع إلى اللفظ والجرس ، إنما يرجع إلى تقوية المعنى وتأكيده فى الذهن يقول :" أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقم معناه من العقل موقعاً حميداً " ثم يضرب لذلك الأمثلة فيقول :" أتراك استضعفت تجنيس أبى تمام فى قوله :

---

(١) - انظر الطراز للعلوى جـ ٢ ص ٣٥٥ .

(٢) - عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص جـ ٤ ص ٤١٢ ، ٤١٣ .

(٣) سورة النور الآية ٤٣ ، ٤٤ .

(٤) من بلاغة القرآن للمرحوم د . أحمد بدوى ص ١٨١ ، ١٨٢ .

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت　　　فيه الظنون أمذهب أم مذهب

واستحسنت تجنيس القائل :" حتى نجا من خوفه وما نجا " .

وقول المحدث :

ناظراه فيما جنى ناظراه　　　أودعاني أمت بما أودعاني

لأمر يرجع إلى اللفظ ، أم أنك رأيت الفائدة ضعفت عن الأول ، وقويت فى الثانى ؟ ورأيتك لم يزدك بمذهب ، ومذهب " على أن أسمعك حروفاً مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهوله منكرة ، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ، ويوهمك كأنه لم يزدك ، وقد أحسن الزيادة ووفاها ، فهذه السريرة صار للتجنيس ، وخصوصاً المستوفى منه والمتفق فى الصورة من حلى الشعر ومذكوراً فى أقسام البديع " . [1]

ويؤطد الشيخ ما ذهب إليه فيقول :" فقد لك أن ما يعطى التجنيس من الفضيلة أمر " لا يتم إلا بنصرة المعنى ، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن ، ولما وجدت فيه إلا معيب مستهجن ، ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به . وذلك أن المعانى لا تدين فى كل موضع لما يجذبها بها التجنيس إليه ، إذ الألفاظ خدم المعانى والمصرفة فى حكمها ، وكانت المعانى هى المالكة سياستها ، المستحقة طاعتها ، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشئ عن جهته ، وأحاله عن طبيعته ، وذلك مظنه من الاستكراه ، وفيه فتح أبواب العيب والتعرض للشين " .[2]

ثم يقول :" وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ، حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجده لا تبتغى به بدلاً ، ولا تجد عنه حولاً ، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه ، وأحقه بالحسن وأولاه ، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى احتلابه ، وتأهب لطلبه " . [3]

ثم يوصى الأديب فيقول :" ولن نجد أيمن طائراً ، وأحسن أولاً وآخراً وأهدى إلى الإحسان وأجلب للاستحسان ، من أن ترسل المعانى على سجيتها وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ ، فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها و لم تلبس من المعارض إلا ما يزينها ، فأما أن تضع فى نفسك أنه لابد من تجنس بلفظين مخصوصين فهو الذى أنت منه بعرض الاستكراه ، وعلى خطر من الخطأ والوقوع فى الذم فإن

---

[1] الأسرار ص ٥-٤ .

[2] المرجع السابق نفسه .

[3] المرجع السابق ص ٥ .

ساعدك الجد كما ساعد فى قوله :" أودعانى أمت بما أودعانى " فذاك وإلا أطلقت ألسنة العيب ، وأفضى بك طلب الإحسان من حيث لم يحسن الطلب ، إلى أفحش الإساءة وأكبر الذنب ". [1]

وضرب مثلاً بأبى تمام وغيره من الشعراء الذين أسلموا أنفسهم للتكلف فلم يساعدهم التوفيق وأطلقوا ألسنة العيب على أنفسهم وهم لا يشعرون . ثم يوضح مراتب التجنيس فيقول :" واعلم أن النكتة التى ذكرتها فى التجنيس وجعلتها العلة فى استجابة الفضيلة : وهى حسن الإفادة ، مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة ، وإن كانت لا تظهر الظهور التام الذى لا يمكن دفعه إلا فى المستوفى المتفق الصورة منه كقوله :

ما مات من كرم الزمان فإنه ... يحيا لدى يحيى بن عبد الله

أو المرفو الجارى كقوله :" أودعلنى أمت بما أودعانى " .

فقد يتصور فى غير ذلك من أقسامه أيضاً فمما يظهر ذلك فيه ما كان نحو قول ابى تمام :

يمدون من أيد عواص عواصم ... تصول بأسياف قواضٍ قواضب

وذلك أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كالميم من " عواصم " والباء من " قواضب " أنها هى التى مضت ، وقد أرادك أن تجيئك ثانية ، وتعود إليك مؤكدة حتى إذا تمكن فى نفسك تمامها ، ووعى سمعك آخرها ، انصرفت عن ظنك الأول وزلت عن الذى سبق من التخيل ، وفى ذلك ما ذكرت لك من طلوع الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها ، وحصول الربح بعد أن تغالط فيه حتى ترى أنه رأس المال " . [2]

وخلاصة هذا الرأى أن الجناس الجيد هو الذى يطلبه المعنى ويستدعيه المقام ويقع من التكلم طوع الخاطر من غير تكلف .

تعريف الجناس

قالوا فى تعلايفه : الجناس أن يتشابه اللفظان فى حروفهما مع اختلافهما فى المعنى .

أقسام الجناس : –

ويقسم البلاغيون الجناس إلى خمسة أنواع هى : التام والمحرف، والناقص ، والمقلوب ، وما يشمل المضارع والاحق ، وذلك لأن اللفظين إن اتفقا فى كل شئ من أنواع الحروف وأعدادها وهيأتها وترتيبها

[1] المرجع السابق ص ١٠ ، ١١ .
[2] الأسرار ص ١١ ، ١٢ .

فهو التام وإن اختلفا فى الهيئة فقط فهو المحرف ، وإن اختلفا فى زيادة بعض الحروف فهو الناقص . وإن اختلفا فى نوع من الحروف فهو ما يشمل المضارع والاحق ، وإن اختلفا فى ترتيب الحروف فهو المقلوب . وفى كل قسم من هذه الأقسام الخمسة تفصيل سيأتى بمشية ا لله .

١– الجناس التام

وهو أن يتفق اللفظان فى أنواع الحروف والموجودة فى كل منهما وفى أعدادهما بأن يكون مقدار حرروف أحد اللفظين هو مقدار حروف الآخر وفى هيآت الحروف والهيئة للحرف هى حركته أو سكونه ، وفى ترتيبها بأن يكون المقدم والمؤخر وفى أحد اللفظين هو المقدم والمؤخر فى الآخر .

فالجناس التام له شروط أربعة : الاتفاق فى أنواع الحروف والاتفاق فى أعدادها والاتفاق فى هيئتها والاتفاق فى ترتيبها ، وهو يتنوع إلى أنواع : –

أ – الجناس التام المماثل : –

وهو أن تتحد الكلمتان المتجانستان فى الاسمية أو الفعلية ، أو الحرفية ، بأن تكونا أسمين ، أو فعلين أو حرفين .

فمثال الاسمين : –

قوله تعالى : ﴿ **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة** ﴾ فالجناس بين : " الساعة وساعة " والأولى معناها يوم القيامة والثانية معناها المدة المعروفة من الزمن ، ونحس بأن هذا الجناس يصور شعور المجرمين نحو مذة إقامتهم فى الدنيا ونحس بان هذا الجناس يصور شعور المجرمين نحو مدة إقامتهم فى الدنيا فهى فى نظرهم مدة قصيرة للغاية لم يتمكنوا أن يفعلوا فيها شيئا أو يحسون فيها بمتعة أو راحة .

فالساعة التى هى القيامة متحدة مع الساعة التى هى مقدار من الزمان فى الاسمية ، وقد اتفق اللفظان فى أنواع الحروف وأعدادها وهيئتها وترتيبها إذ لا عبرة بالام التعريفية ، لأنها فى حكم الانفصال ، فكان الجناس بينهما مماثلا ومنه قول النبى صلى ا لله عليه وسلم : لما نازع الصحابة جرير بن عبد ا لله فى أخذ زمام ناقة الرسول صلى ا لله عليه وسلم أيهم يقبضه ، فقال عليه السلام : " خلوا بين جرير والجرير " أى : " دعوا له زمامه " فالجناس فى الحديث الشريف بين كلمتى : "جرير والجرير " وجرير : اسم الصحابى المذكور ، والجرير : حبل مفتول من أدم .

ومن الحسن فى هذا الباب قول أبى نواس : –

عباس عباس إذا احتدم الوغى   والفضل فضل والربيع ربيع

فالجناس بين كلمتى : " عباس وعباس " وعباس الأولى اسم رجل والثانية من العبوس فى الحرب ، وكذلك بين كلمتى : " والفضل وفضل : والفضل اسم رجل وفضل الثانية معناها الزيادة فى الخيرات والأعمال الفاضلة ، والجناس أيضاً بين : " والربيع ربيع " وكلمة الربيع الأولى اسم شخص ، والثانية بمعنى المسرة والبهجة .

وقال صفى الدين الحلى فى مطلع قصيدة امتدح بها الملك الناصر حسنا :

أسلبن من فوق النهود ذوائباً   فتركن حبات القلوب ذوائبا

فالجناس بين لفظى : " ذوائبا ، وذوائبا " والأولى خصل الشعر والثانية من الذوبان .

ومثال الفعلين : -

أن يقال : " لما قال لديهم قال لهم : أتقوا الله وكونوا مع الصادقين " فالجناس بين الفعلين : (قال وقال) والأولى من القيلولة ، والثانى من القول وقال أبو الفتح البستى : -

فهمت كتابك يا سيدى   فهمت ولا عجب أن أهيما

فالجناس بين الفعلين : " فهمت وفهمت " والأولى من الفهم والثانى من الهيام وهو الحب والتعلق بالشئ .

ومثاله بين الحرفين أن يقال : " قد يجود الكريم ، وقد يعثر الجواد " فان " قد " الأولى للتكثير والثانية للتقليل ، فالمعنى مختلف مع أتفاق اللفظين فى نوع الحرفية وفى جميع ما مرَّ .

(ب) الجناس التام المستوفى وهو :

أن تختلف الكلمتان المتجانستان فى النوع بأن تكون إحداهما فعلا والثانية اسما ، أو احدهما فعلا والأخرى حرفا ، أو احدهما اسما والثانية حرفاً ، وسمى مستوفى لاستيفاء كل من اللفظين أوصاف الاخر وإن اختلفا فى النوع .

فمن أمثلة الفعل مع الأسم ، قول أبى تمام فى مدح يحى بن عبد الله البرمكى وكان من عظماء أهل الوزارة فى الدولة العباسية :-

ما مات كرم الزمان فانه   يحيا لدى يحى بن عبد الله

فالجناس بين الفعل " يحيا وبين الاسم " يحى " والأول فعل والثانى اسم الرجل .

والمعنى : ما ذهب من اهل الوقت من كرم الزمان المضى فصار كالميت فى دم ظهوره فإنذلك الميت من الكرم يظهر كالحى ويتجدد عند يحى بن عبد الله .

وقول من قال : "من أرسل نفسه مع الهوى ، فقد هوى فى أبعد الهوى " الجناس بين : " الهوى وهوى " والهوى الأول : هوى النفس ، والثانى : السقوط والثالث : مع وهى الحفرة العميقة .

وقال الحريى :

وفارق أباك إذا ما أباك ومد الشباك وصد من مسح

فالجناس بين : "أباك وأباك " والأولى : والدك ، والثانية : كرهك ، ومعنى مسح : عرض وأقبل .

وقال آخر :

ألف الوجد غرامى والألم والهوى بى دون أصحابى ألم

فالألم الأولى بمعنى والوجع والحزن ، والثانى بمعنى أحاط .

ومن أمثلة الاسم والحرف قول على بن أبى طالب :

هذا جناى وخيار فيه إذ كل جان يده إلى فيه

قلفظ " فيه " الأولى : حرف مد ، و " فيه " الثانية : اسم بمعنى القم ، وأما " الهاء " فى اللفظين فليست معتبرة فى الجناس إذ هى ضمير الغائب فى الموضعين ، فلم يختلف معناها ، وشرط الجناس اختلاف المعنى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت بها ، حتى ما تجعل فى فى أمرتك " .

" فى " الأولى : حرف جر ، والثانية اسم بمعنى الفم .

وقال القاضى أبو سعد محمد نصر بن منصور الهروى :

البحر أنت سماحة وفصاحة والدر ينثر من يديك وفيكا
والبدر أنت صبحة وملاحةً والخير مجموع لديك وفيكا

وفيكا أسم للفم فى البيت الأول ، وفيكا فى البت الثانى : حرف جر والكاف الاثنين ضمير للمخاطب.

ومن أمثلة الفعل والحرف قول الشاعر : -

ولو أن وصلا عللوه بقرية لما أن من حمل الصبابة والجوى

فالجناس بين " أن وأن " والأولى حرف توكيد والثانية فعل نت الأثنين .

(جـ)الجناس التام والمركب ويسمى جناس التركيب وهو : أن يكون أحد لفظيه مركبا وهو من أشرف أنواع الجناس وأحلاها . وله أنواع

١- الجناس التام المركب والمرفو ، وهو أن يكون المركب منهما مركبا من كلمة وبعض كلمة كقول الشاعر :

وسائله تسائل عن فعالى وعين حاز فى الدنيا جمالى
فقلت إلى المعالى حن قلبى وفى سبل الكرامة لج مالى
وللعلياء نهج مستقيم فما لى تارك ذا النهج مالى

فالجناس بين : "جمالى ، لج مالى ، والنهج مالى " تجد أن لفظ " جمالى " الأولى مفرد ،و الثانى مركب من كلمة وبعض كلمة وكذلك الثالث .

ويقول الشاعر : -

ما جن إظلام ولاح سنا وحياة من أصغى هواى له
من هجرة لا حلا ولا حسنا ليس الذى يجزى المحب به

فالجناس بين كلمتى : " حسنا ، ولاح سنا " فالأول مركب من كلمة وبعض كلمة والثانى مفررد ويسمى هذا النوع بالمرفو .

٢- الجناس التام المركب المتشابه : وهو أن يكون منهما مركباً من كلمتين أو أكثر وكان اللفظان المتجانسان متقفين فى الخط .

وذلك كما فى قول الشاعر : -

جـــدوا إلى طاعـــة مولاكـــم	فانمـــا دنيـــاكم ذاهبـــة
فقـــد حظـــى بـــالفوز مـــن	مـــن ذا يـــراه للـــورى ذاهبـــة

فالجناس بين : " ذاهبة فى البيت الأول وذاهبة فى البيت الثانى " وقوله ذاهبة فى البيت الأول بمعنى فانية ، وذاهبة فى الثانى صاحب هبة وهما متفقان فى الخط ولذلك سمى بالجناس المتشابه .

وقال أبو الفتح المبستى:

إذا ملك لم يكن ذاهبة فدعه فدولته ذاهبة

٣- الجناس التام المركب المفروق وهو أن يكون المركب منهما مركباً من كلمتين أو أكثر و لم يكونا متفقين فى الخط .

وذلك كقول أبى الفتح البستى : -

كلكـــم قـــد أخـــذ الج	م ولا جـــام لنـــا
ومـــا الـــذى ضـــر مديـــر ال	جلـــم لـــو جاملنـــا

الجام : الكأس . جاملنا : عاجلنا بالجميل فأدار الكأس علينا أيضاً والشاهد فى قوله : " جام لنا وجاملنا " فقد تجانسا وكل منهما مركب مع اختلافهما فى الخط ، ومن يجعل جناس التركيب خاصا بما يكون أحد المتجانسين وفيه مركبا والآخر مفرداً يجعل قوله : " جاملنا " مفردا لاتصال الضمير ومن الجناس التام المركب المفروق قول الأمير أبو الفضل عبيد الله بن محمد الميكالى :-

لقد راعنى بدر الدجى بصدوده	ووكل أجفانى برعى كواكبه
فيما جزعى مهلاً عساه يعود لى	وبأكبدى صبرا على ماكواك به

والشاهد فى قوله : " كواكبه - وماكواك به " فقد تجانسا وأحدهما مركب مع اختلافهما فى الخط ومن ثم سمى بالمفروق .

وله أيضاً : -

كتبت إليه استهدى جوابا	فقابلني بوعد فى الجواب
ألا ليت الجواب يكون خيرا	فيشفى ما احاط من الجوى بى

والشاهد فى قوله : " الجواب - الجوى بى " فقد تجانسا وأحدهما مركب مع اختلافهما فى الخط ومن ثم سمى بالمفروق .

وقول الآخر وهو أبو حفص عمر بن على المطوعى : -

لا تعرضن على الرواة قصيدة	ما لم تبالغ قبل فى تهذيبها
فمتى عرضت الشعر غير مهذب	عدوه منك وساوسا تهذى بها

والشاهد فى قوله : " تهذيبها - وتهذى بها " فقد تجانسا وأحدهما مركب مع اختلافهما فى الخط .

ومنه قول الاخر : -

أمير كله كرم سعدنا	بأخذ المجد منه واقتباسه
يحاكى النيل حين يروم نيلا	ويحكى باسلا فى وقت باسه

فالجناس بين " واقتباسه - وقت بأسه " فقد تجانسا وأحدهما مركب مع اختلافهما فى الخط .

(د) الجناس التام المسمى بجناس التلفيق وهو أن يكون كل من المتجانسين مركباً كقول البستى:-

إلى حتفى سعى قدمى	أرى قدمى قد أراق دَمى

فالجناس بين : (أرى قدمى - وأراق دمى) وكل منهما مركب .

****

٢- الجنـــاس المحـــرف:

وهو أن يتفق اللفظان فى أنواع الحروف الموجودة فى كل منهما ، وفى أعدادها بأن يكـون مقـدار أحـد اللفظتين هو مقدار الآخر ، وفى ترتيبها بأن يكون المقدم والمؤخر فى الآخر.

مـع الاختـلاف فـى هيـآت الحـروف ، والهيئة للحـرف هـى سـكونه فمثـال الاختـلاف فـى الحركـة و السكون قوله تعالى : ﴿ **والجار الجنب و الصاحب بالجنب** ﴾ [1] فالجناس بين" الجنب والجنب" وقولهـم : أن الذى سخر الفلك على الماء هو الذى سير الفلك فى السماء ولقولهم : " البدعة شـرك" ، وقـال آخـر :" كلام يدخل فى الأذن بلا أذن. "

وقول أبى العلاء :

والحسن يظهر فى بيتين رونقاه   بيت من الشعر أو بيت من الشعر

٣- الجنـــاس الناقـــص:

وهو أن يتفق اللفظان فى أنواع الحروف وهيئتها وترتيبها مع الإختلاف فى أعدادهـا فقـط . وهـو علـى وجهين-:

١) أحدهما أن يختلف بزيادة حرف واحد ويكون الأول كقوله تعالى : ﴿ **والتفـت السـاق بالسـاق ، إلى ربك يومئذٍ المساق** ﴾ فلم يختلف الساق والمساق إلا بزيادة الميم فى المساق.

وقول الحريرى :" يسخو بموجود ، ويسمو عند وجوده " فلم يختلفا فى نظم ولا زنة إلا بزيادة الميم فـى " موجودة " . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" المسلم من سلم المسـلمون مـن لسـانه ويـده " فلـم يختلف": المسلم " ولا " سلم " إلا بزيادة الميم لا غير.

وقال الحريرى:

لم يبـــق صـــاف ولا مصـــاف   ولا مَعِـــــين ولا مُعِـــــين

فلم يختلف :" صاف ولا مصاف " إلا بزيادة الميم لا غير.

---

[1] سورة النساء الآية ٣٦ .

وقول آخر:-

وكـم سبقــت منــه إلىّ عــوارف ثنــائى مــن تلك العوارف وارف
وكـــم غرر مـــن بـــره ولطـــائف لشكرى على تلك اللطائف طائف

فلم يختلف :" لطائف وطائف " إلا بزيادة اللام لاغير فى الأول.

أو فى الآخر:-

قول أبى تمام:

يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب

فآخر عواص ياء ، وآخر قواضب ياء ، وآخر قواضب الباء .

ومن ذلك ما قاله البحترى:

لئن صرفت عنـا فربـت أنفـس صواد إلى تلك النفوس الصوادف

فآخر صواد هى الياء ، وعجز صوادف الفاء ، مع اتفاقهما فيما عدا ذلك.

وقول آخر:

عذيرى من دهر موار موارب لـــه حسنـات كلهــن ذنوب

ومنه ما كتب به بعض ملوك المغرب إلى صاحب لهو يدعوه إلى مجلس أنس فقال له:

أيها الصاحب الذى فارقت عيـــ نـى ونفسـى منـه السـنا والسـناء
نحن فى المجاس الـذى يهـب الســرا حـــة والمِسْــمَع والغِنَـــى والغنـــاء
نتعاطى التـى تُنْســـى مـــن اللـذ ة والــرقـة والهـــوى والهــــواء
فإنــــه تُلْـــف راحـــة ومحبَّبَــــا قـد أعـــدًّا لـــك الحيــا والحَيَـــاء

وربما سمى الجناس الذى يكون بزيادة حرف فى الآخر " مطرفاً " ووجه حسنه أنـك توهـم قبـل أن يـرد عليك آخر الكلمة " عواصم " أنها هى التى مضت ، وإنما أتيا بها للتأكيد حتى إذا تمكن آخرها فى نفسـك ووعاه سمعك انصرف عنك التوهم ، وفى هذا حصول الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها.

أو يكون الاختلاف بين اللفظين المتجانسين بحرف فى الوسط : كقولهم :" جدى جهدى " ، أى حظى فى الدنيا على قدر تعبى ومشقتى فيها.

٢-النوع الثانى:-

أن يختلف اللفظان المتجانسان بزيادة أكثر من حرف واحد وذلك كقول بعض العرب:

وما منعت دار ولا عز أهلها — من الناس إلا بالقنا والقنابل

فقد جانس بين :" القنا والقنابل " وقد زادت الثانية عن الأولى بالباء واللام.

ويقول البحترى:

فيالك مـن حـزم وعـزم طواهمـا — جديد الردى تحت الصفا والصفائح

فقد جانس بين :" الصفا والصفائح " وقد زادت الثانية عن الأولى بالهمزة والحاء.

وتقول الخنساء :

إن البكــاء هــو شــفاءُ — مــن الجوى بيـن الجوانــح.

فقد جانست بين :" الجوى والجوانح " وقد زادت الثانية عن الأولى بالنون والحاء وقد يسمى البلاغيـون هذا النوع " بالمزيل"

٤) الجنـــاس المضــارع واللاحـــق

وهو أن يتفق اللفظان فى هيآت الحروف وأعدادها وترتيبها مع الاختلاف فـى أنواعهـا فقـط بشـرط ألا يقع الاختلاف بأكثر من حرف.

وهو نوعان : مضارع ولاحق.

١– الجناس المضارع:

وهو أن يختلف اللفظان المتجانسان فى حرفين متقاربين فى المخرج.

وهذا الاختلاف إما أن يكون فى أول الكلمة ، أو فى وسطها ، أو فى آخرها ، فمثال الاختلاف الأول قول الحريرى :" بينى وبين كنى ليل دامـس وطريـق طـامس " والكـن : المـنزل ، دامـس : شـديد الظلام ، طامس : أسود لا أثر فيه للضوء ، ولا شئ فيه يهتدى به.

فالجناس المضارع : بين دامس وطامس ،وقد اختلف اللفظان فى الدال والطاء ولكنهما متقاربان فى المخرج ، لأنهما من طرف اللسان ، مع أصول الثنايا العليا.

ومثال الاختلاف فى الوسط قوله تعالى : ﴿ **وهم ينهون عنه وينأون عنه** ﴾ [1] فقد جانست الآية بين " ينهون وينأون " ، وقد اختلف اللفظان فى الهاء والهمزة ، ولكنهما من مخرج واحد ، وهو أقصى الحلق.

ومثال الاختلاف فى الآخر قول المصطفى صلى الله عليه وسلم :" الخيل معقود بنواصيها الخير" فالجناس بين الخيل والخير ، وقد اختلف فى اللام والراء لكنهما من مخرج واحد ، وهو طرف اللسان مع اللثة العليا.

وسمى هذا النوع مضارعاً لأن المضارعة المشابهة فلما تشابها فى هذا الحرف لقب بالمضارع.

٢- الجناس اللاحق:

وهو أن يختلف اللفظان المتجانسن فى حرفين متباعدين فى المخرج.

وهذا الاختلاف إما فى الأول كقوله تعالى : ﴿ **ويل لكل همزة لمزة** ﴾ [2] فالجناس بين : " همزة ولمزة " وقد اختلف فى الهاء ، واللام ، وهما متباعدتان فى المخرج ، لأن " الهاء " من أقصى الحلق واللام من طرف اللسان"

وأما فى الوسط كقوله تعالى ﴿**وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد** ﴾ [3]

فالجناس بين : " شهيد وشديد " والاختلاف بينهما فى حرفين متباعدين فى المخرج وهما : الهاء والدال ، والهاء من أقصى الحلق ، والدال من طرف السان.

وأما فى الآخر : كقولهم : " التواضع شَرَك الشَرف " فالكاف والفاء متباعدان وقول البحترى-:

أَلِمَا فات من تلاق تلاف | **أم لشاك من الصبانة شاف**

فقد جانس بين : " تلاق وتلاف " وبين : " شاك وشاف "

فالقاف والفاء والكاف كلها حروفُ متباعدة.

---

[1] سورة الأنعام الآية ٢٦ .

[2] سورة الهمزة الآية ١ .

[3] سورة العاديات الآية ٧-٨ .

٥) الجنـــاس المقلـوب أو جنـاس القـلب

وهو أن يختلف اللفظان فى ترتيب الحروف ، وهو نوعان : قلب الكل وقلب البعض.

١- قلب الكل ، كقولهم : " حُسَامُه فَتْحٌ لأوليائه حتف لأعدائه. "

فالجناس بين : فتح وحتف ، وقد انعكس فيهما الترتيب ، فالفـاء التـى كـانت فـى الأول أصبحـت فـى الآخر ، والحاء التي كانت فى الآخر أصبحت فى الأول ، واللفظان مختلفان فى المعنى ، فالفتح: الانتصار ، والحتف الهلاك.

٢- قلب البعض : كما جاء فى الخبر : " اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا " فالجنـاس بـين" : عوراتنـا وروعاتنا " فاللفظ الأول فيه العين فى الأول والراء فى الموضع الثالث بينمـا " اللفـظ الثـانى فيـه الـراء فـى الأول والعين فى الموضع الثالث. وقول بعضهم : " رحم الله امرأ أمسك ما بين فكيه وأطلق ما بين كفيه " فاللفظ الأول " فكيه " فيه " الفاء " فى الأول ، بينما اللفظ الثـانى فيـه " الفـاء " فـى الموطـن " الثـانى. " وعليه قول أبى الطيب- :

مُمَنَّعَـــــةٌ مُنَعَّمَـــــةٌ رَدَاحٌ   يُكَلِّفُ لفظها الطير الوقوعا

الممنعة : التى يمنعها أهلها ويحمونها . الرداح : الثقيلة الأوراك . فقد جانس بين :" ممنعة ومنعمـة " وقـد حدث الاختلاف فى الترتيب بسبب الميم فقط ، فالميم فى اللفظ الأول " ممنعة " أخرت بعد العين فى اللفـظ الثانى " منعمة. "

وقول أبى تمام- :

بيـض الصفائـح لا سـود فـى   متونهن جلاء الشك والريب

فقد جانس بين : " الصفائح والصحائف " ونلاحظ أن التقديم والتأخير بين الفـاء والحـاء ، فالفـاء التـى كانت فى اللفظ الأول " الصفائح " مقدمة جعلت فى آخر اللفظ الثانى " الصحائف" والحـاء التـى كـانت فى اللفظ الأول " الصفائح " فى الآخر جعلت فى اللفظ الثانى " الصحائف " فى المكان الثانى.

الجناس المقلوب المجنح- :

وهو أن يقع أحد المتجانسين جناس القلب فى أول البيت والآخر فى آخره . وذلك مثل قول الشاعر- :

لاح أنــوار الهــدى مــن   كفـه فــي كــل حــال

فالجناس بين : " لاح وحال " وهو من قلب الكل كما نرى " لاح " فى أول البيت " وحال "فى آخر البيت.

الجناس المزدوج-:

ويرى البلاغيون أنه إذا ولى أحد المتجانسين الآخـر سمى مزدوجـاً ، ومكـرراً ، ومـرددا ، كقولـه تعـالى : ﴿ **وجئتك من سبأ بنبأ يقين** ﴾ . [1]

وقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : " المؤمنون هينون لينون. "

وقوله : " النبيز بغير النغم غم ، وبغير الدسم سم ".

وقول الشاعر-:

يمدون من أيد عواص عواصم   تصول بأسياف قواص قواض

وهذا عام فى كل جناس.

مــا يلحــق بالجنــــاس

يلحق بالجناس شيئان :-

١- أحدهما أن يجمع اللفظين الاشتقاق بأن يؤخذ لفظ من آخر لمناسبة بينهمـا كقولـه تعـالى ﴿ **فأقم وجهك للدين القيم** ﴾ [2] فأقم والقيم يجمعهما أصل لغوى واحد.

وقوله تعالى : ﴿ **فروح وريحان** ﴾ [3] وقوله تعالى : ﴿ **إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين** ﴾ [4]

فجناس الاشتقاق بين : " روح وريحان " وبين : " وجهت وجهى " وكـل هـذه الألفـاظ متشـابهة فـى الحروف ويجمعها أصل لغوى واحد.

---

[1] سورة النمل الآية ٢٢ .

[2] سورة الروم الآية ٣٠ .

[3] سورة الواقعة الآية ٨٩ .

[4] سورة الأنعام الآية ٧٩ .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " **الظلم ظلمات يوم القيامة** " وقول الشافعى رضى الله عنه:

وقد سئل عن النبيذ : " **أجمع أهل الحرمين على تحريمه.** "

وقول أبى تمام : " فياد مع أنجدنى على ساكنى نجد " أنجدتم : بمعنى سكنتم نجد ، والإتهام سكنى تهامة.

وقول البحترى:-

يعشى عن المجد الغبى ولن ترى فــى سـودد أربــا لغيــر أريــب

وقول محمد بين وهيب:-

قسمت صروف الدهر بأسا ونائلاً فمــالك موتــور وسيفـك واتــر

والبلاغيون : لم يدخلوا هذا النوعفى الجناس ، لأن بين اللفظين اتفاقا فى أصل المعنى ، والجناس يشترط فيه الاختلاط فى المعنى.

الثانى : جناس المشابهة:-

وهو أن يجتمع اللفظان فى المشابهة فقط ، وأى ما يشبه الاشتقاق وليس باشتقاق.

وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ **قال إنى لعملكم من القالين** ﴾ [1] "فقال " لها أصل لغوى ، وهو " القول بمعنى الكلام ، و "القالين " لها أصل لغوى وهو " القلى " بمعنى : البغض والكره.

ولكن الناظر إلى لفظى : " قال والقالين " يخيل إليه أنهما مشتقان من أصل واحد ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، فاللظان لم يجمعهما أصل واحد بل لكل منهما أصل خاص به.

وقوله تعالى : ﴿ **اثَّـاقَلْتُم إلى الأرض أَرَضِيتُـم بالحَيـاةِ الدُنيـا مِـن الآخِـرَة** ﴾ [2] "فالأرض وأرضيتم" أصلهما مختلف وإن كان بينهما متشابه من حيث اللفظ ، وقوله تعالى : ﴿ **فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه.** ﴾ [3]

وقال تعالى : ﴿ **وجنى الجنتين دان** ﴾. [4]

---

(1) سورة الشعراء الآية ١٦٨ .

(2) سورة التوبة الآية ٣٨ .

(3) سورة المائدة الآية ٢١ .

(4) سورة الرحمن الآية ٥٤ .

فنحن نلاحظ أن جناس المشابهة بين :" ليريه ، ويوارى " وبين :" وجنى ، الجنتين " ، وهذا الألفاظ أصلها مختلف ، ولكن مشابهة من حيث اللفظ و البلاغيون يرون أن هذا النوع من الجناس أقرب إلى الجناس الإصطلاحى من جناس الاشتقاق ، وذلك لأن اللفظين فيه متشابهان مع اختلافهما فى المعنى وهذه جهة القرب كما علمناها فى الجناس الاصطلاحى.

(٢) رد العجز على الصدر [1]

من أنواع التحسين اللفظية " رد العجز على الصدر " ويسمى " التصدير " وهو تارة يكون فى النظم ، وتارة يكون فى النثر.

أولاً : في النثر:

وهو أن يجعل المتكلم أحد اللفظين المتكررين أو الكتجانسين أو الملحقين بهما أى بالمتجانسين فى أول الفقرة والآخر فى آخرها.

فمثال المتكررين:

قوله تعالى : ﴿ **وتخشى الناس وا لله أحق أن تخشاه** ﴾ [2] فأحد اللفظين المكررين فى أول الآية ، ولا يمنع من ذلك تقدم الواو لأنه يصدق على الفعل بعدها أنه فى أول الفقرة وإن لم يكن أولها . والآخر وهو تخشاه فى آخرها ، ولايضر اتصال الآخر" بالهاء "فى كونه آخراً لأن الضمير المتصل كالجزء من الفعل.

ومثال المتجانسين:

قولهم :" سائل اللئيم يرجع ودمه سائل " أى طالب المعروف من الرجل الموصوف باللآمة ، والرذالة يرجع ودمعه سائل أو دمع اللئيم سائل ، وهذا أبلغ فى ذم اللئيم.

فسائل فى أول الفقرة وسائل فى آخرها متجانسان ، لأن الأول من السؤال والثانى من السيلان.

ومثال ما يوجد فيه أحد الملحقين بالمتجانسين من جهة الاشتقاق فى أول الفقرة والآخر فى آخرها :-
وذلك نحو قوله : ﴿ **فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً** ﴾ [3] فبين " استغفروا وغفارا " شبه تجانس

[1] انظر شروح التلخيص ص ٤٣٣-٤٤٤ .
[2] سورة الأحزاب الآية ٧٣ .
[3] سورة نوح الآية ١٠ .

باشتقاق ، لأن مادتهما المغفرة ، ولم يعتبر فى الآية لفظ " فقلت " قبل " استغفروا " ، لأن استغفروا هو أول فقرة فى كلام نوح عليه السلام وهو المعتبرة أولاً ، ولفظ قلت لحكايتها.

ومثال ما يوجد فيه أحد الملحقين بالمتجانسين من جهة شبه الاشتقاق فى أول الفقرة والآخر فى آخرها:

وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ **قال إني لعملكم من القالين** ﴾ فبين قال والقالين شبه اشتقاق و"قال" فى أول الفقرة ، و" القالين " فى آخرها وقال من القول والقالين من القلى وهو من البغض والكره.

ثانياً : في الشعر:

وهو أن يجعل الشاعر أحد اللفظين المكررين أو أحد المتجانسين ، أو أحد الملحقين بالمتجانسين بطريق الاشتقاق ، أو أحد الملحقين بهما بطريق شبه الاشتقاق فى آخر البيت.

ويكون اللفظ الأول المقابل فى صدر الشطر الأول من البيت ، أو في وسطه ، أو فى آخره، أو فى صدر الشطر الثاني.

الخلاصة:

أن أحد اللفظين له مكان واحد ، وهو آخر البيت من الشعر واللفظ الآخر المقابل له أربعة أماكن:

المكان الأول : صدر الشطر الأول من البيت.

المكان الثانى : وسط الشطر الأول من البيت.

المكان الثالث : آخر الشطر الأول من البيت.

المكان الرابع : أول الشطر الثانى من البيت.

ومع هذا الأماكن تأتى الكلمتان بأربعة أوجه:-

١- إما أن تكون الكلمتان المتقابلتان مكررتين.

٢- إما أن تكون الكلمتان المتقابلتان متجانستين.

٣- إما أن تكون الكلمتان المتقابلتان ملحقتين بالكتجانستين اشتقاقاً.

٤- إما أن تكون الكلمتان المتقابلتان ملحقتين بالمتجانسين بشبه الاشتقاق.

وعلى ذلك تصبح صور " رد العجز على الصدر " ست عشرة صورة حاصلة من ضرب أربعة أقسام المكررين والمتجانسين والملحقين اشتقاقاً والملحقين بشبه الاشتقاق فى أربعة أماكن اللفظ المقابل الذى فى العجز.

وإليك الأمثلة:

أولاً : أمثلة المكررين:

١- أن تكون الكلمتان المتقابلتان مكررؤتين والأولى تقع فى صدر البيت والثانية تقع فى آخره.

كقول المغيرة بن عبد الله المعروف بالأقيشر الأسدى:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه ... وليس إلى داعى الندى بسريع

والمعنى : هذا المذكور سريع إلى الشر واللآمة فى لطمه وجه ابن العم ، وليس بسريع إلى العمل بما يدعى إليه من الندى والكرم.

والشاهد فى البيت أن " سريع " الثانى فى آخر الشطر الثانى من البيت و" سريع " الأول وهو مكرر فى الشطر الأول من البيت.

٢- أن تكون الكلمتان المتقابلتان مكررتين ، والأولى تقع فى وسط الشطر الأول من البيت ، والثانية تقع فى آخر البيت.

وذلك كقول الشاعر وهو الصمة بن عبد الله القشيرى:

تمتّع من شَمِيم عَرَار نجد ... فما بَعْد العَشيَّة من عَرار

والمعنى : تمتع مقول القول فى البيت قبله وهو:

أقول لصاحبى والعِيسُ تهوى ... بِنَابَيْــن المُنيفَــة فالضَّمــار

والعيس : بكسر العين المهمله فى الأصل : الإبل التى يخالط بياضها شيئ من الشقرة ، واحدها أعيس والأنثى عيساء ، والمراد به هنا مطلق الإبل تهوى : تنحدر ، والمنيفة فالضمار : موضعان ، والنجد : ما ارتفع من بلاد العرب ، وما انخفض منها يسمى غوراً وتهامة.

وترى الشاعر يأمر صاحبه بالاستمتاع بشم عرار نجد ، وهى وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة ، لأن الحال يضطرهم إلى الخروج من نجد ومنابته عند الماء بالسفر عنها.

والشاهد فى البيت أن " عرار " الأولى تقع فى وسط الشطر الأول من البيت وهـو مكـرر مـع " عـرار" التى تقع فى آخر الشطر الثانى من البيت.

٣- أن تكون الكلمتان الكتقابلتان مكرتين ، والأولى تقع فى آخر الشطر الأول من البيت والثانية تقع فى آخر البيت.

وذلك كقول أبى تمام حبيب بن أوس الطائى.

ومن كان بالبيش الكواعب مغرما   فمـا زالـت القواضب مغرما

والمغرم بالشئ : هو المولع به . والكواعب : جمع كاعب ، وهى الدارية حين يظهر ثديها فى النهـود إى فى الأرتفاع . والقواضب : جمع قاضب وهو السيف القاطع والمعنى : أن من كان مولعا بالكواعب ، فهـو بخلافه ، وأنه مولع بالسيوف واستعمالها فى وقتها أى فى الحروب.

والشاهد فى البيت : أن " مغرما " الأول فى آخر الشطر الأول ، وهو مكرر مع " مغرما " فى العجز أى فى آخر البيت.

٤- أن تكون الكلمتان المتقابلتان مكرتين ، والأولى تقع فى صدر الشطر الثانى من البيت والثانية تقع فى آخر البيت.

تأمل قول ذى الرمة :-

وإن لم يكن إلا معرَّج ساعة   قليـلاً فانـى نافـع لى قليلها

والشاهد فيه : أن قليلا الأولى فى صدر الشطر الثانى من البيت وهو مكرر مع " قليلها " فـى العجـز أى فى آخر البيت . المعرج : بفتح الراء اسم مصدر من عرج " بشد الراء " على الشئ اذا أقـام عليـه وهـو خـبر لاسم" كان " الذى هو ضمير يعود على الإلمام الذى هو النزول بالشئ المفهوم من البيت قبله:-

ألما على الدار التى لـو وجدتهـا   بها أهلها ما كان وحشا مقيلها

والمعنى : أنى أطلب منكما أيها الخليلان أن تساعدانى فى الإلمام بالدار التى ارتحل عنها أهلها ، فصارت القيلولة فيها والنزول فيها وذلك التعريج إلا شيئا قليلا فهـو نـنـافع لى ، حيـث أراجـع ذكريـاتى الحلـوة مـع الأحباب ، فيذهب بعض همى ويشفى غليلى ، ويرفع حزنى ووجدى.

ثانيا : أمثلة المتجانسين :-

أن تكون الكلمتان المتقابلتان متجانستين ويكون المجانس الأول فى صدر الشطر الأول والمجانس الآخر فى العجز أى فى آخر البيت.

يقول القاضى الأرجانى:-

دعانى من ملاكما سفاها　　　فداعى الشوق قبلكما دعانى

السفاه : بفتح السين الخفة وقلة العقل ، ويروى بكسر الشين المعجمة بمعنى المشافهة والمواجهة بالكلام.

والمعنى : " اتركانى من لومكما ، والواقع منكما لأجل سفهكمت وقلة عقلكما ، أو الواقع منكما مشافهة من غير استحياء ، فإنى لا ألتفت إلى ذلك اللوم ، لان الداعى للشوق الموجب لغلبته على قد دعانى لذلك الشوق ونادانى إليه فأجبته فلا أجيبكما بعد ، وذلك الداعى للشوق هو جمال المشتاق إليه.

والشاهد فى البيت : أن دعانى الأول بمعنى اتركنى " من الود بمعنى الترك " وهو فى صدر الشطر الأول من البيت ، ودعانى الثانى بمعنى الدعوة والطلب وهى تقع فى آخر البيت أى فى عجزه.

٢- أن تكون الكلمتان المتقابلتان متجانستين ويكون المجانس الأول وسط الشطر الأول والمجانس الآخر فى العجز أى فى آخر البيت.

يقول أبو منصور الثعالبى:-

وإذا البلابل أفصحت بلغاتها　　　فانف البلابل باحتساء بلابل

أفصحت بلغاتها : أخلصت نغماتها . الاحتساء : الشرب.

والمعنى : إذا حركت البلابل بنغماتها الحسان الخالصة من اللكنة أحزان الأشواق والهوى ، فانف الأحزان التى حركها صوت البلايل بالشرب من أباريق الشراب . والشاهد : أن "البلابل " الأول وسط الشطر الأول - و لم يجعل مما كان فى صدره لتقدم إذا عليه وإذا كما نعلم تدخل على فعل محذوف يفسره المذكور.

والبلابل : جمع بلبل وهو طائر معروف حسن الصوت ، والبلابل الثانى جمع بلبة بضم الباءين والام وهى بلبة للابريق وهو فى عجز البيت.

٣- أن تكون اللفظتان المتقابلتان متجانستين ويكون المجانس الأول فى آخر الشطر الأول من البيت ، والمجانس الثانى فى آخر البيت أى فى العجز يقول الحريرى فى المقامة الحرامية :-

فمشغوف بآيات المثانى ومفتون برنات المثانى

والمعنى : فمشغوف بآيات القرآن يهتدى بها ويتذكر ما فيها من الاعتبارات والفاء فى قوله" : فمشغوف " لتفضيل أهل البصرة : أى فمنهم الصالحون المشغفون بقراءة القرآن ، ومنهم من هو مفتون بآلات واللهو والطرب ومنهم دون ـ ذلك والمراد مدح البصرة بأنها مصر جامع.

والشاهد : أن المثانى الأول فى آخر الشطر الأول والثانى فى العجز وهما متجانسان إذ المراد بالمثانى الأول القرآن لأنه تثنى فيه القصص والوعد والوعيد ، ويطلق لفظ " المثانى على الفتحة منه ، لأنها تثنى فى كل ركعة ، والمراد بالمثانى الثانى : أوتارالمزامير ، لأنها طاقات تثنى أى يضم بعضها إلى بعض ، ورناتها : نغماتها.

٤- أن تكون اللفظتان المتقابلتان متجانستين ، ويكون المجانس الأول في صدر الشطر الثانى ، والمجانس الثانى فى العجز أى فى آخر البيت.

يقول الأرجانى:

أمَّلتهم ثم تأملتهم فلاح لى أن ليس فيهم فلاح

والمعنى : رجوتهم ثم تفكرت فى أحوالهم ، هل هم ممن يرجى خيره أو لا فلاح لى بعد التأمل أن ليس فيهم بقاء على الخير وفوز بالرجاء وبلوغ الأمل.

والشاهد : أن " فلاح " الأول فى صدر الشطرر الثانى " وفلاح " الثانى فى العجز ، وهما متجانسان ، فالأول : فاء العطف التى تدل على التريث مع الفعل " لاح " بمعنى : ظهر ، والثانى: بمعنى الفوز والمقام على الخير وذلك ظاهر.

ثالثا : أمثلة الملحقين بالمتجانستين اشتقاقا:

١- أن تكون اللفظتان المتقابلتان ملحقتين بالمتجانستين اشتقاقا ويكون الأول منهما فى صدر الشطر الأول والثانى فى العجز أى فى آخر البيت.

يقول البحترى:

ضرائب أبدعتها فى السماح   فلسنا نرى لك فيها ضريبة

والمعنى أنشأت أثارها الدالة على أنك طبعت عليها من الإعطاء الأفخم والبذل بكل نفيس أعظم ، وتلك الطبائع اختصصت بها فلسنا نرى لك فيها ضريبة أى مثيلا.

والشاهد : أن ضرائب فى أول الشطر الأول مشتق منه لفظ " ضريباً " الذى فى العجز فبينهما الالحاق إشتقاقا لأن ضرائب وضريبا يرجعان إلى اصل لغوى واحد وهو الضرب.

٢- أن تكون اللفظتان المتقابلتان ملحقتين بالمتجانستين اشتقاقا ويكون الملحق الأول منهما فى وسط الشطر الأول والثانى فى العجز أى فى آخر البيت.

تأمل قول أمرئ القيس- :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه   فليس على شئ سواه بخزان

والمعنى : أن الإنسان إذا لم يحفظ لسانه على نفسه فلا تثق به فى أمرك لأنه لا يخزن لسانه أى لا يحفظه بالنسبة إلى غيره. والشاهد : إن الملحق الأول إشتقاقا " يخزن " فى وسط الشطر الأول والملحق الثانى اشتقاقا فى العجز أى آخر البيت. وإنما كانا ملحقين من جهة الأشتقاق لأن " يخزن وخزرن " يرجعان لأصل واحد ، وهو " الحزن" فهما مشتقان منه.

٣- أن تكون الكلمتان المتقابلتان ملحقتين بالمتجانستين إشتقاقا ويكون الملحق الأول منهما فى آخر الشطر الثانى ، والملحق الثانى فى العجز أى فى آخر البيت.

يقول ابن عيينه المهلبى- :

فدع الوعيد فمل وعيدك ضائرى   أطنين أجنحة الذباب يضير

والمعنى : أن اخبارك تنالنى بمكروه ، دعه فأنه لا يجديك معه شئ ، لأنه بمنزلة طنين أجنحة الذباب ، وذلك الطنين لا يبالى به أحد فكذلك وعيدك.

والشاهد . أن الملحق الأول إشتقاقا فى آخر الشطر الأول " ضائر " والملحق الثانى إشتقاقا فى العجز أى فى آخر البيت ، وبين " ضائر ويضير " اشتقاق ، لأنهما مشتقان من الضمير بمعنى الضرر.

٤- أن تكون اللفظتان المتقابلتان ملحقتين بالمتجانسين إشتقاقا ، ويكون الملحق الأول منهما في أول الشطر الثاني والملحق الثاني في العجز أي في آخر البيت.

يقول أبو تمام في مرثية محمد ابن نشهل حين استشهد:

وقد كانت البيض القواضب في الوغى بواتر وهي الآن من بعده بتر

والمعنى : أن السيوف البيض القواطع في ذاتها كانت في الحروب قواطع لرقاب الأعداء فحسن أستعمال المدوح لها لمهارته في الضرب بها ، وتدربه وشجعاته ، فهي الآن مقطوعة الفائدة إذ لم يبقى بعده من يستعملها كاستعماله.

والشاهد : أن الملحق الأول " بتر وبواتر " مما يجمعها الاشتقاق لأنهما مأخوذان من البتر وهو القطع .

رابعاً : أمثلة الملحقين بالمتجانسين بسبب شبه الإشتقاق :

١- أن تكون الكلمتان المتقابلتان ملحقتين بالمتجانستين لشبه الإشتقاق ، ويكون الملحق بالمتجانسين بشبه الإشتقاق - الأول فيصدر الشطر الأول والثاني في العجز أي في آخر البيت.

يقول الحريري:-

ولاح يلحى على جرى العنان إلى ملهى فسحقاً له من لائح لاح

والمعنى : ظهر الشيب يلومني على جرى الخيل إلى الأماكن التي فيها اللهو فبعداً له من ظاهر لائم.

والشاهد : أن الملحق الأول في صدر الشطر وهو "لاح" والملحق الثاني في العجز.

"ولاح" الأول ماضى يلوح مأخوذ من اللوحان وهو الظهور والثاني : اسم فاعل من لحاه إذا لامه.

٢- أن تكون الكلمتان المتقابلتين ملحقتين بالمتجانسين بسبب شبه اللاشتقاق ويكون أحد الملحقين بالمتحانسين بسبب شبه الاشتقاق في وسط الشطر الأول ، والثاني منهما في العجز.

يقول أبو العلاء المعرى:

لو اختصرتم من الإحسان زُرْتُكم والعذب يُهجَر للإفراط في الخَصَر

والمعنى : لو تركتم كثرة الإحسان ، و لم تبالغوا فيه بل أتيتم بما يعتدل منه زرتكم ولكن أكثرتم من الإحسان فهجرتكم لتلك الكثرة لخروجها عن الإعتدال ، ولا غرابة في هجران ما يستحسن لخروجه عن

حد الاعتدال الذى لا يطاق لأن الماء العذب الذى هو مطلوب فى أصله قد يهجر للإفراط فى تجـاوزه الحـد فى الصفة المستحسنة منه . وهو خصره أى برودته.

والشاهد : أن " اختصرتم مع الخصر " بينهما شبه الاشتقاق أنه يتبادر أنهمـا مـن مـادة واحـدة ، وليـس كذلك ، فإن الأول الواقع فى الشطر الأول لسبق لو عليـه – مـأخوذ مـن مـادة الاختصـار الـذى هـو تـرك الإكثار ، والثانى : " الخصر " مأخوذ من " خصر " أى " برد."

هذا ويحتمل أن يكون هذا البيت من قبيل الذم إن أراد بكثرة الإحسـان أنهـم أكـثروا حتـى تحقـق منهـم السفه ، فهجرهم لأفعالهم السفيهة.

ويحتمل أن يكون من قبيل المدح ، إن أراد أنهم أكثروا فعجز عن الشكر فاستحيا من الإتيـان إليهـم بـلا قيام بحق الشكر كان مدحاً ، وإن كان لفظ " الهجران " يقوى إرادة الذم.

٣- أن تكون اللفظتين الكتقابلتان ملحقتين بالمتجانستين بسبب شبه الاشـتقاق وتكـون إحداهمـا فـى الشطر الأول والثانية منهما فى آخر البيت.

يقول الحريرى:

ومضطلع بتلخيص المعانى — ومطلع إلى تخليص عانى

والمضطلع بالشئ القوى فيه الناهض به ، وتلخيص المعانى اختصار ألفاظهـا وتحسـين عباراتهـا ، والمطلـع الناظر ، وتخليص العانى فكاك الأسير.

والشاهد : " ان المعانى وعانى " وقع الأول فى آخر الشطر الأول ووقع الثانى فى نهاية الشطر الثانى أى فى العجز ، والأول من عنى يعنى والثانى من عنا يعنو.

٤- أن تكون اللفظتان المتقابلتان ملحقتين بالمتجانستين بسبب شبه الاشتقاق وتكون اداهما فـى صـدر الشطر الثانى والأخرى فى العجز.

كقول الشاعر:

لعمـرى لقد كان الثريـا مكانه — ثراء فأضحى الآن مثواه فى الثرى

والمعنى : لقد كانت الثريا مكانه من جهة ثروته وغناه ، يقال : لمن أصبح غنياً ذا ثروة أصبـح فـلان فـى الثريا ، أو فى العيوق ، وقوله مثواه فى الثرى ، أى فى الأرض والتراب.

والشاهد : فى " ثراء " الأول و" الثرى " الثانى ، فإن الأول واوى من الثروة والثانى يأتى ، فبينهما شبه الاشتقاق من أصل واحد.

وبعد ، فهذه صور " رد العجز على الصدر " وجمالها أن تأتى بدون تكلف وأن المقام يقتضيها.

السجـــــــع

السجع هو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد فى الآخـر والفاصلـة هـى : الكلمـة الأخـيرة مـن القرينة أو الفقرة.

والفقرة : قطعة من الكلام مزاوجة للأخرى.

والقرينة : قطعة من الكلام مزاوجة للأخرى.

والأديب إذا نطق بالكلام على روى واحد ، بمعنى أن تسيل الكلمتان فى آخر الفقرتين على حرف معين ، فإنما يفعل ذلك ليكتسب كلامه درباً من الموسيقى والتنغيم ، وليجارى عاطفتـه ، ويثـير نفـس سـامعه أو قارئه.

وقديماً قالوا فى صفة الكلام المسجوع : " الحفظ إليه أسرع والآذان لسماعه أنشط ، وهو أحق بالتقييد وبقلة التفلت. "

وجعلوه على ثلاثة أنواع : مطرف ، ومرصع ، ومتواز.

١- فالمطرف:

ما اختلف فيه الفاصلتان فى الوزن مع الاتفاق فى التقفية كما فى قوله تعالى :﴿ **ما لكم لا ترجـون لله أطواراً وقد خلقكم أطواراً** ﴾ فالفاصلة من الفقرو الأولى " وقاراً " ومن الفقـرة الثانيـة " أطـواراً " وهمـا مختلفان فى الوزن ، فوزن " وقاراً " فعولن ، ووزن " أطواراً " مستفعل.

وهذا النوع من السجع سمى مطرفاً ، لأن التوافق بين الفاصلتين وقع فى الطرف ، وهو الحرف الأخير .

٢- والمرصع:

ما كان فيه احدى القرينتين كلها أو جلها مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى فى الوزن والتفقيه كما فـى قول الحريرى :" يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه. "

فنلاحظ أن كلمات الفقرة الثانية متفقة مع كلمات الفقرة الأولى فى الوزن ، والتقضية بالترتيب ، فيقرع متفقة مع يطبع ، والأسماع مع الأسجاع ، وزواجر مع جواهر ، ووعضه مع لفظه.

وسمى ترصيعاً لأن الكلمتين المتتاليتين فى الجملتين أو أكثر من جملتين يشبه جعل إحدى اللؤلؤتين فى العقد مقابلة للأخرى.

٣- المتوازى:

وهو ما لا يكون جميع ما فى القرينة ، ولا أكثر مثل ما يقابله فى الأخرى كما فى قوله:

﴿ **فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة** ﴾ ففى خذا الآية الكريمة كلمة " سرور " فى الفقرة الأولى ، تقابلها فى الفقرة الثانية كلمة " أكواب" وليستا متفقتين فى الوزن ولا فى التفقية ، وإنما الاتفاق فقط فى الفاصلتين " من حيث الوزن والتقفية. "

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعاء له :" اللهم إنى أدرأ فى نحورهم ، وأعوذ بك من شرورهم " ففى هذا الحديث لم تتفق كل الفقرة الثانية مع ما يقابلها فى الفقرة الأولى ، بل كان الاتفاق فى الفاصلتين من حيث وزنهما وقافيتهما ، وسمى هذا النوع من السجع " المتوازى " لتوازى الفاصلتين أو توافقهما ، وشرط حسن السجع : اختلاف قرينته فى المعنى كما مر عليك من الأمثلة.

وقد عاب النقاد فى قول بن عباد فى جماعة مهزومين :" قاموا واقين بظهورهم صدورهم ، وبأصلابهم نحورهم " لأن القرينتين " الظهور والأصلاب " بمعنى واحد.

وأحسن السجع ما تساوت فقراته كقوله تعالى : ﴿ **فى سدر مخضود وطلح منضود** ﴾ ويليه فى الحسن ما طالت قرينته الثانية كقوله تعالى : ﴿ والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ فهاتان قرينتان ثانيتهما أكبر عدداً من الأولى ثم القرينته الثالثة كقوله تعالى : ﴿ **خذوه فغلوه ، ثم الجحيم صلوه ، ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه** ﴾ فقوله تعالى : ﴿ **ثم الجحيم صلوه** ﴾ قرينة ثالثة وهى أطول من سابقتيها كما ترى .

ولا يحسن أن يأتى الأديب بالقرينه التالية أقصر من الأولى كثيراً ، لأن السجع إذا اسوفى أمده من الأولى لطولها ، ثم جاءت الثانية أقصر منها كثيراً كان كالشئ المبتور ، ويبقى السامع أو القارئ كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها ، ومرجع ذلك إلى الذوق الأدبى السليم.

(هذا وفواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز : أى أواخر فواصل القرائن موقوفاً عليها ، لأن الغرض أن يزاوج بينها ، ولا يتحقق ذلك فى كل صورة إلا بالوقف والبناء على السكون كقولهم : " ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت " فلو اعتبرت الحركة لفات السجع لأن التاء من" فات " مفتوحة ، ومن " آت " مكسورة منونة ، وهذا غير جائز فى عرف القوافى ، ولا يتحقق فيه التزاوج بين الفواصل.

قيل : ولا يقال فى القرآن أسجاع ، لأن السجع فى الأصل هدير الحمام ، فلا يصح إطلاقه على كلام الله تعالى تعظيماً له وتأدبا ، بل يقال فواصل.

وقيل : السجع غير مختص بالنثر ، ومثلوا له من الشعر بقول أبى تمام:

تجلى به رشدى ، وأثرت به يدى وفاض به ثمدى وأورى به زندى

تجلى : ظهر ، أثرت : اغتنت ، الثمد : الماء القليل ، أورى : صار ، ذا ورى : أى نار ، والزند: العود الأول الذى يقتدح به النار ، وهذا كناية عن الظفر بالمطلوب ، والسجع فى اتفاق فواصله فى الدال.

****

التشــــــطير

ومن السجع ما يسمى التشطير وهو أن يجعل كل من شطرى البيت سجعة مخالفة لأختهـا ، كقـول أبـى تمام يمدح المعتصم حين فتح عموريه:

تدبير معتصم با لله منتقم   لله مرتقب فى ا لله مرتقب

والمعنى : ان الممدوح ممن يعتصم با لله أى يتحصن به تعالى ، ويتوكل عليه وينتقم ممـن انتقـم منـه لأجـل أخذ حق ا لله من ذلك المنتقم منه ، ويرغب فيما عند ا لله ، ويرتقب من ا لله تعالى ثوابه ، ويرجوه أن يرفـع عنه عذابه ، فهم خائف راج كما هو صفة المؤمنين.

والشاهد : أن قوله " تدبير معتصم " هذة سجعة ، وقوله " با لله منتقم " هذه أختها ، وهما فـى الشـطر الأول.

وأما قوله :" لله مرتفب " هذه سجعة ، وقوله : " فى ا لله مرتقب " هذه أختها وهما فى الشطر الثانى.

ولا يخفى أن سجعتى الشطر الأول بالميم ، وسجعتى الشطر الثانى بالباء ، فهذا تشطير لأنه جعل سجعتى الشطر الأول مخالفتين لأختيهما فى الشطر الثانى ، وقد وجد السجع فى البيت الأول بلا سكون ، وبه يعلم أن العدول إلى السكون فى السجع إنما هو عند الحاجة إليه.

****

التصـــريع

ومن السجع على القول بجريانه فى النظم ما يسمى بالتصريع وهو : جعل العروض مقفاة تقفية الضرب ، والعروض هو آخر المصراع الأول من البيت ، ولاضرب هو المصراع الثانى منه.

وذلك كقول أبى فراس:

بأطـــراف المثقفـــة العـــوالى   **تفردنـــا بأوســـاط المعـــالى** [1]

وهو مما استحسن حتى أن أكثر الشعر صرع البيت الأول منه ، ولذلك متى خالفت العروض الضرب فى الوزن جاز أن تجعل موازنة له إذا كان البيت مصرعاً.

وذلك كقول امرئ القيس:

ألا أنعم صباحاً أيها الطلل البالى   **وهل ينعمن من كان فى العصر الخالى** [2]

أتى بعروض الطويل مفاعيلن ، وذلك لا يصح إذا لم يكن البيت مصرعاً ، ولهـذا خطئ أبـو الطيـب فـى قوله:

تَفكُّره عِلْم ومنطقةُ حُكْمٌ   **وباطنه دِينٌ وظاهرهُ ظرفٌ** [3]

قال بن الأثير : واعلم أن التصريع فى الشعر بمنزلة السجع فى الفصلين من الكلام المنثور.

وفائدته فى الشعر:

أنه قبل كمال البيت الأول من القصيدة تعلم قافيتها وشبه الباب لامصرع بباب له مصراعان متشـاكلان ، وقد فعل ذلك القدماء والمحدثون وفيه دلالة على سعة القدرة فى أفانين الكلام.

فأما إذا كثر التصريع فى القصيـدة فلسـت أراه مختـاراً ، إلا أن هـذه الأصنـاف مـن التصريـع والتجنيـس وغيرها ، إنما يحسن منها فى الكلام ما قل وجرى مجرى الغره من الوجه ، أو كان كالطراز من الثوب.

فأما إذا تواترت وكثرت ، فإنها لا تكون مرضية ، لما فيها من إمارات الكلفة.

---

(1) المثقفة : المقومة . والعولى : الرماح .والأوساط : جمع وسط الشئ وهو أفضل شئ فيه . والشاهد : فى تقفية العروض والضرب فى اللام .

(2) الطلل : ما شخص من آثار الديار . العصر : الدهر ضمت صاده للوزن . والخالى : الماضى .

(3) والظرف : مصدر ظرف ، فهو ظريف أى كيس حسن الهيئة ، والشاهدعدم قبضه عروض الطويل من غير تصريح ، وقد اعتذر له من وجهين : أن هذا جاء عن العرب ، وأنه الأصل .

ثم قسم الأثير " التصريع " إلى سبع مراتب:

المرتبة الأولى:

وهى أعلى التصريع درجة – أن يكون كل مصراع من البيت مستقلاً بنفسه فى فهم معناه ، غير محتاج إلى صاحبه الذى يليه ويسمى التصريع الكامل.

وذلك كقول امرئ القيس:

أفاطم مهلاً بعد هذا التدللى وإن كنت قد أزمعت هجرى فأجملى

فإن كل مصراع من هذا البيت مفهوم المعنى بنفسه ، غير محتاج إلى ما يليه وعليه ورد قول المتنبى:

إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكـل فصـيح قـال شعـراً مـتيم

المرتبة الثانية:

أن يكون المصراع الأول مستقلاً بنفسه غير محتاج إلى الذى يليه فإذا جاء الذى يليه كان مرتبطاً به.

وذلك كقول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فالمصراع الأول غير محتاج إلى الثانى فى فهم معناه ، لكن لما جاء لاثانى صار مرتبطاً به.

وكذلك ورد قول أبى تمام:

ألم يأن أن تروى الظماء الحوائم وأن يَنْظِم الشمل المُبَدَّدَ نَاظم

وعليه ورد قول المتنبى:

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهى المحلُّ الثانى

المرتبة الثالثة:

أن يكون الشاعر مخيراً فى وضع مصراع موضع صاحبه ويسمى " التصريع الموجه "

وذلك كقول ابن الحجاج:

من شرط الصبوح فى المهرجان خفة الشرب مع خلو المكان

فإن هذا البيت يجعل مصراعه الأول ثانياً ، ومصارعه الثانى أولاً ، وهذه المرتبة كاثانية فى الجودة.

المرتبة الرابعة :

أن يكون المصراع الأول غير مستقل بنفسه ، ولا يفهم معناه إلا بالثانى ، ويسمى " التصريع النـاقص "، وليس بمرضى ولا حسن.

فمما ورد منه قول المتنبى:

مغانى الشعب طيباً فى المغانى بمنزله الربيع من الزمان

فإن المصراع الأول لا يستقل بنفسه فى فهم معناه دون أن يذكر المصراع الثانى.

المرتبة الخامسة :

أن يكون التصريع فى البيت بلفظة واحدة وسطاً وقافية ويسمى " التصريع المتكرر " وهو ينقسم قسـمين أحدهما أقرب حالاً من الآخر ، فالأول:

أن يكون بلفظة حقيقية لا مجاز فيها ، وهو أنزل الدرجتين كقول عبيد بن الأبرص:

فكل ذى غيبة يئوب وغائب الموت لا يئوب

القسم الآخر:

أن يكون التصريع بلفظة مجازية يختلف المعنى فيها وذلك كقول أبى تمام:

فتىً كان شِرْباً للعفاة ومُرْتَغَى فأصبح للهِـدِية البيض مرتعاً [1]

المرتبة السادسة:

أن يذكر المصراع الأول ، ويكون معلقاً على صفـة يـأتى ذكرهـا فـى أول المصـراع الثـانى ، ويسـمى" التصريع المعلق. "

فما ورد منه قول امرئ القيس:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فإن المصراع الأول معلق على قوله :" يصبح " ، وهذا معيب جداً ، وعليه قول المتنبى:

---

[1] مرتعا :موضع الرعى . ورتع : المسرح .

قد علم البين منا البين أجفانا   ندمى وألف فى ذا القلب أحزانا

فإن المصراع الأول معلق على قوله :" تدمى."

المرتبة السابعة:

أن يكون التصريع فى البيت مخالفاً لقافيته ، ويسمى " التصريع المشطور " وهو أنزل درجات التصريع وأقبحها.

فمن ذلك قول أبى نواس:

أقلنى قد ندمت على ذنوب   وبالإقرار عدت من الجحود

فصرع بحرف الباء فى وسط البيت ، ثم قفاه بحرف الدال ، وهذا لا يكاد يستعمل إلا قليلاً نادراً. [1]

وهذا عيب من عيوب القوافى سماه قدامة بن جعفر " التجميع " وعرفه بأن تكون قافية المصراع الأول من البيت على روى متهيئ لأن تكون قافية آخر البيت بحسبه ، فـاتى بخلافه. [2]

(٤) الموازنـــة والمماثلـــة

ومن المحسنات اللفظية : الموازنة والمماثلة.

-١الموازنة :

وهى تكون فى النثر وفى النظم.

تعريفها : أن تتفق الفاصلتان فى الوزن ، ولا يتفقا فى القافية / والمراد بالتقفيه هنا : اتفاق مزدوجين فى الحرف الأخير ، ولا يختص ذلك بالقافية الشعرية.

وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ **ونمارق مصفوفة ، وزرابى مبثوثـة** ﴾ [3] فقوله جل وعلى : ﴿ **ونمارق مصفوفة**﴾ هذه فقره وقوله تعالى ﴿ **وزرابى مبثوثة** ﴾ فهذه أخرى " ونمارق " : جمع نمرقة ، بضم النون وفتحها ، وهى الوسادة الصغيرة ، " والزرابى " : البسط الفاخرة جمع زربية ، ومبثوثة : أى مفروشة.

---

[1] المثل السائر فى ادب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير القسم الأول ص٣٣٨ - ٣٤٢ قدم له وحققه وعلق عليه د/ الحوفى ود/ طبانة نشر وكتبة نهضة مصر ط الأولى سنة ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م .

[2] نفس المرجع هامش المحققين .

[3] سورة الغاشية الآية ١٥-١٦ .

فواضح أن الفاصلة فى الفقرة الأولى : " مصفوفة " وفى الثانية " مبثوثة " وهما متفقتان فى الوزن الشعرى ، دون التقفية على ما تقرر ذلك فى علم القوافى فإنهم ذكروا هناك أن تاء التأنيث ليست من حروف القافية.

وعلى ذلك " فمصفوفة " آخرها حرف الفاء ، و" مبثوثة " آخرها حرف التاء ، ومن هنا فهى من الموازنة للاتفاق فى الوزن دون التقفية.

الفرق بين الموازنة والسجع

يرى البلاغيون أنه :-

١- إذا كان الاختلاف فى التقفية شرطاً فى الموازنة فتكون هى والسجع متباينتين وعلى ذلك فالموازنة لا تصدق على نحوقوله تعالى : ﴿ **فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة** ﴾ [١] . لوجود التوافق فى التقفية كما هو واضح ، وشرط الموازنة عدم الاتفاق فى التقفية - ويصدق الآية السجع لوجود التقفية.

٢- إذا لم يشترط فى الموازنو التوافق فى التقفية جاز أن تكون مع التقفية ومع عدمها بشرط الاتحاد فى الوزن.

وعلى هذا فيكون بين السجع والموازنة عموم وخصوص من وجه ، أى : يصدقان على شئ وينفرد كل منهما بشئ آخر.

وذلك لأن البلاغيين اشترطوا فى السجع اتحاد التقفية ، و لم يشترطوا فيه اتحاد الوزن فيصدقان فى نحو قوله تعالى : ﴿ **فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة** ﴾ لوجود التقفية والوزن معاً.

وينفرد السجع بنحو قوله تعالى : ﴿ **مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا** ﴾ [٢] . لوجود التقفية دون الوزن . ولا يكون موازنة لعدم الوزن.

وتنفرد الموازنة بنحو قوله جل وعلا : ﴿ **ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة** ﴾ _لوجود الوزن فيكون موازنة دون التقفية فلا يكون سجعا.

---

[١] سورة الغاشية الآية ١٣-١٤ .

[٢] سورة نوح الآية ١٣-١٤ .

المماثلة:-

وهى : أن يكون ما فى إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى فى الوزن أى يال هذه الموازنة مماثلة . فالمماثلة نوع للموازنة.

ومعنى التعريف : أننا إن وجدنا جميع ما فى القرينة مساوياً لكل ما يقابله من الأخرى أو لم نجد الجميع مساويا بل وجدنا البعض وكان ذلك البعض أكثر أطلقنا على الموازنة مماثلة.

هذا والمساواة تعبير فى الوزن ، ولا يشترط وجود تلك المساواة فى التقفية بناء على أن الموازنة تصدق على ما التقفية كما تصدق على غيره.

ومثال المماثلة قوله تعالى : ﴿ **وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم**﴾ [1] .فقوله ﴿ **وآتيناهما الكتاب المستبين** ﴾ هذه قرنية ﴿ **وهديناهما الصراط المستقيم** ﴾ هذه مقابلتها ، فالكتاب من القرينة الأولى موازن للصراط من القرينة الثانية ، والمستبين من القرينة الأولى موازن للمستقيم من الثانية والمفعول " هما " من الأولى متفق مع المفعول " هما " فى الثانية وكذلك الفاعل " نا " فى الأولى متفق مع الفاعل " نا " فى الثانية ولا خلاف إلا فى الفعل.

فواضح أن كلاً من القرينتين أربع كلمات غير الفاصلة ، والتوافق فى ثلاثة من الأربعة وهى : الفعل وفاعله ، ومفعولاه ، ولا تخالف إلا فى الفعل.

فهذا مثال من النثر لما تساوى فيه الجل فى الوزن و لم يوجد هنا تساوى فى التقفية.

ومثال التساوى فى الكل فى النثر قوله تعالى : ﴿ **ونمارق مصفوفة ، وزرابى مبثوثة** ﴾

ومثال ما تساوى فيه الجل فى الوزن من الشعر قول أبى تمام:

مَهْمَا الوحش إلا أنْ هَاتَا أَوانِس ... قَنَا الخَط إلا أن تِلكَ ذَوابِلُ

والمعنى : يمدح الشاعر نسوة فيقول : هن كمها الوحش فى سعة الأعين وسوادها وأهدابها ، يأنس بهن العاشق بخلاف مها الوحش فإنها نوافر.

وهن كقنا الخط فى طول القد واستقامته زدن بالنضارة والنعومة.

---

[1] سورة الصافات الآية ١١٧-١١٨ .

والشاهد : أن " مها " من الشطر الأول موازن " لقنا " من الشطر الثانى ، و" أوانس " من الشطر الأول موازن " لذوابل " من الشطر الثانى ، وقوله " إما أن " فـى الشـطرين متفـق ، وأمـا " هاتـا " فـى الشطر الأول ، و" تلك " فى الشطر الثانى فهما غير متوازنتين ، وحينئذ فهذا المثال مـن الشـعر لمـا تسـاوى فيه الجل.

ومثال ما تشاوى فيه جميع ما فى إحدى القرينتين لجميع ما فى الأخرى فى الوزن قول أبى تمام فى مدح الفتح بن خاقاك ويذكر مبارزته للأسد:

فأحجم لما لم يجد فيك مطعما وأقـدم لمـا لـم يجد عنـك مهربا

والمعنى : أن هذا الأسد لما لم يجد فيك طمعاً فى تناملك لقوتك عليه أحجم وتباعد عنـك ، ولمـا عـرف أنه لا ينجو منك أقدم دهشاً ، فإقدامه تسليم منه انفسه لعلمه بعدم النجاة لا للشجاعة.

والشاهد : أن " أقدم " فى الشطر الثانى موازن " لأحجم " فى الشطر الأول ، وقوله : " لما لم يجد" فى الشطر الثانى موازن لنظيرتها فى الشطر الأول ، و" عنك " موازن " لفيك " ، " ومهرباً " موازن" لمطعماً " وليس فى البيت موافق فى التقفية.

ويرى البلاغيون أن هذا النوع الأحسن فى المماثلة.

(٥) القلـــــــب [1]

ومن المحسنات اللفظية القلـب : وهـو أن يكـون الكـلام بحسـث بـو عكسـت قراءتـه الأولى بـأن بـدأت بالحررف الأخير ، ثم بما يليه ، وهكذا إلى الحرف الأول كان الحاصل من ذلك العكس هو حـاصل الكـلام بعينه ، ولا يضر فى القلب المذكور تبديل بعـض الحركـات والسكنات ، ولا تخفيـف مـا شُـددَ أولاً ، ولا تشديد ما خُفِّفَ أولاً ، ولا قصر ممدود ـ ولا مد مقصور ، ولا تصيير الألف همزة ولا الهمـزة ألفـاً . وهـذا القلب يجرى فى النظم والنثر.

فمثاله من النظم قول القاضى الأرجانى:

أحب المرء ظاهره جميل لصاحبـه وباطنـه سـليم

مودته تدوم لكل هول وهـل كـل مودته تدوم

---

[1] شروح التلخيص ص ٤٥٩-٤٦٠ جـ٤ .

فالبيت الثانى يمكن أن يقرأ من آخره لأوله كما يقرأ من أوله لآخره.

ومثاله فى النثر قوله تعالى : ﴿ **كل فى فلك** ﴾ [1] فإنك إن قرأته من الآخير طاء القلب وقوله تعالى:

﴿ **وربك فكبر** ﴾ . [2]

ومن القلب قولهم : " قَلَعُ مَرْكِبْ بِبِكْرِ مُعَلَّقْ " وقولهم :" أرض خضراء " وقول العماد الكاتب

للقاضى الفاضل :" سر فلا كبا بك الفرس " وجواب القاضى له :" دام علا العماد. "

وقد يكون القلب فى المفرد نحو :" سلس " و " باب. "

ومن القلب نوع آخر يقال :" إنه قلب الكلمات"

كقوله:

عدلوا فما ظلمت لهم دول	**سـعدوا فمـا زالت لهم نعم**
بذلوا فما شحت لهم شيم	**رفعوا فمـا زالـت لهـم قدم**

فهو دعاء لهم فإذا تقلبت كلماته صار دعاء عليهم وهو:

نعم لهم زالت فما سعدوا	**دول لهم ظلبمت فما عدلوا**
قدم لهم زالت فما سعدوا	**شـيم لهـم شحت فما بذلوا**

(٦) التشـــــريع

ومن المحسنات اللفظية التشريع ، ويسـمى التوشيح وذا القـافتين والتسـمية الأخـيرة أصـرح فـى معنـاه ، والتوشيح فى الأصل التزيين بالألى.

وقيل:

إن تسميته بالتشريع لا تخلو من قلة أدب ، لأن أصل التشريع تقرير أحكام الشرع ، وهو وصف البارى أصالة ، ووصف رسوله نيابة فالأولى أن يسمى بالتسميتين الأخيرتين.

---

[1] سورة يس الآية ٤٠ .

[2] سورة المدثر الآية ٢ .

والتشريع:

أو التوشيح أو ذو القافيتين : وهو بناء البيت على قافيتين أو أكثر بحيث يصح المعنى والوزن مع الوقوف على كل من القافيتين اللتين بنى البيت عليهما ، على أن يكون الوزن مع خصوص كل من القافيتين من بحر غير الأخرى ، أو من ضرب غير ضرب الأخرى مع كونهما من بحر واحد ، أو يبنى الأبيات على قواف متعددة وهو قليل ، والموجود كثيراً وعليه تبنى القصائد ما يكون من قافيتين.

وأبلغه:

ما يكون فى جميع القصيدة.

وإليك مثال ما بنى على قافيتين كقول الحريرى:

يا خاطب الدنيا الدنية إنها	**شرك الردى وقراره الأكدار**
دار متى ما أضحكت فى يومها	**أبكت غداً تباهاً من دار**
غاراتها لا تنقضى وأسيرها	**لا بفتدى بجلائل الأخطار**

فقد جعل لهذه الأبيات ، وكذا سائر أبيات القصيدة قافيتين : إحداهما ، صاحبه الروى الذى هو الدال ، فتكون الأبيات هكذا:

يا خاطب الدنيا الدنيـ	**ـة أنها شرك الردى**
دار متى ما أضحكت	**فى يومها أبكت غداً**
غاراتها لا تنقضى	**وأسيرها لا يفتدى**

والخاطب : الطالب ، والدنية : الحقيرة ، والردى : الهلاك ، وقرارة الشئ ما قر فيه وسكن.

وقد يتصرف الشاعر فيجعل لشعره أكثر من قافية كقول الحريرى:

جودى على المستهتر الصب الجوى	**وتعطفى بوصاله وترحمى**
ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى	**ثم اكشفى عن حاله لا تظلمى**

المستهتر : المولع الذى لا يبالى بما قيل فيه ، والصب : العاشق ، والجوى هو المحروق بنار العشق أو الحزن.

فهذه الأبيات مبينة على قواف متعددة:

الأولى:

رائية فى المستهتر والمتفكر فيقال من منهوك الرجز:

جودى على المستهتر ذا المبتـلى المتفكـــر

الثانية:

بائية فى الصب والقلب ، فيقال من مشطور الرجز الأحد:

جودى على المستهتر ذا المبتلى المتفكر القلب

الثالثة:

يائية فى الجوى والشجى فيقال من مشطور الرجز:

جودى على المستهتر الصب الجوى ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى

الرابعة:

فائية فى تعكفى واكشفى فيقال من مجزوء الرجز:

جودى على المستهتر الصب الجوى وتعطفى ذا المبتلى المتفكر القلب ثم اكشفى

الخامسة:

هائية فى وصاله وحاله فيقال:

جودى على المستهتر الصب الجوى وتعطفى بوصاله

ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى ثم اكشفى عن حاله

(٧) لـــزوم مـــا لا يلـــزم

ونرى الأديب يتصرف فى أدبه تصرفاً يكشف به عن مهاراته وتأنقه ، فيلتزم قبل حـرف الـروى- وهـو الحرف الذى تبنى عليه القصيدة ، أو قبل لبخرف لاذى وقع فـى آخـر فواصـل الفقـرات مـا ليس بـلازم:

يقول الشاعر:

سأشكـر عمـراً مــا تراخت مَنِيَّتى   أيـادى لـم تَمْنُـنْ وإن هى جلت

فتىً غير محجوب الغنى عن صديقه   ولا مُظهر الشكوى إذ النعل زلت

أيادى : جمع يد بمعنى النعمة ، لم تمنن : لم تقطع أو لم تخلط بمنه ، إذا التعل زلت : كناية عن نزول الشر ، زلت : زلقت. فى هذا الشعر – الوى حرف " التاء " الذى بنيـت عليـه القصيـدة ، ولكـن الشـاعر جـاء قبلها بنون مشددة مفتوحة ، وليس ذلك بلازم فى القافية ، إلا أن الشاعر ألزم نفسـه " بـاللام " المشـددة ، والتزامها لزوم لما لا يلزم.

ويقول أبو العلاءَ المعرى:

يقولون فى البســتان للـعين لذة   وفى الخمر والمـاء الذى غير آسن

إذا شئـت أن تلقى المحاسن كلها   ففى وجـه من تهوى جميع المحاسن

الآسن : المتغير ، تهوى تحب.

تجد أن حرف الروى هو " النون " المكسورة ، وهو الذى بنيت عليه القصيدة ولكن الشاعر لم ينته عنـد هذا الحد ، و لم يكتف بالتقيد بحرف الوى ، بل ألزم نفسه قبل ذلك الحـرف بحـرف " السـين" والـتزام ذلك التزام لما لا يلزم. وفى القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فـلا تنهـر** ﴾ [١] تجد الوى فى" تقهر وتنهر " بمنزله الروى من القافية من حيث الختم بهذا الحرف وهو كاف فى " باب الفواصل " ، ولكن التزام " الهاء " قبل " الراء " منهما التزام لما لا يلزم.

ويقول الله تبارك ونعالى : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمـر ، وإن يـروا آيـة يعرضـوا ويقولـوا سـحر مستمر** ﴾ [٢] نرى الراء فى (القمر ومستمر) بمنزلة الروى كذلك من حيث الاعتمادعلى هذا الحرف فى الختم به ، ولكن جئ قبل كل منهما بميم ، والتزام هذه " الميم " التزام لما يلزم.

---

[١] شورة الضحى الآية ٩-١٠ .

[٢] سورة القمر الآية ١-٢ .

الفصل الثالث

السرقـات الشـعرية ومـواضع التأنـق فـى الكـلام

أولاً : السرقات الشعرية

تمــهيــد:

لا غنى للشاعر عن التمرس بالأساليب الشعرية لمن تقدمه من الشعراء الممتازين بجانب ما منحه الله من ذوق دقيق وحس مرهف.

أوضح ذلك الناقد الأديب صاحب " عيار الشاعر " ابن طباطبا العلوى المتوفى سنة ٣٢٢ هـ يقول ": وستشعر فى أشعار المولدين بعجائب أفادوها ممن تقدمهم ، ولطفوا فى تناول أصولها منهم ، ولبسوها على من بعدهم وتكثروا بأبداعها فسلمت لهم عند ادعائها ، للطيف سحرهم فيها وزخرفتهم لمعانيها ". [١]

فللشاعر أن يأخذ المعنى ، ولكن عليه أن يلبسه ثوباً جديداً ، أو يصوره فى صورة طريفة ويصبغ عليه روحاً من عنده ، حتى يعتقد المتلقى أن هذا المعنى من عند هذا الشاعر لا يساوره شك فى ذلك.

وطلب العلوى من شعراء عصره أن يلجوا هذا الباب لأنهم فى أشد الحاجة إليه ، يقول :" والمحنة على شعراء زماننا فى أشعارهم أشد منها على من كان قبلهم ، لأنهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع ، ولفظ فصيح ، وحيلة لطيفة وخلابة ساحرة ، فإن أتوا بما يقصر عن معانى أولئك ، ولا يربى عليها لم يتلق بالقبول ، وكان كالمطرح المملول. [٢]

وأبو هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ، يقرر هذا المعنى أيضاً ، يقول : " ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعانى ممن تقدمهم ، والصب على قوالب من سبقهم ، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم ، ويبرزوها فى معارض من تأليفهم ، ويوردوها فى غير حلتها الأولى ويزيدوها فى حسن تأليفها ، وجودة تركيبها وجمال حليتها ومعرضها ، فإذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق إليها. [٣]

---

[١][٢] عيار الشعر لابن طباطبا العلوى ص ٨-٩ تحقيق د/ طه الحاجرى ومحمد زغلول سلام نشر التجارية الكبرى سنة ١٩٥٦ م .

[٣] كتاب الصناعتين الكتابة والشعر لأبى هلال العسكرى ص ١٩٦ تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى سنة ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م طبع عيسى البابى الحلبى القاهرة .

والقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى المتوفى سنة ٣٦٦ هـ بعد أن يسلم بإفادة اللاحق من السابق يقول منبهاً الناقد الأدبى :" لا يغرك من البيتين المتشابهين أن يكون أحدهما نسيباً ، والآخر مديحاً وأن يكون هذا هجاء ، وذاك افتخار ، فإن الشاعر الحاذق إذا علق المعنى المختلس عدل به عن نوعه وصنفه وعن وزنه ونظمه ، وعن رويه وقافيته ، فإذا مر بالغبى الغفل وجدهما أجنبيين متباعدين ، وإذا تأملهم الفطن الذكى عرف قرابة ما بينهما والوصلة التى تجمعهما ، قال كُثَير:

أريد لأنْسِى ذكرها فكأنما ... تَمَثّل لِى ليلى بكل سبيل

وقال أبو نواس:

مَلك تَصَوَّر فى القلوب مِثالُه ... فكأنه لم يخل منه مكان

فلم يشك عالم فى أن أحدهما من الآخر ، وإن كان الأول نسيباً والثانى مديحاً. [١]

ويقول ابن الأثير وهو يوضح فائدة دراسة باب السرقات الشعرية :" واعلم أن الفائدة من هذا النوع أنك تعلم أين تضع يدك فى أخذ المعانى ، إذ لا يستغنى الآخر عن الاستعارة من الأول ، لكن لا ينبغى لك أن تجعل فى سبك اللفظ على المعنى المسروق ، فتنادى على نفسك بالسرقة ، فكثيراً ما رأينا فى عجل من ذلك فعثر ، وتعاطى فيه البديهة فعقر. [٢]

فواضح أن دراسة باب السرقات الشعرية تفيد الناقد وتوقفه على مدى تصرف الشعراء فى إخذهم ممن تقدمهم ، ولكن لا يتم هذا للناقد إلا لو كان أمامه دراسة واسعة لنصوص أدبنا العربى ، وحصر للمعانى الشعرية ، وللصور التى برزت فيها ، عندئذ يستطيع الحكم على الشعراء بعين العدل والموضوعية والدليل الواضح . أحس بذلك القاضى النزيه على بن عبد العزيز الجرجانى فجمع كثيراً من المعانى التى اشترك فيها الشعراء وصورها كل منهم بطريقته الخاصة به وذلك فى كتابه " الوساطة بين المتنبى وخصومه " يقول فى نهايتها :" وقد أتينا على ما حضرنا من هذا الكتاب ، ونبنا عنك فى جمعه واستحضاره ولقطه ، وتصفح الدواوين ، ولقاء العلماء فيه ، وبيضنا أوراقاً لما لعله شذ عنا من غريبة ، وما عسانا نظفر على مرور الأوقات به ، وما نأبى أن يكون عندك أو عند أحد من أصحابك فيه زيادات لم نعثر بها ، أو لطائف لم نفطن إليها إن كنت على يقة من علمك ، وبصيرة بما عندك ، وعرفت من طرق السرق ، ووجوه النقل ما

---

[١] الوساطة ص ٤١٠-٤١١ .

[٢] المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير تحقيق د/ الحوفى د/ طبانة ص٢١٨ القسم الثالث نهضة مصر .

يسوغ فيه حكمك ، وتعدل فيه شهادتك ، فلا بأس أن تلحق به ما أصبته ، وأن تضيف إليـه مـا وجدتـه ، بعد أن تتجنب الحيف ، وتتنكب الجور ، وتعلم أن وراءك مـن النقـاد مـن يعتـبر عليـك نقـدك ، ومـن لا يستسلم للعصبية استسلامك. [1]

وابن الأثير في كتابه المثل السائر يذكر أنه لما أراد الخـوض فـي علـم البيـان ورام أن يكـون معـدوداً مـن علمائه ، وعلم أن هـذه الدرجـة لا تنـال إلا بنقـل مـا فـي الكتـب إلى الصـدور ، والاكتفـاء بـالمحفوظ عـن المسطور . ويضيف بأنه وقف من الشعر على كل ديوان ومجموع فوجده بحراً لا يوقف على ساحله ، فعنـد ذلك اقتصر منه على ما تكثر فوائده ، وتتشعب مقاصده ، واكتفى في هذا الشعر بشعر أبي تمام حبيب بـن أوس وأبي عبادة الوليد البحتري ، وأبي الطيب المتنبي ، الذين ظهرت على أيديهم حسـناته ومستحسـناته ، وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء ، وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء .

ويقول :" إني لم أعـدل إليهـم اتفاقـاً ، وإنمـا عدلـت إليهـم نظـراً واجتهـاداً ، وذلـك أنـي وقفـت علـى أشعار الشعراء قديمها وحديثها حتى لم أترك ديواناً لشاعر مغلق يثبت شـعره علـى المحـك إلا وعرضتـه علـى نظري فلم أجد أجمع من ديوان أبي تمام وأبي الطيب للمعاني الدقيقة ، ولا أكثر استخراجاً منهمـا للطيـف الأغراض والمقاصد ، و لم أجد أحسن تهذيباً للألفاظ من أبي عبادة ، ولا أنقـش ديباجـة ، ولا أبهـج سـبكاً فاخترت حينئذٍ دواوينهم ، لاشتمالها على محاسن الطرفـين مـن المعـاني والألفـاظ ، و لم حفظتهـا ألغيـت مـا سواها مع ما بقي على خاطري من غيرها." [2]

ولكن الناظر إلى ميراثنا الأدبي يجده قد حفل بكثير من الشعراء مما يلقي على كواهلنـا واجبـاً مهمـاً نحـو عمل هائل جاد يقوم بتحليل نصوص أدبنا العربي وحصر المعاني الشعرية ، والصور التي برزت فيها وطريقة كل شاعر أو كاتب في تصوير إحساساته ومعاناته وتجاربه.

وإذا قدر الله لنا أن نقوم بهـذا العمـل سنحقق – بمشـيئة الله – الاتصـال الوثيـق بـين الأديـب والمتلقـي ويزدهي الأدب ويتحقق الغـرض المقصـود منـه وسـيجد النـاقد مـا يعينـه علـى الحكـم العـادل الـذي يتسـم بالموضوعية والدقة والأناة ، وإلى أن يتحقق هذا الهدف المنشود سنجد أنفسنا مضطرين إلى عرض ما وصلنـا من جهود أسلافنا في موضوع السرقات.

---

[1] الوساطة ص٤١٠-٤١١ .

[2] المثل السائر ص ٢٢٥-٢٢٩ القسم الثالث .

للعرب خلال مشهورة كثير تمدحت بها ومدحت بها غيرها منها فى الخلق : الجمال والبسطة

ومنها فى الخُلُق : السخا ، والشجاعة ، والحلم والحزم والعزم ، والوفاء ، والعفاف ، والعقـل ، والأمانـة ، والقناعة ، والغيرة ، والصدق ، والصبر ، والورع ، والشكر ، والمداراة والعفـو ، والعـدل ، والاحسـان ، وصلة الرحم ، وكتم السر، والمواناة ، وأصالة الرأى ، والأنفة ، والدهاء ، وعلو الهمة ،والتواضـع ، والبيـان ، والبشر ، والجَلَد ، والتجارب ، والنقض ، والإبرام ، وما يتفرغ من هذه الخلال التـى ذكرناهـا مـن قِرَى الأضياف ، وإعطاء العفاة ، وحمل المغارم ،وقمع الأعداء ، وظظم الغيظ ، وفهم الأمـور ، ورعايـة العهـد ، والفكرة فى العواقـب ،والجـد ، والتشـمير ، وقمـع الشـهوات ، والإيثـار علـى النفـس ، وحفـظ الودائـع ، والمجازاة ، ووضع الأشياء مواضعها ، والذب عن الحريم ، واحتلاب المحبة ، والتنزه عـن الكـذب ، واطّـراح الحرص ، وادخار المحاق والأجر [1] ، والاحتراز من العدو ، وسيادة العشيرة ، واجتناب الحسد ، والنكايـة فى الأعداء ، وبلوغ الغايات ، والاستكثار من الصدق ، والقيام بالحجة ، وكبت الحساد ، والاسـراف فـى الخير ، واستدامة النعمة ، وإصلاح كل فاسـد ، واعتقـاد المنـن ، واسـتعباد الأحـرار بهـا ، وإينـاس النـافر ، والإقدام على بصيرة ، وحفظ الجار.

ولهما أيضاً ضد هذه الخلال ، ذُمَّت بها ، وذَمَّـت بهـا سـواها ، وهـى : البخـل ، والجـبن ، والطيـش ، والجهل ، والغدر ، والاغترار ، والفشل ، والفجور ، والعقوق ، والخيانة ، والحرص ، والمهانة ، والكذب ، والهلع ، وسوء الخلق ، ولؤم الطبع ، والجود ، والإساءة ، وقطيعة الرحم ، والنميمة ،والخلاف ، والدنائـة ، والغفلة ، والحسد ، والبغى ، والكبر ، والعبوس ، والإضاعة ، والقبح ، والدمامة ، والقماءة ، والاسـتحلال ، والخور ، والعجز ، والعى.

ولتلك الخصال المحمودة حالات تؤكدها ، وتضاعف حسنها ، وتزيد فى جلالة المتمسك بها ، كمـا أن لأضدادها أيضاً حالات تزيد فى الحط ممـن وسـم بشيئ منهمـا ونسـب إلى اتشـعار مذمومهـا ، والتمسـك بفاضخها ، كالجود فى حال العسر موقعه فوق موقعه فى حال الجدة ، وفـى حـال الصحـو أحمـد منـه فـى حال السكر ، كما أن البخل من الواجد القادر أشنع منه من المضطر العاجز ، والعفو فى حال المقدرة أحـل منه فى حال الإحراج ، ووقوع الضرورة والعفة فى حال اعتراض الشـهوات والنمكـن مـن الهـوى ، أفضـل

[1] ويعتبرون النقصان والجزاء على الخدمات من الذل والصغار .

منها فى حال فقدان اللذات ، واليأس من نيلها ، والقناعة فى حال تبرج الدنيا ومطامعها أحسن منه فى حال اليأس وانقطاع الرجاء منها.

وعلى هذا التمثيل جميع الخصال التى ذكرناها . فاستعملت العرب هذه الخلال وأضدادها ، ووصفت بها حالى المدح والهجاء مع وصف ما يستعد به لها ويتهيأ لاستعماله فيها ، وشعبت منها فنوناً من القول ودروباً من الأمثال ، وصنوفاً من التشبيهات " [1]

وإذا كان الأمر كذلك فمن البدهى أن يتوارد الشعراء على غرض واحد ومعنى واحد لذلك كان

التمييز بينهم وتفصيل أحدهم على الآخر يحتاج إلى وضع القواعد ورسم الحدود التى يسير عليها النقاد فى نقدهم والشعراء فى نتاجهم.

ومن ثم قال البلاغيون : [2]

إذا اتفق الشاعران فإما أن يكون اتفاقهما فى الغرض على العموم أى فيما يشترك الناس فيه كالوصف بالشجاعة والسخاء والبلادة والذكاء وحسن الوجه وبهائه ونحو ذلك كاعتدال القامة وسعة العين ، فلا يعد الاتفاق على هذا الوجه سرقة ، إذا نظر فيه باعتبار شخصين تقدم أحدهما ، وتأخر الآخر ، وكما لا يعد ذلك الاتفاق سرقة ، لايعد استعانة بأن يعتقد أن الثانى منها استعان بالأول فى التوسل إليه.

ولا أخذاً بأن يدعى أن أحدهما أخذه من الآخر ، ولا نحو ذلك مما يؤدى هذا المعنى كالانتهاب والإغارة والغصب والمسخ ، وما أشبه ذلك مما يأتي من الألقاب ، بشرط أن يكون مدلولاً عليه من الجهة المعهودة للاتحاد وهى الدلالة بالحقيقة . وإنما لم يعد الاتفاق فى الغرض على العموم من السرقة وما يرجع إليها لأجل تقرر ذلك الغرض العام فى النعقول والعادات ، فلم يخص ابتداعه بعقل مخصوص حتى يكون غيره آخذا له منه ، ولابعاده وزمان حتى يكون أرباب ذلك الزمان مأخوذاً منهم.

ولما استوت فيه العقول والعادات اشترك فيه الفصيح والأعجم واستوى فيه الشاعر والذى لا قدرة له على الشعر ، فلا يكون فيه احدا الشعراء أغلب لتساويهم فيه ، ولا أقم ينقل عنه لعدم اختصاصه به دون من قبله وبعده ، بشرط أن يكون الغرض الإدراك. أما إذا كان الغرض خاصاً والمراد به المعنى الدقيق الذى لا يستخرجه إلا الأذكياء وإن كانت الدلالة عليه بالحقيقة لا بالمجاز كما محو " حسن التعليل"

---

[1] عيار الشعر ص١٢-١٣ .

[2] راجع فى ذلك شروح التلخيص حـ٤ ص٤٧٦-٥٢٨ وأسرار البلاغة ص٢١٣ وما بعدها .

فإن قول الشاعر-:

مـا بـه قتـل أعاديـه ولكـن　　　　يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب

معنى لطيف مدلول عليه بالحقيقة ومن المعلـوم أن الأعـراض أى المعـانى الدقيقـة ممـا يتفـاوت النـاس فـى إدراكهما ، فيمكن أن يدعى فيها السبق أى الغلبة أو التقدم والزيادة وعدم ذلك.

وإن كان اتفاق الشاعرين ليس فى نفس الغرض بل فى وجه الدلالة على ذلك الغرض ، بأن يكون أحـد الشاعرين دل على الغرض بالحقيقة كالتشبيه بالنسبة لاثبات الغرض الذى هو ثبـوت وجـه الشبه أو فائدتـه والشاعر الآخـر كذلـك أو دل عليـه أحدهمـا بـالتجور أو الكتابـة والآخـر كذلـك .. كمـا لـو قـال أحـد الشاعرين : زيد كالبدر فى الإضاءة أو كالأسد فى الشجاعة أو كالبحر فـى الجـواد ، أو كثـير الرمـاد ، أو قال رأيت أسدا فى الحمام يعنى " زيدا "وقال الشاعر الآخر : فى " عدل " مثل ذلك.

فإن كان مما يشترك الناس فى معرفته لاستقراره فى العقول والعادات لشيوعه قديمـا وحديثـا حتـى صـار شيئا تداولته الخاصة والعامة ، فذلك الوجه المتفة عليه العام الإدراك كالاتفاق فى نفس الغرض العام فى أنه لا يعد سرقة ولا أخذاً ولا نحو ذلك لتساوى الناس فيه كالأول . وإن كان مما لا ينال إلا بفكر ، ولا يصـل إليه كل أحد فهذا هو الذى يجوز أن يدعى فيه سبق المتقـدم المتـأخر ، وزيـادة المتـأخر علـى المتقـدم ، وهـو ضربان:

١- ما كان خاصيا غريبا فى نفسه لا يدركه إلا الأذكياء كتشـبيه الشـمس بـالمرآه فـى كـف الأشـل ، وكالتجوز باطلاق الاحتباء على ضم العنان الذى فى فم الفرس لقربوسه كما فى قول الشاعر-:

وإذا احتبـى قـربوسه بعنانـه　　　　علق الشكيم إلى انصراف الزائر

فنحو ذلك غريب لا يدرك إلا بالفكر.

٢- ما كان عاميا يدركه كل أحد ، لكن تصرف فيه بما أخرجه من الابتـذال إلى الغرابـة كمـا مـر فـى تشبيه الوجه البهى بالشمس فى قوله.

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا　　　　إلا بـوجه ليـس فيـه حيـاء

فإن تشبيه الوجه البهى بالشمس مبتذل عامى لكن أضاف الشاعر إلى ذلك كون عدم الحياء من الشمس هو الذى أوجب لها ادعاء المقابلة لهذا الوجه ، فخرج بذلك عن الابتذال.

وكما فى التجوز فى إطلاق السيلان على سير الابل فى قول الشاعر

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا   وسالت بأعناث المطلى الا باطح

فإنه مبتذل ، ولكنه تصرف فيه باسناده إلى الأباطح ، وإدخال الأعناق فيه فخرج بذلك عن الابتذال .

فإذا عرف ما تقدم فالأخذ والسرقة نوعان : ظاهرة وغير ظاهرة

أقســام الســرقة الظاهــرة

السرقة الظاهرة خمسة أقسام :

١- النسخ والانتحال :-

النسخ : هو أن الشاعر الثانى نقل كلام غيره ونسبة لنفسه ، من قولهم:

نسخت الكتاب : أى نقلت ما فيه إلى كتاب آخر.

والانتحال فى اللغة : ادعاء شئ لنفسك أى : أن تدعى أن ما لغيرك لك يقال : انتحل فلان شعر غيره إذا ادعاه لنفسه.

ويقول النقاد : إذا أخذ الشاعر الثانى المعنى مع اللفظ كله من غير تغيير لنظمـه فهـو مذمـوم لأنـه سـرقة محضه ، ويسمى هذا الأخذ نسخا وانتحالاً . وذلك كالأخذ الذى حكى عن عبد الله بن الزبير حينما قـدم على معاوية بن أبى سفيان يستعطيه ، فلما حرمه من العطاء قال : لعن الله ناقة حملتنى إليك فقال له معاوية : إن وراكبها فقد قال عبد الله:

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدتـــه   على طـرف الهجران إن كان يعقل

ويركب حد السيف من ان تضميه   إذا لم يكن عن شفرة السيف مزجل [1]

---

[1] والمعنى : إذا أنت لم تعدل مع صاحبك وتوفيه حقه وجدته هاجراً لك ورافضا صحبتك إن كان له عقل يطلب به معالى الأمور ، لأنه لا خير فى صحبة من لايرى لك ما ترى له ، فكيف بصحبة من يظلمك ولا ينصفك ، وأما من لا عقل له فيرضى بأدنى الأمور بدلاً عن ألها، فلا يقام له وزن فى المعاملات ولا يلتفت إليه فى التخصص بالمكرمات ، ويركب الأمور الشاقة التى تؤثر فيه تأثير السيف مخافة أن يلحقه الضيم والعار متى لم يجد عن ركوبها بعدا .

والنصفة : اسم مصدر للانصاف الذى هو العدل والمراد بحد السيف ما يتحمله من الشدائد على سبيل الأستعارة ، مزحل : بعداً وانفصالاً وزوالاً .

فقال معاوية رضى الله عنه لقد صرت شاعراً بعد ملاقاتى الأولى يا أبا بكر ، ثم إن عبد الله بن الزبير المذكور لم يفارق المجلس حتى دخل معن بن أوس المزنى على معاوية فأنشد بين يديه قصيدته التى أولها:

لعمرك ما أدرى وإنى لأوجل على أينا تعد والمنية أول

أى لا أدرى الذى تعدو عليه المنية منا قبل الآخر ، وإنى لأخاف ما يقع من ذلك . ثم استمر على إنشاد القصيدة حتى انتهى وفيها هذان البيتان ، فاقبل معاوية على عبد الله بن الزبير ، وقال له : ألم تخبرنى أن البيتين لك ، فقال : اللفظ له ، والمعنى لى وبعد هذا فهو أخى من الرضاعة ، وأنا أحق بشعره.

فلا شك أن ابن الزبير المذكور أتى بقول معن كما هو من غير تبديل للفظ ولا تغيير للنظم فهو سرقة محضة

وقد روى لأوس وزهير فى قصيدتهما هذا البيت.- :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا أصبت حليما أو أصابك جاهل

وقد روى للأبيرد اليربوعى:

فتى يشترط حسن الثناء بماله ويعلم أن الدائرات تدور

وقد روى لبعض المتقدمين يمدح معبدا.

أجاد طويس والسريجى بعده وما قصبات السبق إلا لمعبد

ولأبى تمام:-

محاسن أصناف المغنيين جمة وما قصبات السبق إلا لمعبد

وحكى صاحب الأغانى فى أصوات معبد:

لهفى على فتية ذل الزمان لهم فما يصيبهم إلا بما شاءوا

وفى شعر أبى نواس.- :

دارت على فتية ذل الزمان لهم فما تصيبهم إلا بما شاءوا

فكل ذلك أتى من غير تبديل للفظ ولا تغيير للنظم فهو سرقة محضة وفى معنى ما لم يغير فيه اللفظ والنظم ، ولكن يبدل بالكلمات الإفراية كلها أو بعضها ما يرادفها بأن يأتى بدل كل كلمة بما يرادفها أو

يأتى مكان البعض دون البعض بما يرادفه.

لأن المرداف يتنزل منزلة رديفه فلازم احدهما من القبح لازم للآخر لسهولة ذلك التبديل فهو يعد أيضا مذموما وسرقة محضة.

ومثال تبديل جميع الالفاظ بالمرادف مع بقاء المعنى والنظم أن يقال فى قول الحطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبغيتهل واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

ذر المآثر لا تـذهب لمطلبها واقـعد فإنـك أنـت الاكـل الابس

فقد بدل كل لفظ من التركيب بمرادفه.

والمعنى : لست أهلا للمكارم والمعالى فدعها لغيرك واقنع بالمعيشة وه مطلق الأكل والتستر باللبـاس تنالـه طلب يشق كطلب المعالى فواضح أنه يدل كل لفظ من البيت الأول بمرادفه " فـذر " مـرادف " لـدع "و " المآثر " مرادف " للمكارم " و " لا تذهـب " مـرادف لقولـه " لا ترحـل : وقولـه : " لمطلبهـا" مـرادف " لبغيتها " و " احلس " مرادف " لاقعد " و " الآكل " مرادف " للطاعم " و " الابس" مرادف " للكاس"

وأما قوله : " فإنك أنت " فمذكور فى البيت باللفظ . وإنما كان هذا البيت من إبدال الكل لأن فإنك أنت " من الأمورر العامة فالمراد ما عداه . ومثال تبديل البعض قول امرئ القيس- :

وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجملى

وقول طرفة فى قصيدته الدالية- :

وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد

فبيت طرفة هو بيت امرئ اليس و لم يزد فيه على تبديل " تجمل " بيجلد.

ووقوفا من اوقف الذى هو الحبس بدليل تعدية إلى المطن ، لا من الوقوف اللازم.

والمعنى : نبك حال كون أصحـابى واقفـين أى : حابسـين مطيهـم علـى يقولـون : لا تهلـك بـالحزن ، وتجمل أى ادفع ذلك الأسى بالتحمل والصبر.

ويجرى مجرى تبديل البعض أو الكل فى القبح بالمرادف تبديله بالضد لقرب تناوله كم لـو قيـل فـى قـول حسان:

بيض لبوجوه كريمة أحسابهم شـم الانـوف من الطراز الأول

سـود الوجـوه لئيمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر

٢- الاغارة والمسخ :

وإذا أخذ الشاعر الثانى كل اللفظ مع تغيير النظم والتأليف والترتيب والواقع بين المفردات ، واخذ بعض اللفظ سواء غير التأليف والنظم والترتيب الواقع بين لمفردات أولا ، سمى إغارة أ ى : لأنـه أغـادر على ما هو للغير فغيره عن وجهه وسمى مسخاً أيضاً لأنه بـدل سورة مـا للغير بصـورة أخرى ، والغـالب كونها أقبح والمسخ فى الأصل : تبديل صورة ما بما هو أقبح منها.

وهو أنواع:

١- أن يكون الكلام الثانى أبلغ من الكلام الأول المأخوذ منه لاختصـاص الثـانى عـن الأول بفضيلة لم توخد فى الأول كحسن السبك الذى هو البعد عن أحد التعقيديـن اللفظى والمعنـوى وكالاختصـار حيـث يناسب المقام ، وكالايضاح لمعنى هو مظنة الغموض ،أو زيادة معنى يناسب المقام لم يوجد فى الأول. فإذا اختص الثانى بمثل بعض هذه الفضائل ، فذلك الثانى ممـدوح مقبـول لأن تلـك الزيـادة أخرجتـه إلى طـرف الابتداع.

وذلك كقول بشار:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

والمعنى : أن من حاف من الناس ، وترقب عقابهم أو من راعاهم ، ومشى على مزاجهم فيما يكرهون فيتركه ، وفيما يبتغون فيقبل عليه لم يظفر بحاجته أنه ربما كرهها الناس فيتركها لأجلهم فتفوت مع شدة شوقه إليها ،ومن لم يراقبهم و لم يبال بهم فاز بالطيبات الحسية كالظفر بالمعشوق والمعنوية كشـفاء غيظ النفوس بالأخذ بالثأر مثلاً ، وهذا الذى لا يراقب الناس هو الفـاتك أى الشـجاع الـذى عنـده جـراءة على الإقدام على الأمور قتلاً أو غيره من غير مبالاة بأحد ، واللهج الحريص على القتل.

وقول سلم الخاسر ولقب بالخاسر لخسرانه فى تجارته لأنه ورث مصحفا أبيه واشترى بـه عـوداً يضـرب به- :

من راقب الناس مات غما وفـاز باللـذة الجسـور

والمعنى : أن من خاف من االناس ، وترقب عقابهم لم يصل لمراده فبقى مغموما من فـوات المراد ويشتد عليه الغم كشدة الموت ، فقد دل على فوات الحاجة بموت الغم الذى هو أخص منه و " فاز باللذة الجسور. " والجسور هو الشديد الجراءة فهو بمعنى الفاتك اللهج ، وهو أصرح فى المعنى وأخص.

فالمعنى فى البيتين واحد : وهو أن من لم يراقب الناس يفوز بالمرغوب ومن راعاهم فاته المطلوب ، ولكن بيت سلم أجود سبكا لدلالته على المعنى بلا حاجة للتأمل بما هو أخص وأفصح وأحضر لفظا.

والشاهد فى بيت سلم أخذ بعض اللفظ " من راقب الناي " من غير تغيير.

ويرى بعض النقاد : أن بيت " سلم " إنما كان أجود سبكا لأنه رتب فيـه الموت على مراقبـة النـاس ، وأما بيت بشار : فقد رتب فيه على مراقبة الناس عدم الظفر بالحاجة والأول أبلغ.

وفى الأطول : وإنما كان بيت سلم أجود سبكا لكونه فى غاية البعد عن موجبات التعقيـد مـن التقديـم والتأخير ونحو ذلك وفى الطول[1] : يروى عن أبى معاذ راوية بشار أنه قال : أنشدت بشـارا قـول سـلم ، فقال : ذهب وا لله بيتى فهو أخف منه وأعذب وا لله لا أكلت اليوم ولا شربت. ويرى ابن يعقوب المغربـى : أن لفظ " الفاتك اللهج " أحسن من لفظ " الجسور " ولفـظ " الطيبـات " أحسـن مـن لفـظ " اللـذة " ، والاحتضار قد يدعى عدم مناسـبته لأن الغـرض التوصيـة بـترك مراقبـة ، وذلـك يناسـبه البسـط الـدال عـى الاهتمام والتأكيد.

٢ـ وإن كان كلام الشاعر الثانى دون كلام الشاعر الأول بفوات فضيلـة وجـدت فـى الأول . فـالكلام الثانى مذموم مردود ، لأنه لم يصاحبه شئ يشبه به أن يكون مبتدع الحسن بل هـو نفـس الأول مـع رذيلـة إسقاط ما فى الأول من الحسن.

وذلك كقول أبى تمام الذى هو الأصل

هيهات لا يأتى الزمان بمثله　　　　إن الزمـان بمثلـه لبخيـل.

والمعنى : بعد ما تبين من إتيان الزمان بمثل هذا المرثى الممدوح " إن الزمان بمثله لبخيل " هو

كجواب سؤال مقدر ، كأنه قيل : لماذا لا يأتى الزمان ؟ هل لأنه بخيل بمثله ؟ أولا ستحالة مثله؟ فقـال : إن الزمان بمثله لبخيل ، فالتأكيد هنا " بإن " لأن المقام مقام أن يتردد ويسأل.

مع قول أبى الطيب الذى هو المأخوذ:

---

[1] الأطول والمطول : كتابان فى البلاغة ، الأول : للعصام ، والثانى : لسعد الدين التفتزانى .

أعدى الزمان سخاؤه فسخا به ولقـد يكـون به الزمـان بخيـلا

فقول أبى الطيب " ولقد يكون الزمان بخيلا " مأخوذ من قل أبى تمـام " إن الزمـان بمثلـه لبخيـل " فـإن مصراع أبى تمام أحسن سبكا من مصراع أبى الطيب ، لأنه عبر بصيغة المضارعـة ، والمناسبة صيغـة المضـى كما دلت عليه الجملة الاسمية فى قول أبى تمام _لأن أصلها الدلالة على الوقـوع مـع زيـادة إفادتهـا الـدوام والثبوت ، أما الجملة الثانية فى قـول أبـى الطيـب : " ولقـد يكـون ... " تفيـد التقليـل بظـاهر " قـد " مـع المضارع ، وأيضا المراد أن الزمان كان بخيلا به حتى أعداه بسخائه فلا تتناسب المضارعة إذ لا معنى لكونـه جاد به الزمان وهو يبخل به فى المستقبل لأنه بعد الجود به خرج عن تصرفه.

وحملته على معنى : " ولقد يكون الزمام بخيلا فى المستقبل بإهلاكـه " لعلمـه بأنـه سـبب إصـلاح العلـم تكلف لا دليل عليه . وعو ذلك فمصراع أبى تمام أحسن منه لاستغنائه عن هذا التكلف.

ومعنى بيت أبى الطيب : أن الزمان تعلم منه السخاء فجـاد بـأن أخرجـه مـن العـدم إلى الوجـود ولـولا سخاؤه الذى أفاد منه ، لبخل به الزمان على أهل الدنيا واستبقاه لنفسه.

٣- وإن كان كلام الشاعر الثانى مثل كلام الشاعر الأول فى البلاغة فالثانى أبعـد مـن المذمـة والفضـل لصاحب الأول لأنه السابق:

وذلك كقول أبى تمام- :

لو حار مرتاد المنية لم يجد إلا الفراق على النفوس دليلا

فإنه مثل قول ابى الطيب بعده:

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنايا إلى أرواحنا سبلا

وحاصل معنى البيتيت : أنه لا دليل للمنية على النفوس إلا الفراق وواضح أن أبا الطيب أخذ المعنى كلـه مع بعض اللفـظ ، لأنـه أخـذ لفـظ " المنيـة والفـراق والوجـدان " وبـدل " لنفـوس بـالأرواح " وأن البيتـين متساويان فى البلاغة فلذا كان الثانى غير مذموم.

وتأمل قول بشار وهو السابق- :

وإنى امرؤا أحببتكم لمكارم سمعت بها والأذان كالعين تعشق

فمحصل معنى البيتين هو أن الاذان تعشق مثل العين ، فالبيتان متساويان فى البلاغة ولذا كان الشاعر الثانى بعيدا عن المذمة.

ويقول أحمد بن محمد المعروف بالقاضى الأرجانى-:

لم يبكنى إلا حديث فراقكم لما أسربه إلى مودعى

هو ذلك الدار الذى أودعتم فى مسمغى ألقيته من مدمعى

والمراد بمودعه من حدثوه بفراقهم على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة والدر اللؤلؤ استعارة لحديثهم ، ثم استعارة لدمعه.

مع قول العلامة محمود بن عمر الزمخشرى المعروف بجار الله.

وقائله : ما هذه الدرر التى تَسَاقَطُها عيناك سِمطين سِمطين

فقلت : هوالدُرُّ الذى قد حشا به أبو مضر أذنى تساقط منو عينى

والسمط : هو الخيط ما دام الخرز أو اللؤلؤ منتظما فيه ، وأبو مضر هو محمود بن حرير الضبى أستاذ الزمخشرى. ومحصل معنى البيتين : ان دموعه التى تشبه الدر تساقطت من عينه بسبب التحدث إلى الأحباب إلى الاحباب.

٤- وإن كان كلام الشاعر الثانى مثل كلام الشاعر الأول مع الأتفاق فى الوزن والقافية ـ فهو قبيح جداً ويدل على السرقة أنظر قول أبى تمام-:

مقيم الظن عندك والأمانى وإن قَلِقَت رِكابى فى البلاد

ولا سافرت فى الأفاق إلا ومن جدواك راحلتى وزادى

وقول أبى الطيب بعده-:

وإنى عنك بعد غدا لغادى وقلبى عن فنائك غير غادى

محبك حيثما اتَّجَهَت ركابى وضيفك حيث كنت من البلاد

****

٣- الالمام أو السلخ

وإن أخذ الشاعر الثانى من الشاعر الأول ـ المعنى وحده دون شئ من اللفظ سمى هذا الأخذ " إلماماً " وهو فى الأصل مصدر ألم بالمنزل إذا نزل به فالالمام فى أصل اللغة معناه النزول ، ثم أريد منه سببه ، وهو القصد كما هنا ، لأن الشاعر قد قصد أخذ المعنى منن لفظ غيره. ويسمى أيضاً سلخا " والسلخ في اللغة قشط الجلد " فكأن الشاعر الثانى الذى أخذ معنى شعر الأول كشط من ذلك المعنى جلدا وألبس ذلك المعنى جلدا آخر. وهذا الكلام الذى أخذ الشاعر الثانى معناه من الشاعر الأول ثلاثة أقسام.

١- أن يكون الشاعر الثانى أبلغ من كلام الشاعر الاول وذلك مثل قول أبى تمام وهو الأول-:

هو الصنع أن يعجل فخير وإن يرث   فللريث فى بعض المواضع أنفع [١]

وقول أبى الطيب وهو الثانى-:

ومن الخير بطء سيبك عنى   أسرع السحب فى السير الجهامُ [٢]

فقد أشترك البيتان فى أن تأخر العطاء يكون خير وأنفع ، ولكن بيت المتنبئ فيه أجود ، لأنه زاد ، حسنا لضرب المثل له بالسحاب فكأنه دعوى بالدليل ، إذ كانه يقول العطاء كالسحاب فبطء السحاب فى السير أكثر نفعا ، وسريعها وهو الجهام أى السريع سيرا أقل نفعا ، فكذلك العطاء بطيئة أكثر نفعا ، فكأن تأخر عطائك أفضل من سرعته .

ويقول أبو يعقوب الخزيمى أوغيره-:

ولست بنظّار إلى جانب الغنى   إذا كانت العلياء فى جانب الفقر

وقول أبى تمام بعده-:

يصد عن الدنيا إذا عن سودد   ولو برزت فى زى عذراء ناهد

---

[١] هو : الشأن ، والصنع بمعنى الاحسان مبتدأ خبره جملة الشرط (إن يعجل فخير) وجملة المبتدأ والخبر خبر المبتدأ الأول الذى هو ضمير الشأن ويجوز أن يكون " هو " عائداً إلى حاضر فى الذهن - والصنع خبر ، والشرط استئناف . ويرث : يبطئ .

[٢] السيب : العطاء - الجهام : السحاب الذى لا ماء فيه ، أو الذى هو هلاق ماءه .

فبيت أبى تمام أحصر وأبلغ ، لأن الشطر الأول من بيت أبى تمام يفيد ما أفاده البيت الأول بشطريه فيكون بيت أبى تمام أحصر ، وابلغ لقوله : - " عن الدنيا " بدل قول الأول " ولست بنظار إلى جانب الغنى " ، لأن الصد عن الدنيا أبلغ من عدم النظر إليها.

٢- أن يكون الشاعر الأول أبلغ من كلام الشاعر الثانى وذلك مثل قول بعض الاعراب-:

وريحها أطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنبر

مع قول بشار بعده-:

وإذا أدنيت منها بصلا غلب المسك على ريح البصل

وإنما كان هذا دون ما قبله لأنه جعل الفضل فى الغلب على ريح البصل للمسك لا لرائحتها ، بالاضافة إلى ذكر لفظ " البصل " فى هذا المجال مما يؤدى إلى الاستهجان.

ويقول البحترى - وهو الأول-:

وإذا تالق فى الندى كلامه الـ مصقول خلت لسانه من عضبه [(١)]

مع قول أبى الطيب وهو الثانى-:

كأن ألسنتهم فى النطق قد جعلت على رماحهم فى الطعن خرصانا [(٢)]

كل من البيتين تضمن تشبيه اللسان بآلة الحرب فى النفاذ والمضى ، وان كانت الالـة المعتبرة فى الأول السيف والألة المعتبرة فى الثانى الرمح ، ولكن بيت البحترى أجود لأنه نسب التالق والصقالة للكلام وهما من لوازم السيف فازداد بهذا حسنا بخلاف كلام المتنبى ، مع أن فى بيت المتنبئ قبحا من جهة أخرى وهو أن المتبادر من كلامه أن ألسنتهم قطعت وجعلت فرصانا وفيه من القبح ما لا يخفى. وفى بيت البخترى الدلالة على التشبيه بفعل الظن وهو أقوى من الدلالة بكأن التى وردت فى بيت المتنبى. وتقول الخنساء وهى الأولى-:

---

(١) تألق : بمعنى " لمع " . والندى : مجلس أثراف القوم ، والعضد : السيف القاطع .

(٢) الخرصان : جمع خرص وهو سنان الرمح أو الرمح نفسه ، والمراد هنا الأول ، يعنى أن السنتهم عند النضق فى المضاء تشبه أسنة رماحهم عند الطعن ، وضمير " ألسنتهم " يعود إلى بنى الحسن : قوم ممدوحه سعيد بن عبد الله فى قوله قبل البيت :

حزى بنى الحسن الحسنى فإنهم فى قومهم مثلهم فى الغر عدنانا

وما بلغ المهدون للناس مدحه　　　　وإن أطنبو إلا وما فيك أفضلوا

وقول أشجع وهو الثاني- :

وما ترك المداح فيك مقالة　　　　ولا قال إلا دون ما فيك قائل

فإن بيت الخنساء أحسن من بيت أشجع لما في شطره الثاني من التعقيد إذ تقديره : " ولا قال قائل إلا دون ما فيك ."

٣- أن بيكون الشاعر الثاني مثل كلام الشاعر الأول المأخوذ منه المعنى وحده في البلاغة.

وذلك مثل قول أبي زياد يزيد بن الحر الأعرابي في مدح العباس بن محمد وقيل : إنه لموسى شهوات في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب:

ولم يك أكثر الفتيان مالا　　　　ولكن كان أرحبهم ذراعاً

والمعنى:و لم يكن الممدوح أكثر الأقران مالاً ولكن أكثرهم سخاء وكرما مع قول أشجع وهو الكلام الثاني:

وليس بأوسعهم في الغنى　　　　ولكــن معروفــه أوســع

والمعنى : وليس الممدوح الذي هو جعفر بن يحيي بأوسع الملوك في المال ولكن إحسانه أوسع من معروفهم. فقد أتفق البيتان على أن الممدوح لم يزد على الأقران في المال ، ولكن فاقهم في الكرم ، وهما متماثلان إذ لم يختص أحدهما بفضيلة عن الآخر فكان الثاني أبعد من الذم كما تقدم في ثالث أقسام الأول.

أقسام السرقة غير الظاهرة

السرقة غير الظاهرة أقسام-:

١- التشابه : -

وهو أن يتشابه معنى البيت الأول المأخوذ منه ومعنى البيت الثاني المأخوذ.

وذلك كقول جرير-:

فلا يمنعك من أرب لحاهم　　　　سواء ذو العمامة والخمار

والمعنى : أن رجالهم ونساءهم متساوون فى الضعف فلا مقاومة للرجال منهم على الدفع عن النساء منهم ، هذا هو البيت الأول.

مع قول أبى الطيب:-

ومن فى كفه منهم قناة كمن فى كفه منهم خضاب

والمعنى : أن من فى كفه منهم رمح كمن فى كفه منهم صبغ الحناء أى أن رجالهم كنسائهم.

فقد اشتبه البيتان فى المعنى من جهة إفادة كل منهما أن الرجال لهم الضعف مثل النساء ، إلا أن الأول أفاد التساوى ، والثانى أتى بأداة التشبيه والأول عبر عن النساء بذوات الخمار ، وعن الرجال بذوى العمامة ، والثانى عبر عن النساء بذوات الخضاب، وعن الرجال بذوات القناة فى أكفهم ، والأول أيضاً جعل ذلك التساوى علة للأمر بتناول الحوائج لديهم بخلاف الثانى.

والأول أبلغ لأن التساوى أبلغ من التشبيه إذ هو إلحاق الناقص بالزائد وتأمل قول الطرماح بن حكيم الطائى:-

لقد زادنى حبا لنفسى أننى بغيض إلى كل امرئ غير طائل

والمعنى : أن بغض ما ليس بطائل أى : لا فائدة فيه ، يزيدنى حباً فى نفسى ، لانى أعلم بذلك أنه ما أبغضنى إلا لكونه لم يناسب ما فيه من المعانى والأخلاق ما غى مع قول أبى الطيب:-

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

والمعنى : أنه إذا ذمنى ناقص ذميم فى نفسه كان ذمه شهادة بكمالى ، ومعلوم أن البغض يستلزم عادة ذم المبغوض وحب الإنسان نفسه يستلزم إدراك كمالها الذى يعمهما ، وإن اختلف مفهومهما ، وذلك الذى يعمهما هو أن مباعدة الأرذال وإذايتهم للإنسان تفيد رفعته.

قال السعد : ويجوز فى تشابه المعنيين أن يكون أحد البيتين نسيباً والآخر مديحاً أوهجاءً او افتخاراً أو غير ذلك ، فإن الشاعر الحاذق إذا قصد إلى المعنى المختلس لينظمه احتال فى إخفائه ، فغير لفظه وصرفه عن نوعه من النسيب أو المديح أو غير ذلك ، وعن وزنه وعن قافيته . [1]

---

[1] المطول ص ٤٦٨ .

٢ـ النقل :-

أن ينقل الشاعر الثانى المعنى إلى محل آخر بأن يكون المعنى وصفا والمنقول إليه موصوف ، وقد كان فى المنقول وصفا على جهة أخرى وذلك مثل قول البحترى:-

سلبوا وأشرقت الدماء عليهم   محمرة فكأنهم لم يسلبوا

والمعنى : سلبوا ثيابهم وظهرت الدماء عليهم ملابسة لإشراق شعاع الشمس ، وزاد الشاعر " محمرة "لنفى مايتوهم من غلبة الإشراق عليها حتى تصير بلون الإشراق ، أى البياض ، فلما ستروا بالدماء بعد سلبهم صاروا كأنهم لم يسلبوا لأن الدماء المشرقة عليهم صارت ساترة لهم كاللباس المعلوم هذا هو المنقول عنه.

وقد نقله أبو الطيب إلى السيف:-

يبس النجيع عليه وهو مجرد   عن غمرة فكأنما هو مغمد

والمعنى : يبس النجيع أى الدم المائل إلى السواد على السيف ، والحال أن السيف خارج عن الغمد ، فصار السيف لما ستر بالنجيع الذى له شبه بلون الغمد فكأنما هو مجعول فى غمدو ، لستره بالنجيع كما يستره الغمد ، وهذا هو المنقول فيه المعنى

فالكلام الأول فى القتلى : وصفهم بأن الدماء سترتهم كاللباس ، ونقل هذا المعنى إلى موصوف آخر ، وهو السيف ، فوصفه بأنه قد ستره الدم كستر الغمد.

٣ـ الشمول : ـ

هو أن يكون معنى البيت الثانى أشمل وأجمع من معنى البيت الأول.

كقول جرير:-

إذا غضبت عليك بنو تميم   وجدت الناس كلهم غضابا

وترى جريرا أفاد بهذا الكلام أن بنى تميم ينزلون منزلة الناس جميعا فى الغضب ، فغضبهم غضب جميع الناس ويلزم أن رضاهم هو رضا جميع الناس لأن المتابعة فى الغضب تقتضى المتابعة فى الرضا ، وهذا هو المشمول الأول وقول أبى نواس لهارون الرشيد لما سجن الفضل البرمكى غيره منه

حين سمع عنه التناهى فى الكرم مشيراً إلى أن الفضل شيئاً مما فى هارون ، وأن فى هارون جميع ما فى الفضل وما فى العالم من الخصال مبالغة:

قولا لهارون إمام الهدى — عند احتفال المجلس الحاشد
أنت على ما فيك من قدرة — فلست مثل الفضل بالواجد
ليس على الله بمستنكر — أن يجمع العالم فى واحد

روى أن هارون لما سمع الأبيات أطلق " الفضل " من السجن ، وهذا البيت هو الأشمل الثانى ، وهو يفيد أنه أقام الممدوح مقام جميع العالم لجمعه جميع أوصافه ، فهو أشمل مما فى البحترى لاختصاصه باقامة الممدوحين مقام الناس فى الرضا والغضب ، وهو أفاد إقامة واحد مقام جميع الناس فى كل شئ وقول أبى نواس أبلغ بأعتبار أنه صريح فى أن الناس كلهم الواحد بخلاف الأول.

٤- القلب : -

وهو أن يكون معنى البيت الثانى نقيض معنى البيت الأول ، لقلب المعنى نقيضه فهو مأخوذ من نقيضه.

وذلك مثلا قول محمد بن رزين المعروف بأبى الشيص:

أجد الملامة فى هواك لذيذة — حباً لذكرك فليلمنى اللوم

والمعنى : أجد كذلك اللوم فيك لذة لتناهى حبى فيك حتى صرت أتلذذ بمطلق ذكرك على أى وجه كان ، فليلمنى اللوم ، وهذا هو الأول المنقوض.

ويقول أبو الطيب- :

أأحبه وأحب فيه ملامة — إن الملامة فيه من أعدائه

وهذ هو الثانى النقيض للأول. فبيت المتنبى وأبى الشيص متناقضان ، لأن أبا الشيص صرح بحب الملامة والمتنبى نفى حبها بهمزة الإنكار بقوله : " أأحبه وأحب فيه ملامة " لكن لكل منهما

بأعتبار غير الأعتبار الآخر ، فمحبة اللوم فى البيت الأول من حيث اشتمال اللوم على ذكر المحبوب وهذا محبوب له.

ونفى حبها فى البيت الثانى من حيث صدوره من الأعداء والصادر منهم يكون مبغوضاً.

٥ـ الزيادة :

وهو أن يأخذ الشاعر الثانى بعض المعنى ، ويضيف إليه زيادة تحسنه.

وذلك مثل الأفوه الأودى:

وترى الطير على آثارنا	**رأى عين ثقة أن ستمار**

والمعنى : هو تبصير الطير معاينة تابعة لنا حال كونها واثقة بأنها ستطعم من لحوم القتلى : يقال: ماره أتاه بالميرة أى الطعام ، وأطعمه إياه . هذا هو المأخوذ منه.

وقول أبى تمام:

لقد ظلت عقبان أعلامه ضحى	**بعقبان طير فى الدماء نواهل**
أقامت مع الرايات حتى كأنها	**من الجيش إلا أنها لم تقاتل**

والمعنى ظللت عقبان الأعلام بعقبان طير لأنها لزمت فوق الأعلام فألقت ظلها على الاعلام ، ومن وصف عقبان الطير أنها إذا وضعت الحرب أوزارها الرى من دماء القتلى ، فتظليل العقبان للأعلام لرجائها النهل من الدماء ووثوقها بأنها ستطعم من لحوم القتلى ، حتى صارت من شدة اختلاطها برءوس الرماح والأعلام من أفراد الجيش إلا أنها لم تباشر القتال.

فإن الافوه أفاد بقوله : "رأى العين " قربها لأنها إذا بعدت تخليت و لم تر وانما يكون قربها توقعاً للفريسة ، وهذا يؤكد المعنى المقصود ، ثم يقال : "ثقة أن ستمار " فجعلها واثقة بالميرة.

وأما ابو تمام فلم يلم بشئ من ذلك ، ولكن زاد على الأفوه بقوله : " إلا أنها لم تقاتل " ، ثم بقوله" : فى الدماء نواهل " ثم بإقامتها مع الريات كأنها من الجيش " وبذلك يتم حسن قوله : "إلا أنها لم تقاتل"

وهذه الزيادة حسنت قوله ، وإن كان قد ترك بعض ما أتى به الأفوه . [1]

وهذه الأنواع الخمسة أو نحوها مقبولة لما فيهل من نوع تصرف.

الابتداع :

وهو ما أخرجه حسن التصرف الواقع من حذق الآخر ومعرفته كيفية التعيين من قبيل الاتباع إلى حيز الابتداع. فإن حسن الصنعة يصير المصنوع غير أصله ، وكلما كان الكلام المأخوذ من غيره أشد خفاء من مأخوذ آخر ، وذلك بأن يكسو من التصرف وإدخال اللطائف ما أوجب كونه لا يفهم أنه مما أخذ منه ، وأن أصله ذلك المأخوذ منه إلا بعد مزيد التأمل وإمعان النظر كان أقرب إلى القبول مما ليس كذلك.

وذلك أنه يصير بتلك الخصوصيات المزيدة أبعد من الأتباع ، وادخل فى الابتداع فزيادة اللطائف تخرج عن الجنس ألا ترى إلى قول أبى نواس- :

ليس على الله بمستنكر　　　أن يجمع العالم فى واحد

مع أصله فيما تقدم وهو قوله-:

إذا غضبت عليك بنو تميم　　　وجدت الناس كلهم غضابا

فإنه لا يفهم أن الأول من الثانى إلا بإمعان النظر واعتبار اللوازم كما تقدم وذلك أنه أخذ مجرد إقامة الشئ مقام الكثير فكساه بكسوة أرفع من الأولى وجعل ذلك منسوباً لقدرة القاهر الحكيم ، وأنه لا يستنكر منه ، جعل ذلك فى فرد واحد من جميع العالم ، فكان أبعد من إقامة بنى تميم مقام الناس فى الغضب والرضا.

أساس النقد فى السرقة الظاهرة وغير الظاهرة :

يرى النقاد أن ادعاء سبق أحد الشاعرين للآخر ، وادعاء أخذه منه وما يترتب على ذلك من كون الثانى مقبولاً أو مردوداً ، وما يتفرغ على ذلك أيضاً من تسمية كل من الأقسام السابقة بالأسامى المذكورة.

---

[1] الإيضاح مع البغية جـ٤ ص ١٢٨-١٢٩ .

كل ذلك أنما هو إذا علم أن الثانى أخذ عن الأول ، إما بإخباره عن نفسه إذا إخذ أو يعلم أنه كان حافظاً للكلام الأول قبل أن يقول هذا القول الثانى واستمر حفظه إلى وقت نظمه هذا الثانى كأنه يشهد شاهد أنه أنشدالكلام الأول قبل قوله إنشاداً يظن به حفظه ، واستمراره إلى وقت النظم ، لجواز أن يكون الاتفاق من قبيل توارد الخواطر و لم يكن هناك قصد إلى الأخذ والسرقة ، كما روى عن ابن ميادة أنه أنشد لنفسه:

مفيد ومتلاف إذا ما أتيته تهلل واهتز اهتزاز المهند

قيل له : إين يذهب بك ؟ هذا للخطيئة : فقال : الآن علمت أنى شاعر إذ وافقته على قوله و لم أسمعه .ولهذا لا ينبغى لأحد بت الحكم على شاعر بالسرقة ما لم يعلم الحال وإلا فالذى ينبغى أن يقال : قال: فلان كذا ، وقد سبقه إليه فلان فقال : كذا ، فيغتنم فضيلة الصدق ، ويسلم من دعوى العلم بالغيب نسبة النقص من الغير.

****

الاقتباس ، والتضمين ، والعقد ، والحل ، والتلميح

١- الاقتبـــاس

ومما يتصل بالسرقات الشعرية : الاقتباس ، والتضمين ، والعقد ، والحل ، والتلميح.

الاقتباس:-

ذكر الجاحظ فى بيانه :" أن خطباء السلف الطيب وأهل البيان من التـابعين بإحسـان ، مـا زالـوا يسمون الخطبة التى لم تبـدأ بـالتحميد ، وتستفتح بـالتمجيد : " البـتراء" ويسـمون التـى لم توشـح بـالقرآن وتزيـن بـالصلاة علـى النبـى صلـى الله عليـه وسـلم :" الشـوهاء " ، ويقـول :" وكـانوا يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل وفى كلامهم يوم الجمع آى من القرآن ، فإن ذلـك ممـا يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وسلس الموقع " ويحكى عن عمـران بـن حطـان قولـه :" خطبـت عند زياد خطبة ظننت أنى لم أقصر فيها عن غاية ، و لم أدع لطـاعن علـة ، فمـررت ببعـض المجـالس فسمعت شيخاً يقول :" هذا الفتى أخطب العرب لو أن فى خطبته شيئاً من القرآن. " فواضـح مـن هذا النقل أن " الاقتباس " كان له قيمة فنية فى نظر السلف وأنه مما يكسب الكلام جمالاً.

ومن ثم أخذ " الاقتباس " مكانه بين المحسنات البلاغية من لدن الجاحظ إلى يومنا هذا.

والبلاغيون يعرفون الاقتباس بقولهم :" هـو تضمـين النـثر أو الشـعر شـيئاً مـن القـرآن الكريـم أو الحديث النبوى الشريف ، منغير دلالة على أنه منهما ، ويجوز أن يغير فى النثر المقتبس قليلاً."

تأمل قول عبد المؤمن الأصفهانى:

لا تغرنك من الظلمة كثرة الجيـوش والأنصـار ﴿ **إنمـا نؤخرهـم ليـوم تشـخص فيـه الأبصـار** ﴾
وتشخص: يقال شخص بصره إذا فتح عينيه بحيث لا تطرف.

فواضح من هذا القول أن " عبد المؤمن " قد ضمن كلامه آية من القـرآن الكريـم ، وهـى ﴿ **أنمـا نؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار** ﴾ . مـن غـير أن يصـرح أنهـا مـن القـرآن ، وغرضـه مـن هـذا التضمين أن يستعير من قوتها قوة ، وأن يكشف

عن مهاراته فى إحكام الصلة بين كلامه والكلام الذى أخذ منه.

وقال بن سناء الملك:-

رحلوا فبت مسائلاً عن دراهم أنا " باخع نفسى على آثارهم"

فالشاعر قد ضمن كلامه شيئاً قد اقتبسه من القرآن الكريم بعد تغيير قليل فيه ، إذ الآية:

﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم ﴾

وقال أبو جعفر الأندلسى:-

لا تعـاد النـــاس فـــى أوطــانهم قلمـــا يرعـــى غريـــب الوطـــن

وإذا مـــا شـــئت عيشـــاً بينهـــم خـــالق النـــاس بخلـــق حســـن

ضمن أبو جعفر كلامه شيئاً من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :" خـالق النـاس بخلـق حسن."

٢- التضمـــــين

يعرفه البلاغيون بقولهم : هو أن يضمن الشاعر شعره شيئاً من شعر آخر مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء لكثرته وشيوع إنشاده.

وبهذا التنبيه يتميز التضمين عن الأخذ والسرقة ، لأن السارق يبذل جهده فى إظهـار كونـه لـه ، والمضمن يأتى به منسوجاً مع شعره مظهراً أنه لغيره وإنما ضمه إليـه ليظهـر الحـذق والمهـارة وإظهـار كيفية الإدخال للمناسبة.

أمـــثلة التضمـــين

١- مثال تضمين الشطر مع التنبيه عليه أنه من كلام الغير قول القاسم بن على المعروف بالحريرى على لسان الغلام الذى عرضه أبو زيد السروجى للبيع

على أنى سأنشد عند بيعى أضاعونى وأى فتى أضاعوا

فقوله :" سأنشد " نبه به على أن المصراع الثانى لغيره وهو قوله: " أضاعونى وأى فتى أضاعوا"

وتمامه :" ليوم كريهة وسداد ثغر " والكريهة لفظ يعبر عن الحرب لأنها مكروهة عند اشتدادها ، ولا حاجة إلى تقديره لتمام المعنى بدونه.

و الشطر قيل : للعرجى بسكون الراء وهو : عبد الله بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه نسبة إلى العرج موضع بطريق مكة.

وقيل لأمية بن أبى الصلت

٢- مثال تضمين الشطر من البيت بدون تنبيه لاشتهاره كقول أبى العباس أحمد بن إبراهيم المعروف بابن خلكان:

قد قلت لما اطلعت وجناته	**حول الشقيق الغض روضة آسى**
أعذاره السارى العجول ترفقاً	**ما فى وقوفك ساعة من باس**

الشطر الأخير :" ما فى وقوفك ساعة من باس " شطر معلوم لأبى تمام والوجنات : جمع وجنة وهى ما ارتفع من الخدين . والشقيق : ورد أحمر ، والغض : الطرى اللين . والروضة : بقعة هى منبت الأشجار الثمارية . والآس : هو الريحان ، ويقال له : روض أخضر . والهمزة في أعذاره للنداء ، والعذار هو ما يلقى من الشعر على الخد مما يليه من الرأس . والسارى فى الأصل : الماشى بالليل والعجول وصف له.

والمعنى : إنى أقول له حين رأيته وقد اطلعت وجناته حول حمرتها التى هى كالورد شعراً من جهة خده ، كأنه فى التلون والطيب شجر الآس فى روضته - يا عذارى السارى العجوز استمسك بالرفق.

وإنما نادى عذاره لأنه فو المشغوف به ، وكثيراً ما يشبب به ،- فاستغنى بندائه عن نداء صاحبه ، أنه هو الآخذ بذمام قلب المنادى ، ووصفه بأنه السارى ، لأنه مشتمل على سواد كسواد الليل فكأنه سار بالليل وبالعجول لأن فيه تظهر عجلة المسرع.

٣- ومثال تضمين البيت مع التنبيه على أنه لغير المضمن قول عبد القاهر بن طاهر المعروف بأبى منصور البغدادى:

إذا ضاق صدرى وخفت العدا تمثلت بيتاً بحالى يليق

فبالله أبلغ ما أرتجى وبالله أدفع مالا أطيق

٥- ومثال تضمين البيت بدون التنبيه لأجل وجود الشهرة قوله:

كانت بلهنية الشبيبة سكرة فصحوت واستبدلت سيرة مجمل

وقعدت انتظر الفناء كراكب عرف المحل فبات دون المنزل

البيت الثانى مشهور لمسلم بن الوليد ، والبلهنية بضم الباء : سعة العيش ورخاء الحال.

وربما اجتمع الأمران التنبيه والشهرة ، فيكون التنبيه كالتأكيد كقول بن العميد:

كأنه كان مطوياً على إحن ولم يكن فى قديم الدهر أنشدنى

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

والإحن : الضغائن والشحناء.

ثم تضمين أقل من البيت قد يكون مع تمام المعنى بلا تقدير كما تقدم فى :" أضاعمنى وأى فتىً أضاعوا . "

وقد يكون بتقدير ويسمى تضميناً أيضاً كقول الشاعر:

كنا معاً أمس فى بؤس نكابده والعين والقلب منا فى قذى وأذى

والآن اقبلت الدنيا عليك بما تهوى فلا تنسنى إن الكرام إذا

يقصد بيت أبى تمام:

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

ولابد من تقديره ليتم المعنى ، ولكن لا يعدون هذا من تضمين البيت ولو توقف المعنى على تمامه - نظراً إلى أن الموجود بعضه.

هذا .... وأحسن التضمين ما زاد على شعر الشاعر الأول بنكتة ، بأن يشتمل البيت أو الشطر المتضمن

فى شعر الشاعر الثانى على لطيفة لم توجد فى شعر الشاعر الأول.

وتلك النكتة كالتورية وكالتشبيه الموجودين فى قول صاحب التحبير:

إذا الوهم أبدى لى لماها وثغرها	**تذكرت ما بين العذيب وبارق**
ويذكرنى من قدها ومدامعى	**مجر عوالينا ومجرى السوابق**

وصاحب التحبير هو عبد العظيم بن عبد الواحد المصرى المعروف بابن أبى الأصبع وتحرير التحبير: كتاب فى البديع.

والوهم : الخيال ، واللمى : سمرة الشفتين، والثغر : مقدم الأسنان ، والعذيب وبارق : موضعان ، وأراد بالعذيب : الشفة تصغير عذب. وبالبارق : الثغر لأنه يشبه البرق . وأراد بما بين العذيب وبارق : الريق على سبيل التورية ، وفى ذلك لف ونشر مرتب. وفاعل " يذكرنى " يعود إلى " الوهم " فى البيت الأول ، والقد : القامة ، والعوالى : الرماح. والسوابق : الخيل ، ومجرى العوالى : جرها. والتقدير : ويذكر فى من تبختر قدها وجريان مدامعى ، لأن هذا هو تشبيه ضمنى ، وفى هذا لف ونشر مرتب أيضاً.

والشطران الأخيران لأبى الطيب من قوله:

تذكرت ما بين العذيب وبارق	**مجر عوالينا ومجرى السوابق**

فالعذيب وبارق قصد بهما المتبى ومضعين معلومين ، وذلك معناهما القريب المشهور ، وأراد بهما ابن أبى الأصبع الريق ، وهو معناهما البعيد لأنه أدنى فى الشهرة من مراد المتنبى فكان فى كلام المضمن تورية وإيهام حيث أطلق اللفظين وأراد بهما معناهما البعيد . ثم زاد بن أبى الإصبع

على المتنبى أيضاً تشبيه قدها ومدامعه بمجر العوالى ومجرى السوابق. فقدها يشبه الرماح فى التمايل والطول ودموعه تشبه فى تتابعها وسرعتها سبق الخيل.

أما معنى بيت المتنبى فإنه تذكر ما بين الموضعين أعنى العذيب وبارق وهو أنهم كانوا نزولاً هناك ، ويجرون الخيل السوابق فى ذلك المكان ويجرون العوالى على الأرض عند مطاردة الفرسان ومقابلة الأقران .فنقله بن ابى الإصبع مفرقاً كما رأينا لنكتة فجاء أحسن منه.

ولا يضر فى التضمين التغيير اليسير ، بل يسمى إدخال ما هو من شعر الغير فى شعر الإنسان على الوجه المذكور تضميناً ، ولو وقع فيه تغيير يسير لقصد انتظامه ودخوله فى المناسبة فى معنى الكلام بذلك التغيير اليسير لا يتوقف تضمينه على وجه الناسبة للمراد على هذا التغيير.

أما التغيير الكثير ، فإنه يخرج به المضمن عن التضمين، ويدخل فى حد السرقة إذ أنه للغير ، والفرق بين اليسير والكثير موكول إلى عرف البلغاء ، فالتغيير اليسير الذى لا يخرج به الشئ عن المتضمن كما فى قول الشاعر فى يهودى أصابه داء الثعلب ، وهو داء يتناثر منه الشعر:

أقول لمعشر غلطوا وغضوا	**عن الشيخ الرشيد وأنكروه**
هو ابن جلا وطلاع الثنايا	**متى يضع العمامة تعرفوه**

فالبيت الثانى لسحيم بن وثيل بنفسه وهو قوله:

أنا بن جلا وطلاع الثنايا	**متى أضع العمامة تعرفونى**

و لم يغير فيه إلا التكلم بالغيبة كما رأيت.

ومراد الشاعر الأول الافتخار ، وأنه ابن رجل جلا أمره واتضح وأنه متى يضع العمامة للحرب ، وتوجه له يعرف قدره فى الحرب ، بناء على أن المراد بالعمامة ملبوس الحرب ، او متى يضع لثامه يعرف لشهرته.

ومراد الشاعر الثانى التهكم باليهودى ، وأنه ابن شعر أى صاحب شعر جلا الرأس منه وانكشف عنه وأنه طلاع الثنايا : أى ركاب صعاب الأمور وهى مشاق داء الثعلب ، وشاق الذل والهوان ، ومراده بالرشيد الغوى على وجه التهكم ، وبكونه متى يضع العمامة يعرف أنه متى وضع عن رأسه

العمامة يعرف داؤه وعيبه ، وأراد بالمعشر اليهود وغلطهم ، ذكره على وجه التلميح لمناسبته لظاهر ما يفتخر ، وإلا لم يغلطوا فى تبعيده وإنكاره وإنما غيره إلى الغيبة لينتظم بالمقصود ويناسبه ، وهو كون ما نسب إليه ما ذكر على وجه التهكم متحدث عنه لا متحدث عن نفسه كما فى الأصل ، وأحياناً نجد البلاغيين يسمون تضمين البيتين أو ثلاثة **استعانة** لظهور التقوى بالبيت على تمام المراد.

وأحياناً يسمون أيضاً تضمين الشطر أو أقل منه **إيداعاً** ، لأنه لقلقه كأنه أمانة أودعت عند من له سعة يودع لأجلها ، فما أتى به من المصراع أو دونه لكونه شيئاً قليلاً كأنه أودعه شعره .

وتراهم يسمون تضمين المصراع فما دونه " مزنواً " أو رفواً أيضاً ورفو الثوب إصلاح خرقه ، فكأنه لقلته أصلح به خرق الشعر كما يرفأ الثوب بالخيط الذى هو من جنسه.

العقـــد:

هو أن ينظم الأديب نثراً سواءً كان ذلك النثر المنظوم في أصله قرآناً أو كان حديثاً أو مثلاً غير ذلك ككلام حكمة مشهور عن صاحبة ، إلا أن النثر المنظوم إذا كان غير قرآن وحديث فنظمه عقد فلا حاجة للتفييد بشئ آخر وإن كان قرآناً فيفيد بأن يكون النظم لا عن طريق الاقتباس ، وقد عرفنا أن النظم الذى يكون فى القرآن أو الحديث بلا تغيير كثير.

فإذا نظم أحدهما مع التغيير الكثير خرج عن الاقتباس فيدخل فى العقد وكذا إذا نظم من التنبيه على أنه من القرآن أم من الحديث وذلك بما تقدم يحصل أن يذكر المنظوم على الحكاية كأن يقال : قال الله تعالى: كذا ، وقال النبى (صلى الله عليه وسلم) كذا فإنه يخرج بذلك عن الاقتباس أيضاً ويدخل فى العقد.

فتحصل من هذا أن نظم غير القرآن والحديث عقد بلا قيد.

ونظم القرآن والحديث إنما يكون عقداً إن نبه على أنه من القرآن أو الحديث ، أو غير كثيراً وإلا فنظمهما اقتباس خارج عن العقد.

فمثال العقد فى القرآن الكريم لكونه نبه على أنه منه

وذلك كقول الحسين بن الحسن الواسانى الدمشقى:-

أنلنى بـالذى اسـتقرضت حظـاً	**وأشـهد معشـراً قـد شـاهدوه**
فـإن ا لله خـلاق البرايـا	**عنـت لجـلال هيبتـه الوجـوه**
يقـول :" إذا تداينتـم بديـن	**إلى أجـل مسـمىً فـاكتبوه "**

وقد نبه على أنه من القرآن بقوله :" يقول."

ومثاله فى الحديث للتنبيه مع التغيير الكثير لأنـه لا منافـاة بينهمـا فصح أن يجمعهمـا مثـال واحـد كقول الشافعى رضى ا لله تعالى عنه:

عمـدة الخـير عندنـا كلمـات	**أربـع قـالهن خـير البريـة**
اتـق الشـبهات وازهـد ، ودع مـا	**ليـس يعنيـك ، واعملهـن بنيـة**

فقد عقد قوله صلى ا لله عليه وسلم :" الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات من تركها سلم ومن أخذها كان كالراتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه وقوله صلى ا لله عليه وسلم :" ازهـد فى الدنيا يحبك ا لله ، وازهد فيما فى أيد الناس يحبك الناس"

وقوله صلى ا لله عليه وسلم :" من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"

وقوله صلى ا لله عليه وسلم :" إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى. "

ولا يخفى ما يقابل كل حديث من الكلمات الشعرية على هـذا الـترتيب ، كمـا لا يخفـى مـا فـى العقد من التغيير الكثير.

وأما عقد غير القرآن والحديث النبوى الشريف.

فمثل قول أبى العتاهية:

مـا بـال مـن أولـه نطفـة	**وجيفـة آخـره يفخـر**

والبال : الحال . والنطفة : ماء الرجل أو المرأة ويفخر : يباهى بنفسه فترى الشاعر قد عقد قول سيدنا على رضى ا لله عنه :" وما لابن آدم والفخر ، وإنما أوله نطفة ، وآخره جيفة."

وقول أبى العتاهية ايضاً:

كفـى حزنـاً بدفنـك ثـم أنـى | نفضت تراب قبرك عن يديا
وكـانت فـى حياتك لى عظـات | وأنت اليوم أوعظ منـك حيـا

قيل : عقد قول بعض الحكماء فى الأسكندر لما مات :" كان الملك أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس " وقيل : هو قول الموبذ :" لما مات قباذ الملك " .[1]

الحـل:

وهو أن يجعل الأديب النظم نثراً.

وشرط كونه مقبولاً أمران : أحدهما : أن يكون سبكة مختاراً حسناً لا يتباعد عن النظم فى حسنه ، والثانى : أن يكون حسن الموقع مستقراً فى محله غير قلق.

وليس من شرطه أن يستعمله الأديب فى نفس معناه بل لو نقله من هجو إلى مدح مثلاً يكون مقبولاً.

وذلك مثل قول بعض المغاربة :" فإنه لما قبحت فعلاته ، وحنظلت نخلاته ، لم يزل سوء الظن يقتاده ، ويصدق توهمه الذى يعتاده " فواضح أنه حل لأبى الطيب:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه | وصدق ما يعتاده من توهم

التلميـح:

وهو أن يشير الأديب فى كلامه إلى قصة أو مثل سائر فى الناس أو شعر من غير أن يذكر المشار إليه بنفسه ، وغير استقصائه بل يفهم بالفحوى مع ذكر شئ منه أو كله.

فالمشار إليه فى التلميح ثلاثة أشياء : القصة والشعر والمثل . وأقسامه ستة:

١- مثال التلميح فى النظم إلى القصة كقول أبى تمام:

[1] الايضاح مع البغية جـ٤ ص١٤٠ .

لحقنا بـأخراهم وقـد حـوم الهوى	قلوبـاً عهدنـا طيرهـا وهـى وقـعِ
فردت علينا الشـمس والليـل راغـم	بشـمس لهم مـن جـانب الخـدر تطلـع
نضا ضؤهـا صبـغ الدجنـة وانطـوى	لبهجتهـا ثـوب السـماء المجـزع
فـوا لله مـا أدرى أأحـلام نـائم	ألمت بنـا أم كـان فـى الركـب يوشـع

الضمير فى "أخراهم" و "لهم" : للمرتحلين بالمحبوب. وحام الطير على الماء : دار عليه ، وحومه : جعله يحوم ، ونضا :ذهب به وأزاله ، ،و الضمير فى ضوئها وبهجتها للشمس الطالعـة مـن الخـدر ، والدجنة : الظلمة ، وانطوى : انضم وزال . والثوب المجزع : هـو ذو لونـين ، وأشـار بـه إلى ظلمـة الليل المختلطة ببياض النجوم ، وكأنه أخذ من الجزع لأن فيه لونين.

أأحلام نائم : استعظام للواقع وتجاهل لاظهار التحير والتوله حتى لا يدرى الواقع.

فكأنه يقول خلط على الأمر لما شاهدت فلم أدر هل أنا نائم ، وما رأتـه حلـم أم شمـس الخـدر ، ألمت بنا: أى نزلت بالركب فعادت دليلهم نهاراً أم حضر يوشع فرد الشمس.

أشار بذلك إلى قصة يوشع على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسـلام رطلبـه مـن ا لله تعـالى وقـوف الشمس لما عزمت على الغروب.

وذلك أنه روى أن للحبارين الذين أمره ا لله تعالى بقتالهم كان يوم الجمعـة ، فـأدبرت الشـمس ، وكادت أن تغرب ، فخاف أن تغرب فيدخل السبت فلا يحل له قتالهم ، فيفوت كمال قتالهم وغلبته حينئذ ، فسأل ا لله تعالى فرد له الشمس عن الغروب حتى فرغ من قتالهم.

٢- ومثال التلميح فى النظم إلى الشعر قول أبى تمام:-

لعمرو مـع الرمضـاء والنـار تلتظى	أرق وأحفى منك فى ساعة الكرب

الرمضاء : الأرض الحارة التى ترمض فيها القدم أى تحترق ، تلتظى : تتوقد ، أرق : مـأخوذ مـن الرقة التى هو الرحمة . أحفى : من حفى عليه تلطف وتشفق عليه والمعنى : أن عمرا الكائن مع ذكـر الرمضاء والنار أرق وأحفى منك فى ساعة الكرب.

وواضح أنه أشار بذلك إلى البيت المشهور وهو:

والمستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

والظاهر أن البيت لكليب وقيل لغيره.

والمعنى: أن المستغيث بعمرو فى وقت كربته كالفأر من الأرض الرمضاء إلى النار.

ولهذا البيت قصة وهى : أن امرأة تسمى البسوس ذهبت لزيارة أختها ، وهى أم جساس بن مرة ، ومعها ناقة لجار لهم ، وكان كليب من كبار تغلب وجساس المذكور من بنى بكر ، وحمى كليب أرضاً فلا يرعى فيها إلا إبل جساس لمصاهرة بينهما.

ثم خرجت ناقة الجار التى مع خالته فى إبل جساس ، فأبصرها كليب وعرف أنها ليست من إبل جساس فرماها ، وأبطل ضرعها حتى بركت بفناء جساس وضرعها يشخب دماً ولبناً ، فصاحت البسوس : واذلاه ، واغربتاه ، فقال جساس : اسكتى يا حرة ، والله لأعقرن فحلاً هو أعز على أهله منها ، فلم يزل جساس يتوقع غرة كليب حتى خرج وبعد عن الحى ، فركب جساس

فرسه حتى لحقه فرمى ظهره فسقط ، فقال : يا جساس أغثنى بشربة ماء ، فقال جساس : تركت الماء وراءك فولى عنه ، وأتبعه عمرو بن الحارث حتى وصل إليه فقال له : يا عمرو أغثنى بشربة ماء ، فأجهز عليه ، فقيل:

المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

وإليه يشير بقوله:

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى   أرق وأحفى منك فى ساعة الكرب

ونشبت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة كلها لتغلب على بكر ، ولذا قيل فى المثل :" أشأم من البسوس " ومن هذا يعلم أنه ليس المراد بعمرو جساساً كما قيل ، بل المراد به " عمرو بن الحارث. " فهذان مثالان فى التلميح فى النظم إلى الشعر أو القصة.

٣- ومثال التلميح فى النظم إلى المثل كقوله :" ومن دون ذلك خرط القتاد " ، أشار به الى المثل السائر وأصله لكليب ، وذلك أنه لما سمع قول جساس " لأعقرن فحلاً هو أعز على أهله منها " ظن أنه يريد فحلاً " لكليب " يسمى " عليان " ، فقال :" دون عليان خرق القتاد " فصار مثلاً يضرب

لكل أمر شاق لا يوصل إليه إلا بتكلف عظيم ، فيقال :" دونه خرط القتاد " والقتاد شجر صلب له شوك كالإبر ، وخرطه أن تمر اليد عليه من أعلاه إلى أسفله حتى ينتثر منه شوكه.

أمثلة النثر:

١، ٢- مثال التلميح فى النثر إلى القصة والشعر كقول الحريرى :" فبت بليلة نابغية وأحزان يعقوبية." أسار بقوله " ليلة نابغية " إلى قول النابغة:

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة ... من الرقش فى أنيابها السم ناقع

والمساورة: المقاتلة والإصابة، والضئيلة :الحية الدقيقة، والرقش: الحيات الدقاق، والناقع: الشديد.

وأشار بقوله :" وأحزان يعقوبية " إلى قصة يعقوب عليه السلام فى فقدان يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

٣- ومثال التلميح فى النثر إلى المثل السائر : قوله : " فيالها من هرة تعق أولادها " أشار به إلى المثل المعلوم ، وهو قولهم :" أعق من الهرة تأكل أولادها."

قال فى الإيضاح:

ومن " التلميح " ضرب يشبه اللغز ، كما روى أن تميماً قال لشريك النميرى :" ما فى الجوارح أحب إلى من البازى." فقال :" إذا كان يصيب القطا "

أشار التميمى إلى قول جرير:

أنا البازى المطل على نمير ... أتيح من السماء لها انصباباً

وأشار شريك إلى قول الطرماح:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ... ولو سلكت طرق المكارم ضلته

والطرق : جمع طريق ، والقطا : واحدة قطاة ، وهى طائر فى حجم الحمام وقيل : إنه نوع من الحمام ، ضلت من ضل الطريق ، وضل عنه إذا لم يهتد إليه ، يعنى أنها لو أرادت سلوكها لم تهتد إليها". [1]

---

[1] الايضاح مع البغية جـ٤ ص١٤٥ .

(٢) مواضع التأنق في الكلام [٢]

ينبغى للأديب شاعراً كان أو ناثراً أن يتتبع الأحسن من الكلام بأن يطلبه حتى يأتى به ، وذلك فى ثلاثة مواضع حتى تكون أعذب لفظاً من غيرها وعذوبة اللفظ بكونه غاية فى البعد عن التنافر واستثقال الطبع .

وحتى تكون المواضع الثلاثة أحسن سبكاً من غيرها ، وحسن السبك أن يكون اللفظ فصيحاً لا تعقيد فيه ولا شئ يخل بالفصاحة ولا ابتذال فيه مطابقاً لما يقتضيه الحال ، خالياً معناه من التعقيد ، وذلك لأن عذوبة اللفظ وجزالته ورقته وسلامته ترجع لنفى ابتذاله وتنافره ، وكون المعنى شريفاً واللفظ شريفاً يرجعان للمطابقة مع السلامه مما يخل بالفصاحة.

وحتى تكون تلك المواضع الثلاثة أزيد فى صحة المعنى وتحصل بالسلامة من التناقض ، والسلامة من الامتناع والبطلان ، والسلامة من الابتذال الذى هو فى معنى الفساد حيث لا يطابق ، والسلامة من مخالفة العرف ، لأن مخافة العرف البليغى كالغرابة المخلة بالفصاحة وكالسلامة من عدم المطابقة لمقتضى حال المخاطب.

وأحد تلك المواضع هو:

حسن الابتداء:

وهو المطلع ، لأنه أول ما يقرع السمع فإن كان عذباً حسن السبك صحيح المعنى أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه لانسياق النفس إليه ، ورغبتها فيه ، وإن لم الابتداء عذباً حسن السبك صحيح المعنى أعرض عنه السامع لقبحه.

وأحسن الابتداءات المختارة قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

قيل : لما سمعه الرسول صلى الله عليه وسلم قال :" قاتل الله الملك الضليل وقف واستوقف وبكى واستبكى ، وذكر الحبيب ومنزله فى مصراع واحد"

---

(٢) اعتمدنا فى كتابة هذا الموضوع على شروح التلخيص ص ٥٢٩-٥٤٧ جـ٤ ط الحلبى .

السقط : هو الموضع الذى ينقطع فيه الرمل ، أو الرمل المتقطع بنفسه ، واللوى : هو الملل المعوج ، ولا شك أن انقطاع الرمل إنما هو عند اعوجاجه بالأرياح لا عند تراكمه ، والدخول وحومل : موضعان والمراد بين أماكن الدخول وأماكن حومل.

وحسم الشطر الأول من هذا البيت مسلم ، لأنه أفاد به أنه وقف واستوقف وبكى واستبكى ، وذكر الحبيب والمنزل فى شطر واحد مسبوك ، لاتعقيد فيه ولا تنافر ولاركاكة.

وأما الشطر الثانى فلم يتفق له فيه ما اتفق فى الأول لأن ألفاظه لم تخل من كثرة مع قلة المعنى ، ومن تمحل التقدير للصحة وغرابة بعض الألفاظ.

وأحسن منه قول النابغة فى ذكر الهم فى الابتداء:

كلينى لهم يا أميمة ناصب   وليل أقاسيه بطئ الكواكب

كلينى أمر من وكل إليه كذا بمعنى سلمه إليه ، والناصب : المتعب ، وقد فضل هذا المطلع على مطلع امرئ القيس وإن كان أقل منه معانى بأن شطريه متناسبان وألفاظه متلائمة.

وقول أبى الطيب فى الرفق والرحمة:

أتظنننى من زلة أتعتب   قلبى أرق عليك مما تحسب

الذلة : الذنب ، أتعتب : بمعنى ألوم ، تحسب : تظن.

والمعنى : ينكر أن يلومه على ذنبه إليه بهجره ونحوه لرقة قلبه عليه ، فهو أكثر مما تحسب فى الرقة والرحمة.

وقول أبى الطيب أيضاً فى الغزل:

أريقك أم ماء الغمام أم خمر   بفى برودا وهو فى كبدى جمر

والغمامة : السحاب ، وبرود : صيغة مبالغة أى شديد البرد ، والاستفهام فى البيت من باب تجاهل العارف للتدله فى الحب ، فكأنه التبس عليه أهو ريق أم ماء زلال أم خمر بأنه فى فمه له غاية العذوبة والبرودة وفى قلبه جمر ، لأنه يزيد القلب ولوعاً وحباً.

وقوله:

فراق ومن فارقت غير مذمم وأم ومن يممت خير ميمم

والأم : القصد ، والمعنى : يذكر المتنبى فراقه لسيف الدولة الحمدانى حين غضب عليه وقصده لكافور بمصر ، أى لا ينبغى أن يفارق الذى فارقته غير مذموم ، ولا أن تقصد غيره ، والذى قصدت ليس أهلاً لأن يقصد.

وقول أبى الطيب أيضاً:

أتراهـا لكثـرة العشـاق تحسب الدمع خلقة فى المآقى

أتراها : أتظنها والاستفهام للتقرير ، والخلقة : الفطرة ، والمآقى : جمع مؤق أو موق وهو مجرى الدمع من العين أى طرفها مما يلى الأنف.

وقول الآخر:

ذموا الجمال فقل للعاذل الجانى لا عاصم اليوم من مدرار أجفانى

زموا الجمال : شدوا الرحال عليها للسفر ، والعاذل : اللائم فى حبهم ، ومدرار الأجفان : دمعها الغزير السيلان.

ومن آراد ذكر الديار والأطلال فى مديح فليقل مثل قول القطامى:

أنا محيوك فاسلم أيها الطلل وإن بليت ، وإن طالت بك الطيل

والطلل : الشاخص من الآثار ، والطيل : مدى الدهر.

والابتداء الحسن أيضاً فى وصف الدار قول أشجع السلمى:

قصر عليه تحية وسلام خلعت عليه جمالها الأيام

يقال خلع عليه : أى نزع ثوبه عليه ، بمعنى أنه نزعه وطرحه عليه ، والتضمين خلع بمعنى طرح عدى بعلى ، وفى نسبة الخلع إلى جمال الأيام دلالة على تشبيه الأيام برجل له لباس جميل نزعه على غيره فجمال الأيام كلباس ألبسه ذلك القصر.

براعة الاستهلال:

وأحسن الأبتداءات ما ناسب المقصود ، ويسمى براعة الاستهلال وهى :أن يكون مطلع الكلام دالاً على غرض المتكلم من غير تصريح بل بإشارة لطيفة.

وذلك كقول أبى تمام يهنئ المعتصم با لله بفتح عمورية ، وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح فى ذلك الوقت.

السيف أصدق إنباء من الكتب فىحده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف فى متونهن جلاء الشك والريب

الإنباء : مصدر " أنباء " بمعنى أخبر ، وحد السيف مقطعه.

بيض الصفائح : السيوف ، والصفائح جميع صفيحة وهى وجه كل شئ ممد وعريض ، وسود الصحائف : الكتب ، والمتون : الظهور ، وإنما نسب ذلك إليها لاعتماد حد السيف فى القطع عليها .ومن براعة الاستهلال قول أبى محمد الخازن فى التهنئة التى هى إيجاد كلام يزيد سروراً بمفروح به:

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا

والإقبال : قدوم الدنيا بالخير ، والأفق : الناحية استعير للعلاء والمراد بكوكب المجد : المولود على سبيل الإستعارة ، وبصعود : ظهوره وإضافته للمجد على معنى الكلام ، وهو مطلع قصيدة للشاعر يهنئ فيها الصاحب ابن عباد أستاذ الشيخ عبد القاهر الجرجانى – بولد لابنته وانما كان على البراعة ، لأنه يشعر بأن ثم أمراً مسروراً به ، وأنه أمر حدث وهو رفيع فى نفسه يهنأ به ، ويبشر من سر به ، ففيه إيماء إلى التهنئة والبشرى التى هى المقصود من القصيدة.

وكقول أبى الفرج الساوى نسبة إلى ساوة مدينة بين الرى وهمذان فى مرثيه فخر الدولة ملك من ملوك العرب . والمرثية بتخفيف الياء : القصيدة التى يذكر فيها محاسن الميت:

هى الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى

والملء : بكسر الميم ما يملأ الشئ ، والمعنى : أنها تقول ذلك جهرة بلا خفاء ، لأن ملء الكلام الفم يشعر بظهوره ، والجهر به بخلاف الخفى ففى جهر من الفم.

حذار حذار : أي احذر احذر ، من بطشي : أخذي الشديد بالقوة ، فتكي : قتلي لكم فجأة أي لا تغفلوا عن إهلاكي لكم بل اجعلوه نصب أعينكم واستعدوا له بالتقوى والصبر.

وكذا قول أبي الطيب في التهنئة بزوال المرض:

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك السقم

وقوله يرثي أم سيف الدولة:

نعـد المشـرفية والعـوالى وتقتلنـا المنـون بـلا قتـال
ونرتبـط السـوابق مقربـات ومـا ينجينـا مـن خبـب الليـالى

المشرفية : السيوف المصنوعة في مشارف الشام ، والعوالي : الرماح ، و المنون : المنية ، السوابق : الخيل ، المقربات : المدناة من البيوت لفرط الحاجة إليها أو للضن بها فلا ترسل إلى المرعى ، والخبب : ضرب من العدو ولا استفرغ الجهد استعير لليالي.

قبـح الابتـداء:

وينبغي أن يتجنب الأديب شاعراً كان أو ناثراً في المديح أو الغزل من يتطير به فإنه قد يتشاءم به الممدوح أو بعض الحاضرين كما روى أن ذا الرمة أنشد هشام بن عبد الملك:

ما بال عينك منها الماء ينسكبَ كأنـه مِن كلى مفرية سـرب

فقال هشام : بل عينك أنت.

والكلى : جمع كلية أو كلوة ، وهما كليتان في الجسم لافراز البول . والمفرية : المقطعة ، والسرب: السائل.

وكقول المقاتل بن الضرير:

"موعـد أصحابـك بالفرقـة غـد"

والفرقة : بضم الفاء وسكون الراء اسم موضع ، إلا أنه يتوهم معنى آخر فبسببه كان يتطير منه.

وهو مطلع قصيدة للشاعر المشهور أنشدها للشاعر العلوى ، فقال له الداعى حين تشاءم بما ذكر ": موعد أصحابك أنت يا أعمى ولك المثل السوء " أى القبيح.

وروى أن بن المقاتل الضرير دخل على الداعى العلوى فى يوم المهرجان فأنشده:

لا تقل بشرى ولكن بشريان   غرة الداعى ويوم المهرجان

فتطير به الداعى وقال : يا أعمى يبتدأ بهذا يوم المهرجان : يوم الفرح والسرور وألقاه على وجهه وضربه خمسين عصاً : إصلاح أدبه أبلغ من ثوابه أى الاعطاء له.

ويوم : المهرجان أول يوم من فصل الخريف وهو يوم فرح وسرور ولعب . وروى أنه لما بنى المعتصم قصره بميدان بغداد ، وجلس فيه ، أنشده اسحق الموصلى:

يا دار غيرك البلى ومحاك   ياليت شعرى ما الذى أبلاك

فتطير المعتصم بهذا الابتداء وأمر بهدم القصر.

حســن التخـلص:

وثانى المواقع التى ينبغى للأديب أن يتأنق فيها هى التخلص : وهو الخروج لى ما شبب به الكلام إلى المقصود مع وجود المناسبة بين ما شبب به الكلام وبين المقصود.

ومعنى :" ما شبب الكلام به " ، أى ابتدأ الكلام وافتتح به . والتشبيب فى الأصل ابتداء القصيدة بذكر أمور الشباب وذكر اللهو والغزل أى النساء وأوصافهن ، ثم نقل لابتداء القصيدة بل و الكلام فى الجملة ، سواء كان فيه ذكر اللهو والغزل ولأيام الشباب أم لا ؟ فهو مجاز مرسل علاقته الاطلاق والتقييد.

فواضح أن التشبيب افتتاح الكلام وابتداؤه سواء كان ما ابتدئ به من تشبيب وهو ذكر الجمال ووصفه أم كان من غير التشبيب كالأوصاف الأدبية والافتخار والشكاية وغير ذلك كالهجو والمدح والتوسل.

واحترز بكون ما شبب به الكلام بينه وبين المقصود ملاءمة عن الاقتضاب وهو الخروج والانتقال من شئ إلى شئ آخر من غير مراعاة ملاءمة بينهما ، فهو ارتجال المطلوب من غير توطئة إليه من المتكلم وتوقع من المخاطب ففى الصحاح الاقتضاب : الاقتطاع واقتضاب الكلام وارتجاله.

ووجه كون تلك المناسبة من التأنق ينبغى أن يراعى فى التخلص : أن السامع إذا كان أهلاً للاستماع لكونه من العارفين لمحاسن الكلام يترقب الانتقال من الافتتاح إلى المقصود كيف يكون لأن من المعلوم أن من قصد شيئاً وابتدأه بغيره فقد جعل ذلك الغير كالوسيلة إلى المقصود فلابد أن تكون بينهما مناسبة ومواصلة ، والاتصال إنما يظهر عند إنتهاء الوسيلة وإرادة الانتقال فإذا جاء حسناً للملاءمة بين طرف المفتتح به وطرف المقصود حرك من نشاط السامع لوجود تلك الملاءمة المطلوبة وأعانه ذلك الحسن للإصغاء لما بعده لاعتقاد كون صاحبه برع ، وصار أهلاً لإيجاد الحسن ، وإن لم توجد تلك المناسبة فات الحسن المنتظر ، وتوهم السامع أن الشاعر ليس أهلاً لأن يستمع إليه ولو أتى بما هو أحسن بعد ذلك.

فالتخلص الحسن لوجود الارتباط والمناسبة.

هذا ..... والتخلص قليل فى كلام المتقدمين ، وأكثر انتقالاتهم من قبيل الاقتضاب وأما المتأخرون فقد لهجوا به لما فيه من الحسن والدلالة على براعة المتكلم والمراد بالمتقدمين شعراء الجاهلية والمخضرمين ، والمراد بالمتأخرين الشعراء الإسلاميون الذين لم يدركوا الجاهلية - وما بعدهم.

على أن التأنق فى التخلص ليس مبنياً على عدم صحة الاقتضاب وليس دائراً على مذهب المتأخرين كما يكاد يتكرر فى الوهم بل مع حسن الاقتضاب إذا عدل عنه إلى التخلص ينبغى أن يتأنق الأديب فيه.

فمن التخلصات المختارة قول أبى تمام:

يقول فى قومس قومى وقد أخذت	**من السرى وخطا المهرية القود**
أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا	**فقلت: كلا ولكن مطلع الجود**

قومس : اسم موضع متسع بين خراسان وبلاد الجبل ، وإقليم بالأندلس أيضاً . وقد أخذت : أثر فينا الثرى وحركات الإبل . والسرى : السير ليلاً . خطى المهرية : سير الإبل المنسوبة إلى مهرة بن

حيدان أبى قبيلة من اليمن إبلهم أنجب الإبل ، ثم صار لقباً على الإبل الجياد مطلقاً . القود : وصف المهرية وهى الإبل الطويلة الظهور والأعناق : جمع أقود . والمعنى : أنهم قالوا ما يذكر بعد والحال أن مزاولة السرى أثر فيهم ومعاناة مسايرة المطايا بالخطا أو سيرها بهم نقص منهم ، ومقولهم هو قوله :" أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا " أى لما طال السير قالوا أتطلب أن تقصد بنا مطلع الشمس ، والمراد بالقصد التوجه والذهاب إلى جهة الشمس فكأنهم قالوا أتطلب بهذا المشى أن تتوجه بنا إلى جهة مطلع الشمس ،فقلت لهم كلا أى ارتدعوا عما تقولون وانزجروا فإنى لا أطلب بكم مطلع الشمس ، ولكن أطلب بكم مطلع الجود ، فقد خرج بالمناسبة الجوابية إلى الممدوح الذى سماه مطلع الوجود ، فكان حسن التخلص فى الانتقال من مطلع الشمس إلى الممدوح بعد أن جعله مطلع الجود فكانت المناسبة من جهة أن كلاً منهما مطلع لأمر محمود ، والمراد بمطلع الجود عبد الله بن طاهر الذى مدحه بهذه القصيدة.

ومن حسن التخلص ما وقع فى بيت واحد كقول أبى الطيب:

نودعهم والبين فينا كأنه ... قنا ابن أبىّ الهيجاء فى قلب فيلق [1]

فقد انتقل من حديث الوداع إلى الممدوح بعد أن جعل أثر الفراق كرمح بين أبى الهيجاء الممدوح.

وقال مسلم بن الوليد:

أجدك ما تدرين أن رب ليلة ... كأن دجاها من قرونك تنشر
سهرت بها حتى تجلت بغرة ... كغرة يحيى حين يذكر جعفر

أجدك : بكسر الجيم وفتحها ولا يقال إلا مضافاً ، وهو منصوب على نزع الخافض أى أبجدك ، فإذا كسرت جيمه فهو استحلاف بالحقيقة وإذا فتحت فهو استحلاف بالبخت ، والدجى : الظلمة . والقرون : خصل الشعر . وتنشر : تبسط وتمد ، وتجلت : ظهرت . الغرة : بياض الجبهة ، والشاهد: فى تخلصه من النسيب بالانتقال من غرة الصباح إلى الممدوح بعد أن جعل غرة الصبح

---

(1) الفيلق : الجيش .

كغرته ، فكان فى الانتقال من الأول إلى الثانى مناسبة من جهة أن كل غرة تشبه الأخرى ، والبيتان من قصيدة له فى مدح جعفر بن يحيى البرمكى.

ومن التخلص الحسن قول أبى الطيب يمدح المغيث العجلى-:

مـرت بنـا بــين تربيهــا فقلــت لهــا	مــن أيــن جــالس الشــادن العربــا
فاستضحكت ثم قـالت كـالمغيث يـرى	ليث الشرى وهو من عجل إذا انتسبا

تربيها : تثنية تـرب وهـو الصديـق أو مـن ولـد معهـا . والشـادن : ولـد الظبيـة استعارة لمحبوبتـه والشرى: طريق من جبل سلمى كثيرة الأسود ، عجل : قبيلة المغيث وفيه توريـة لأن معنـاه القريـب ولد البقر.

والمعنى : قالت إن أنا بالنسبة إلى قومى فى كونى وحشية الصورة والعنيم إنسية النسب كـالمغيث ليس المعنى والصورة عجلى النسب وهذا التخلص نهاية الحسن.

وقول أبى الطيب أيضاً

خليلـى مـالى لا أرى غــير شــاعر	فكم منهم الدعوى ومنى القصائد
فــلا تعجبــا أن الســيوف كثــيرة	ولكـن سـيف الدولـة اليـوم واحـد

المراد بالدعوى : ادعاء الشعر ، وهو فى الأصل مصدر ادعى الشئ إذا زعم أنه له حقـاً أو بـاطلاً والمراد بسيف الدولة : ممدوحة ملك حلب ، وفى ذلك تورية لأن معناه القريب السيف الذى يناضل عن الدولة به.

والشاهد : فى تخلصه إلى المدح بجعله انفراده بالشعر كانفراد الممدوح بكونه سيف الدولة

الاقتضاب:

وهو فى اللغة الاقتطاع والارتجال : أى الإتيان بالشئ استئنافاً بغته أطلق على الاتيان بعد آخر بلا ربط ومناسبة الانقطاع الأول عن الثانى وهذا المعنى اللغوى ليس بعيداً عن المعنـى الاصطلاحي فقـد

عرفوه بأنه انتقال الأديب شاعراً أو ناثراً مما ابتدئ به الكلام إلى ما لا يلائمه فيستأنف حديثه المقصود من غير ربط واتصال.

وهو مذهب العرب الجاهلية كامرئ القيس وزهير بن أبى سلمة وطرفة بن العبد وعنترة ، ومن يليهم من المخضرمين الذين مضى بعض عمرهم فى الجاهلية ، وبعضهم مضى فى الإسلام مثل لبيد ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن زهير.

وذلك كقول أبى تمام:-

لو رأى الله أن فى الشيب خيرا	**جاوزته الأبرار فى الخلد شيبا**
كل يوم تبدى صروف الليالى	**خلقا من أبى سعيد غريبا**

الشيب : جمع أشيب بمعنى شائب . والمراد بالأبرار :خيار الناس . والمراد بالخلد : الجنة . صروف الليالى : حوادثها . خلقا: طبيعة . غريبا : صفة للخلق ، وأبو سعيد هو محمد بن يوسف الثغرى.

والشاهد : أن أبا تمام قد انتقل من ذم الشيب فى البيت الأول إلى مدح أبى سعيد بأنه تظهر منه الليالى طبائع غريبة لا يوجد لها نظير من أمثاله فيها ، ولا ربط بينهما ولا مناسبة ، فهذا الانتقال من الاقتضاب .

الاقتضاب القريب من التخلص:-

ومن الاقتضاب ما يقرب من التخلص بأن يكون فيه مناسبة غير تامة كقولنا : " بعد حمد الله أما بعد" فإن فيه مناسبة ما ونوع ربط من حيث الاتيان " بأما بعد " ، لأنها بمعنى : مهما يكن بعد الحمد والثناء فلأمر كذا وكذا . وبيان ذلك : أن حسن التخلص فيه القصد إلى إيجاد الربط بالمناسبة على وجه لا يقال فيه : أن هنا كلامين منفصلين منتقلين أتى باحدهما وهو الثانى بغتة ، والاقتضاب فيه القصد إلى الإتيان بكلام بعد آخر على وجه يقال فيه : أن الأول منفصل عن الثانى ولا ربط بينهما ، " وأما بعد" لما كان معناها مهما يكن من شئ بعد الحمد والثناء فالأمر كذا وكذا ، أفاد أن كون الأمر كذا مربوط بوجود شئ بعد الحمد والثناء على وجه اللزوم ، ولما أفادت ما ذكر أرتبط ما بعدها بما قبلها لافادتها الوقوع بعدها ولابد ، فلم يؤت بما بعدها على وجه يقال فيه : أنه

لم يرتبط بما قبله بل هو مرتبط به من حيث التعلق فاشبه بهذا الوجه " حسن التخلص " ولما كان ما بعدها شئ آخر لا ربط فيه بالمناسبة كان فى الحقيقة اقتضاب.

ويجمع المحققحون من علماء البيان أن فصل الخطاب هو : " أما بعد " لأن المتكلم يفتح فى كل أمر ذى شأن ذكر الله تعالى وتحميده يعنى ـ الصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإذا أراد الخروج منه إلى الغرض المسوق له الكلام فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله : " أما بعد " فسمى فصل الخطاب وأشتهر بذلك مع قبوله لحسن الفصل به ومن الاقتضاب القريب من التخلص الاصطلاحى ما يكون بلفظ " هذا " وذلك مثل قوله تعالى بعد ذكر أهل الجنة : ﴿ **هذا وإن للطاغين لشر مآب** ﴾ [1] أى الأمر هذا ، أو هذا كما ذكر ، فإن قوله : "وإن للطاغين لشر مآب" بيان لحال العصاة والذى قبله ، وهو قوله تعالى : ﴿ **قاصرات الطرف أتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب** ﴾ ، تبين حال المتقين ، فتوسط " هذا " بينه وبين ما بعدها.

ومثاله أيضاً قوله تعالى : ﴿ **هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب** ﴾ [2]

فأنه أنتقل من ذكر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم إلى بيان ما أعد لهم من النعيم بتوسط " هذا ذكر "أى لهم بالثناء الجميل ، وقوله : " وإن للمتقين " الشاملين لهم ولغيرهم لحسن مآب فالمناسبة قبل وبعد "هذا ذكر " واضحة.

وبلفظ " هذا " فى هذا المكان من الفصل الذى هو أحسن عند البلغاء من التخلص الذى فيه الوصل بالمناسبة ، وذلك لأن لفظ " هذا " ينبه السامع على أن ما سيلقى عليه بعدها كلام آخر غير الأول ، و لم يؤت بالكلام الثانى فجأة حتى يشوش على السامع سمعه لعدم المناسبة وأما التخلص المحض فليس فيه تنبيه السامع على أن ما يلقى هل هو كلام آخر أو لا وأيضاً لفظ " هذا " له علاقة قوية شديدة تتأكد الأتيان بها بين الخروج من كلام والدخول فى كلام آخر.

ومن الاقتضاب القريب من التخلص قول الناثر عند إرادته الانتقال من حديث إلى آخر "هذا باب " فى كذا ، لأنه ترجمة على ما بعده ويفيد أنه انتقل من غرض إلى آخر . وإلا لم يحتج إلى التبويب ، فلما كان فيه تنبيه على أنه أراد الانتقال لم يكن الإتيان بما بعده بغتة فكان فيه أرتباط ما

---

[1] سورة ص الآية : ٥٥

[2] سورة ص الآية ٤٩ .

ومن هذا القبيل لفظة " أيضاً " فى كلام المتأخرين من الكتاب يشعر بأن الثانى يرجع به على المتقدم ، وهذا المعنى فيه ربط فى الجملة بين السابق واللاحق و لم يؤتى بالثانى فجأة.

حسن الإنتهاء- :

وثالث المواضع التى ينبغى للأديب أن يتأنق فيها إنتهاء القصيدة أو الرسالة أو الخطبة ، لأن الانتهاء آخر ما يفهمه السامع ويحفظه من القصيدة أو الخطبة أو الرسالة ، ويرتسم فى نفسه فإن كان ذلك الانتهاء مختاراً حسنا تلقاه بغاية القبول واستلذه استلذاذاً يجبر به ما وقع فيما سبقه من التقصير ، وجبر الواقع من التقصير يعود إلى مجموع الكلام بالقبول والمدح وإن لم يكن الانتهاء حسن السامع ، وأعرض عنه ، وذمه ، وذلك مما يعود على مجموع الكلام بالذم ، لأنه ربما أنس محاسنه السابقة قبل الانتهاء ، فيعمه الذم ، ويرمى إلى الوراء ، ويكون عند السامع مما ينبذ بالعراء ومن المعلوم فى المذوقات أن آخر الطعم إن كان لذيذاً أنس مرارته الأولى ، وان كان مراً أنس حلاوته الأولى.

ومن الانتهاء الحسن قول أبى نواس يمدح المأمون:

فبقيت للعلم الذى تهدى له   وتقاعست عن يومك الأيام

تهدى : تدل . تقاعست : تأخرت ، والمراد بيومه يوم وفاته. والشاهد فى حسن الانتهاء فى البيت باشتماله على ذلك الدعاء المؤذن بالانتهاء.

وقول أبى نواس أيضاً فى مدح الخصيب بن عبد الحميد المرادى:

وإنى جدير إذ بلغتك بالمعنى   وأنت بما أملت منك جدير

فإن تولنى منك الجميل فأهله   وإلا فإنى عاذر وشكور

وإنى جدير : أى حقيق . إذ بلغتك : أى وصلت إليك بمدحى.

والمعنى : إنى جدير بالفوز بالمنى منك حين بلغتك لأنى شاعر مشهور عند الناس بمعرفة الشعر والأدب ، وأنت جدير وحقيق بما أملته ورجوته منك وهو الظفر بالمنى لأنك من الكرام فإن تعطنى فأنت أهل لذلك ، وإن لم تقدم لى شيئا ، فإنى لا أجد عليك فى نفسى ، ولكنى عاذر لك فى

منعك لضيق يدك فى هذا الوقت لأن كرمك أدل إلى خلود يدك ، وإنى شكور لك على ما صدر منك من غير الإعطاء ، وهو إصغاؤك لمدحى فإن ذلك من المنة على ، ويحتمل أن المراد وشكور لك على ما صدر منك من الإعطاء سابقاً ، ولا يمنعنى من شكر السابق عدم تيسير الاحق. والشاهد فى حسن الانتهاء فى البيت قوله : " وإلا فإنى عاذر وشكور " لأن قبول العذر يقتضى انقطاع الكلام.

ومن حسن الانتهاء قول أبى تمام فى خاتمة قصيدة فتح عمورية:

إن كان بين صروف الدهر من رحم	**موصولة أو ذمام غير مقتضب**
فبين أيامك اللاتى نصرت بها	**وبين أيام بدر أقرب النسب**
أبقت بنى الأصفر الممراض كاسمهم	**صفر الوجوه وجلت أوجه العرب**

صروف الدهر : حوادثه . والرحم : القرابة .والذمام : الحق والمقتضب : المقطوع أيام بدر : يريد غزوة بدر . بنو الأصفر : الروم ، الممراض : صيغة مبالغة يعنى أن صفرته كانت لمرض لا خلقة فيه ، والعرب تسمى الروم بنى الأصفر لبياضهم لما كان بين الشعوب من محاولة تنقيص بعضهم لبعض. والشاهد فى حسن الانتهاء فى هذا البيت لأنه يفيد نهاية الفتح فيؤذن بانتهاء الكلام.

وأحسن الأنتهاء ما كان مؤذناً بانتهاء الكلام كقوله- :

بقيت بقاء الدهر ياكهف أهله	**وهذا دعاء للبرية شامل**

الكهف : هو فى الأصل الغار فى الجبل يؤدى إليه ويلجأ إليه استعير هنا للملجأ ، والمعنى : يا كهفاً يأوى إلى عزة أهله ، والمراد بأهله : جنسه بدليل ما بعده " وهذا دعاء للبرية شامل " يعنى لما كان بقاؤك سبباً لنظام البرية ، وحسن حالهم برفع الخلاف فيما بينهم ، ودفع ظلم بعضهم بعضا ، وتمكن كل واحد ببلوغ مصالحه كان الدعاء ببقائك دعاء ينفع الناس وما يتعلق بهم ، وإنما آذن هذا الدعاء بانتهاء الكلام ، لأنه لا يبق عند النفس ما يخاطب به هذا المخاطب بعد هذا الدعاء ولأن العادة جرت بالختم بالدعاء فإذا سمع السامع ذلك لم يتشوف لشئ وراءه.

ومثل ذلك قول المتنبى- :

قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها	**وشرف الناس إذا سواك إنسانا**

فان هذا يقتضى تقرر كل ما مدح به ممدوحه ، فعلم أنه قد انتهى كلامه و لم يبق للنفس تشوف لشئ وراءه. ، وقوله أيضاً فى مدح سيف الدولة-:

فلا حطت لك الهيجاء سرجا ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

والهيجاء : الحرب . والخطاب لسيف الدولة . والسرج : الرحل ، وقد غلب استعماله للخيل. وحسن الانتهاء فى هذا البيت لختمه بالدعاء المؤذن بانتهاء الكلام. وهذا المواضع الثلاثة : حسن الابتداء ، وحسن التخلص ، وحسن الأنتهاء مما يبالغ المتأخرون فى التأنق فيها لاسيما التخلص لدلالته على براعة الشاعر أو الناثر. وأما المتقدمون فقد قلت عنايتهم بذلك كما شهدت بذلك قصائد كل فريق وجميع فواتح السور القرآنية وخواتمها واردة على أكمل ما ينبغى من البلاغة. وأعلى ما يراعى من البراعة فتجد فيها من الفنون والمعانى المختلفة المطابق كل منها لما نزل له ، المفيد لأكمل ما ينبغى فيه ، وتجد فيها من اللطائف المشار إليها مما يناسب كل منها ما نزل لأجله ، ومن خوطب بها ، ما لا يقدر قدره. فتجد فى الفواتح تحميدات وتنزيهات لعلام الغيوب تعجز جميع العقول استقصاء مذاق حسنها وإيجازها وطباقها كما فى قوله تعالى : ﴿ **سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، له ملك السموات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم** ﴾ والابتداء بالنداء فى نحو : " يأيها الناس " والابتداء بالبسملة هى مفتاح كل خير ، والابتداء بالحروف نحو : " الم."

وكذلك الخواتم من الأدعية والوصايا والفرائض والمواعظ والوعد والوعيد إلى غير ذلك مما يظهر كثير منه بالبديهة وكثير بالتأمل كالدعاء آخر البقرة والوصايا فى نهاية آل عمران ، والفرائض فى خاتمة النساء ، والتبجيل والتعظيم فى خاتمة المائدة والوعد والوعيد فى آخر الأنعام.

وصلى الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

وكان الفراغ فى هذا الجزء فى مساء لجمعة السابع والعشرين من شهر صفر سنة ١٤٠٤ من الهجرة والموافق الثانى من شهر ديسمبر سنة ١٩٨٣ م.

****

مصادر الكتاب " من بلاغة النظم العربى " ومراجعه

١- القرآن الكريم.

٢- ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان محمد خفاجة دار العهد الجديد للطباعة.

٣- أبو تمام الطائى حياته وشعره . نجيب البهبيتى طبع دار الكتب سنة ١٩٤٥ م.

٤- الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى نشر الحلبى الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م.

٥- أثر القرآن فى تطور البلاغة العربية حتى آخر القرن الخامس الهجرى . د . كامل الخولى ط الاولى دار الأنوار.

٦- أثر القرآن فى تطور النقد العربى حتى آخر القرن الرابع الهجرى . د. محمد زغلول سلام ط الثانية دار المعارف.

٧- أثر النحاة فى البحث البلاغى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى د . عبد القادر حسين . نهضة مصر القاهرة.

٨- أخبار أبى تمام . أبو بكر الصولى - تحقيق عساكر وآخرين القاهرة م لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م.

٩- أدب الكاتب لبن قتيبة على هامش المثل السائر ط . الاولى سنة ١٣٥٤ هـ - مطبعة حجازى - القاهرة .

١٠- أسرار البلاغة عبد القاهر الجرحانى . تصحيح محمد رشيد رضا . م الترقى سنة ١٣١٩ هـ

١١- الأسلوب أحمد الشايب ط الثانية - نشر مكتبة النهضة م . الاعتماد.

١٢- الاشارات والتنبيهات فى علم البلاغة - القاضى محمد الجرجانى نهضة مصر - تحقيق د. عبد القادرحسين.

١٣- أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب - محمود عباس العقاد ط الثانية - دار المعارف.

١٤- اعجاز القرآن - الباقلانى - تحقيق خفاجى . ط الأولى سنة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م طبع صبيح.

١٥- اعجاز القرآن والبلاغة النبوية - الرافعى - مراجعة العريان ط الثامنة - م الاستقامة.

١٦- أنباه الرواة على أنباء النحاة - القفطى - تحقيق محمد أبو الفضل دار الكتب.

١٧- الايضاح ضمن شروح التخليص - جلال الدين الخطيب القزوينى - ط الحلبى.

١٨- بديع القرآن - ابن أبى الاصبع المصرى - تحقيق د . شرف نهضة مصر.

١٩- البرهان فى علوم القرآن - الزركشى - تحقيق محمد أبو الفضل نهضة مصر.

٢٠- أرسطو بين العرب واليونان د .ابراهيم سلامة ـ ط الثامنة ـ مكتبة الانجلو.

٢١- البلاغة التطبيقية ـ د. أحمدإبراهيم موسى ـ دار المعارف سنة ١٩٦٣ م.

٢٢- البلاغة تطور وتاريخ - دار المعارف سنة ١٩٦٥ م.

٢٣- بلاغة السبكى على ضوء كتابة عروس الأفراح شرح وتلخيص د . عبد العزيز عبد المعطى عرفة -

دار الطباعة المحمدية . ٢٤ - البلاغة - محمد بن يزيد المبرد ـ تحقيق رمضان عبد التواب ط الأولى سنة ١٩٦٥م دار العروبة.

٢٥- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنجاة للسيوطى - تحقيق محمد أبو الفضل - ط الحلبى.

٢٦- بيان إعجاز القرآن ـ الخطابى ـ ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن - تحقيق الدكتورين خلف الله وسلام - ط دار المارف.

٢٧- البيان والتبين - الجاحظ - تحقيق هارون ـ ط الثانية نشر الخانجى بالقاهرة والمثنى ببغداد.

٢٨- تاريخ النقد الادبى عند العرب من العصر الجاهلى إلى القرن الرابع الهجرى - ط إبراهيم - دار الحكمة - بيروت.

٢٩- تاريخ نشأة علوم البلاغة وأطوارها فى البلاغة العربية د . عبد العزيز عبد المعطى عرفة - ط الأولى - دار الطباعة المحمدية.

٣٠ـ تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ـ أحمد مصطفى المراغى ـ ط الأولى بالقاهرة سنة ١٩٦٣ هـ ـ ١٩٥٠ م.

٣١ـ تأويل شكل القرآن ـ ابن قتيبة ـ تحقيق احمد صقر ـ ط الحلبى.

٣٢ـ التبيان فى علم البيان المطلع على إعجاز القرآن ـ كمال الدين عبد الواحد بن الزملكانى ـ تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثى ـ م العانى ـ بغداد.

٣٣ـ تحرير التحبير ـ ابن أبى الأصبع ـ تحقيق د.شرف نشر المجلس الاعلى للشئون الإسلامية.

٣٤ـ تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب فى علم مجازات العرب ـ يوسف بن سليمان

الشنتمرى ـ على هامش كتاب سيبويه ـ ط الاولى ـ المطبعة الاميرية سنة ١٣١٦ هـ.

٢٥ـ التصوير الفنى فى القرآن ـ سيد قطب ـ دار المعارف.

٣٦ـ تربية الذوق البلاغى عند عبد القاهر الجرجانى ـ للدكتور / عبد العزيز عبد المعطى عرفة ـ ط الاولى ـ دار الطباعة المحمدية.

٣٧ـ تلخيص البيان فى مجازات القرآن ـ الشريف الرضى ـ تحقيق محمد عبد الغنى حسن.

٣٨ـ الحيوان للجاحظ تحقيق هارون ط الاولى ـ ط الحلبى.

٣٩ـ الخصائص ـ ابن جنى ـ تحقيق النجار ـ دار الكتب.

٤٠ـ دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر فى التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير ـ عبد الهادي العدل ـ تحقيق عبد السلام سرحان ـ الطبعة الثانية ـ م المنيرية.

٤١ـ دراسات فى علم النفس الأدبى ـ حامد عبد القادر النموذجية لجنة البيان العربى.

٤٢ـ دلائل الاعجاز ـ عبد القاهر الجرجانى ـ تحيقيق المراغى المكتبة العربية ومطبعتها.

٤٣ـ سر الفصاحة ـ ابن سنان الخفاجى ـ تحقيق المرحوم الصعيدى ط صبيح سنة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م .

٤٤ـ شروح التلخيص ط الحلبى.

٤٥ـ الشعر والشعراء ـ تخقيق أحمد شاكر ـ دار المعارف.

٤٦ـ الصبغ البديعى فى اللغة العربية ـ د. أحمد موسى ـ نشر دار الكاتب العربى ـ القاهرة سنة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩ م.

٤٧ـ الصناعتين : الكتابة والشعر ـ أبو هلال العسكرى ـ تحقيق البجاوى وأبى الفضل ـ الطبعة الاولى سنة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م الحلبى.

٤٨ـ طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين ـ ابن سلام ـ تحقيق شاكر ـ دار المعارف.

٤٩ـ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ـ بن حمزة العلوى م. المقتطف.

٥٠- عروس الأفراح - بهاء الدين السبكى - ضمن شروح التلخيص طبع الحلبى.

٥١- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده - بن رشيق - تحقيق محى الدين - ط الثانية سنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م نشر التجارية م السعادة.

٥٢- عيار الشاعر - بن طبابة العلوى - تحقيق الدكتورين الحاجرى وسلام - طبع التجارية سنة ١٩٥٦م.

٥٣- الفهرس - ابن نديم - مكتبة الخياط - بيروت.

٥٤- القاموس المحيط - مجد الدين الفيروز أبادى - ط الخامسة سنة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م - نشر التجارية.

٥٥- قضية الإعجاز القرآنى وأثرها فى تدوين البلاغة العربية د. عبد العزيز عبد المعطى عرفة -طبع عالم الكتب بيروت .

٥٦- قواعد الشعر - ثعلب - تحقيق خفاجى - طبع الحلبى.

٥٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل - الزمخشرى - تصحيح أحمد - ط الثانية - نشر التجارية.

٥٨- لسان العرب لابن منظور - دار المعارف.

٥٩- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر - ابن الأثير - تحقيق الدكتورين الحوفى وطبانة - طبع ونشر نهضة مصر.

٦٠- المجازات النبوية - الشريف الرضى - تحقيق محمود مصطفى سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م. القاهرة.

٦١- مجاز القرآن - أبو عبيدة - تحقيق د. فؤاد سزكين الطبعة الأولى نشر الخانجى.

٦٢- مختصر التفتازانى على تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى ضمن شروح التلخيص طبع الحلبى.

٦٣- الزهر فى علوم اللغة وأنواعها - السيوطى - تحقيق جاد المولى وآخرين طبع الحلبى.

٦٤- المصباح فى علم المعانى والبيان والبديع - بدر الدين بن مالك - ط الأولى - م الخيرية.

٦٥- المطول - سعد التفتازانى - أحمد كامل بتركيا سنة ١٣٣٠ هـ.

٦٦- معنى القرآن - الفراء - تحقيق أحمد يوسف النجاتى - ومحمد النجار - دار الكتب.

٦٧- معاهد التنصيص علي شواهد التلخيص - عبد الرحيم العباسى تحقيق محى الدين م السعادة.

٦٨- المغنى فى أبواب التوحيد والعدل للقاضى عبد الجبار الجزء السادس عشر تحقيق - أمين الخولى. نشر وزارة الإرشاد القومى - دار الكتب.

٦٩- مفتاح العلوم للسكاكى - المطبعة اليمنية نشر البابى الحلبى.

٧٠- .٧٠من أسرار اللغة - سرار اللغة - إبراهيم أنيس - طبع لجنة البيان العربى.

٧١- من بلاغة القرآن - د. أحمد بدوى - نشر نهضة مصر . م لجنة البيان العربى.

٧٢- من بلاغة النظم العربى الجزء الأول د. عبد العزيز عبد المعطى عرفه دار الطباعة المحمدية.

٧٣- الموازنة بين الطائيين للآمدى - تحقيق محى الدين الطبعة الثالثة.

٧٤- مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح ضمن شروح التلخيص طبع الحلبى.

٧٥- الموشح - المرزبانى - تحقيق البجاوى - نهضة مصر ١٩٦٥ م.

٧٦- نقد الشعر - قدامة بن جعفر - تحقيق كمال مصطفى ط الاولى الخانجى - القاهرة.

٧٧- النقد المنهجى عند العرب - - د محمد مندور - نهضة مصر.

٧٨- نظرات فى البيان د. محمد عبد الرحمن الكردى - م السعادة القاهرة.

٧٩- النظم العربى بين النظرية والتطبيق د . عبد العزيز عبد المعطى عرفة - دار الطباعة المحمدية.

٨٠- النكت فى اعجاز القرآن للرمانى - ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن - دار المعارف.

٨١- نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز فى علوم البلاغة وبيان اعجاز القرآن فخر الدين عمرالرازى - م الآداب والمؤيد القاهرة ١٣١٧ هـ .

٨٢- الوساطة بين المتنبى وخصومه - القاضى على بن عبد العزيز الجرحانى - تحقيق محمد أبو الفضل والبجاوى الطبعة الثالثة - الحلبى.

٨٣- وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان - ابن خلكان - تحقيق محى الدين الطبعة الأولى سنة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨م نشر مكتبة النهضة م السعادة.

فهرس موضوعات الجزء الرابع

من كتاب " بلاغة النظم العربى "

الفصـــــل الثـــانى

المحســـــنات اللفظـــــية ٨٤-١٢٣

تم بحمد الله ،